

مفتريات المستشرقين وتلاميذهم

على الإسلام

ردّ على كتاب

(محمد واليهود نظرة جديدة)

لكاتبه "بركات أحمد"

د. إسماعيل علي محمد

أستاذ ورئيس قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

كلية أصول الدين والدعوة - جامعة الأزهر

دار الكتب
للنشر والتوزيع

مفتريات المستشرقين وتلاميذهم

على الإسلام

ردّ على كتاب

(محمد واليهود نظرة جديدة)

لكاتبه "بركات أحمد"

د. إسماعيل علي محمد

أستاذ ورئيس قسم الدعوة والثقافة الإسلامية
كلية أصول الدين والدعوة. جامعة الأزهر

دار الكتب
للنشر والتوزيع

حقوق النشر محفوظة للمؤلف

الطبعة الثانية
١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

الطبعة الأولى
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

١٧١٣٢ / ٢٠٠٠

دار
الكلمة
للنشر والتوزيع
دار الكلمة للنشر والتوزيع
القاهرة . محمول : ٠١٠٩٧٠٧٤٩٥

E-mail: mmaggour@hotmail.com
E-mail: daralkalema_pdp@hotmail.com
www.facebook.com/DarAlkalema

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى :

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا

هُوَ زَاهِقٌ﴾ [سورة الأنبياء: ١٨]

﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ

لِيُجَدِّدُوا لَهُمْ^ص وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾

[سورة الأنعام: ١٢١]

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله محمد ﷺ، وآله وصحبه ومن آله ..

﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾^(١).

وبعد:

في الصيف الماضي (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م) نشرت الهيئة المصرية العامة للكتاب - ضمن سلسلة مكتبة الأسرة - كتاباً مترجماً بعنوان (محمد واليهود نظرة جديدة)، تأليف الدكتور «بركات أحمد»، ترجمة «محمود علي مراد».

وما إن شرعت في قراءة الكتاب، ونظرت في محتواه، حتى هالني ما تضمنه؛ حيث وجدته يعج بالمفتريات، ويطنح بالمطامع والشبهات ضد أصول الإسلام وثوابته.

ولما أنهيت قراءة الكتاب ووقفت على ما فيه، غلب على ظني أن المؤلف ليس له من الكتاب - على ما يبدو - إلا وضع اسمه عليه، وأن فريق عمل من المأجورين لحرب الإسلام - وما أكثرهم - أسهم في إعداد هذا الكتاب، وتحضير سمومه، وصناعة شبهاته، ونسج مفترياته، حتى إنه لقد ذهب ظني للوهلة الأولى إلى أن اسم «بركات أحمد» مستعار، ولكن عرفت فيما بعد أنه كاتب هندي، ومسلم - فيما زعموا - .

ومن خلال تعاملنا مع إنتاج المستشرقين^(٢) ومعايشة أفكارهم،

(١) سورة الأعراف: ٨٩.

(٢) المستشرقون: هم الغربيون الذين تخصصوا في دراسة الشرق الإسلامي من كافة جوانبه؛ =

نرى أن الكتاب عبارة عن صورٍ من حَمَلَاتٍ ومطاعنٍ ضدَّ الإسلام،
تولَّى كبرها المستشرقون، وسُخِّرَ أحدُ أبناء المسلمين – وهو
واحد من صنائعهم – لإذاعتها ونشرها تحت غطاء البحث
العلميِّ.

وفي أثناء قراءتي للكتاب تبين لي أن هذه ليست المرة الأولى
التي قامت الهيئة المصرية العامة للكتاب فيها بنشر كتاب
(محمد واليهود نظرة جديدة)؛ وإنما سبق لها أن نشرته قبل
ذلك بعامين، وذلك في عام ١٩٩٦م، ضمن سلسلة الألف كتاب
الثاني، وبيعَ يومها بثمن زهيد، كما هو الحال في هذه المرة
الثانية، مع فخامة طبعته في المرتين.

وليس هذا فحسب؛ بل وجدتُ في تلك الأثناء أن مجلة «منبر
الإسلام» – لسانَ حالِ وزارةِ الأوقاف المصرية – عرضت الكتاب،
وقدمته للقراء في موكبٍ من الحفاوة والتبجيل، وساقته على
أنه فتح جديد موضوعه، وأضفت على اسم صاحبه – أو
بالأحرى المنسوب إليه – لقب (الكاتب الهندي الكبير)، وذلك في
عدد شعبان ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م (صفحات ٦٦ – ٦٩).

فالكتاب نشرته وزارة الثقافة – عبر الهيئة المصرية العامة
للكتاب – مرتين، وقامت مجلة «منبر الإسلام» بتقريضه، هذا في
مصر بلد الأزهر فقط، ومن يدري؛ ربما قامت جهات أخرى في

= تاريخه، أديانه، شعوبه، لغاته وآدابه... إلخ، لدوافع شتى وأهداف مختلفة، وقد بسطتُ
الحديث عن مفهوم الاستشراق ونشأته، ودوافعه، ومنهجه، وموقف المستشرقين من
الإسلام، بما يغني عن الإعادة هنا، وذلك في كتابي: الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، دار
الكلمة - مصر، ط السادسة ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

بلاد أخرى بنفس الفعل، وربما يعاد نشره بعد ذلك.
من أجل هذا وغيره رأيت أنه لا بد من كتابة رد علمي على
الكتاب المذكور؛ يفند أباطيله، ويدفع مطاعنه، ويزيل شبهاته،
خاصة وأنني لم أجد - فيما أعلم - أحداً نهض للرد عليه حتى
كتابة هذه السطور.

هذا؛ وليكن معلوماً أن الرد هنا ليس على الكاتب المأجور، إذ
هو نكرة؛ وإنما الرد - في الحقيقة - على مصنع هذه الشبهات
الساقطة، ومصدر تلك المطاعن الأثيمة، وهم المستشرقون
والمنصرون ودوائرهم الذين سخرُوا هذا الكاتب العميل، ووجهوه
ليتولّى هو التدمير والهدم في هذه المرة.

وجديرٌ بالذكر أن من أخطب وسائل أعداء الإسلام في محاربتهم
استخدام بعض أبناء المسلمين، واستتجارهم لهدم الدين
الحنيف، والتشكيك في مقوماته وثوابته، انطلاقاً من مخطئ
لثيم وضعوه، وهو: (الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها).

ومن هنا قاموا بصناعة كثيرين من العملاء ليكونوا امتداداً
لأسلافهم المنافقين الذين كانوا يُظهرون الإسلام ويبطنون
خلافه.

ولقد تنبأ رسول الله ﷺ بمثل هذا من قديم الزمان.

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: «كَانَ النَّاسُ
يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةً
أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ،
فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ:
«نَعَمْ»، فَقُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَفِيهِ

دَخَنٌ»، قُلْتُ: وَمَا دَخْنُهُ؟ قَالَ: «قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ»، قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرُ مِنْ شَرِّ؟ قَالَ: «نَعَمْ؛ دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا؟ فَقَالَ: «هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا»^(٣).

ومن هنا كان لزاماً علينا أن نفضح أولئك المستشرقين وعملاءهم، ونكشف زيفهم، وتهافت آرائهم، وضعف مطاعنهم، انطلاقاً من قول الرسول ﷺ: «جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ»^(٤).

وأحياناً يكون الجهاد العلمي أجدى على الناس والحق من الجهاد العسكري، كما أن الغزو الفكري يكون في كثير من الأحوال أضر على الناس من الغزو العسكري.

ويؤسفني أن أرفض ما كتبه مجلة "منبر الإسلام" عن الكتاب، حيث جاء فيها:

(وقد ظهر أخيراً كتاب "محمد واليهود نظرة جديدة" للكاتب والمؤرخ الهندي الكبير الدكتور بركات أحمد، وترجمة محمود

(٣) أخرجه البخاري، ك المناقب ب علامات النبوة في الإسلام، فتح الباري ٦ / ٧١٢، رقم ٣٦٠٦، ومسلم، ك الإمارة ب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، مسلم بشرح النووي ١٢ / ٢٣٦، ٢٣٧، رقم ١٨٤٧.

(٤) أخرجه أبو داود، ك الجهاد ب كراهية ترك الغزو ١ / ٥٧٧ رقم ٢٥٠٤، والنسائي، ك الجهاد ب وجوب الجهاد ٦ / ٧، وأحمد في المسند، ٣ / ٥٧٥ رقم ١١٨٣٧، والدارمي، ك الجهاد ب في جهاد المشركين باللسان واليد ٣ / ٢٨٠ رقم ٢٤٣١، والحاكم في المستدرک ٢ / ٨١، وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. (كلهم من رواية أنس بن مالك).

علي مراد، وهو من الكتب المهمة والجديرة بالقراءة، لأنه اعتمد على الأسلوب العلمي في تناول تاريخ اليهود وموقفهم من الرسول الكريم) أ . هـ .

وهذا خلاف الواقع؛ لأن الكتاب لم يعتمد على الأسلوب العلمي، ولم يلزم جانب الحياد، وإنما كان عبارة عن صياغة لأفكار المستشرقين وآرائهم المتحاملة والطاعنة في ثوابت الإسلام، والمجافية لقواعد البحث العلمي، وقد ذكرت أدلة على هذا في الفصل الأول من كتابي هذا، ومواضع أخرى في ثنايا البحث.

ثم إن المجلة قالت: (ومجمل هذه الدراسة ينحصر في أن اليهود لا عهد لهم ولا ميثاق، وكم غدروا بالرسول الكريم ﷺ وأصحابه) أ . هـ .

وهذا الذي تقوله المجلة من أعجب العجب؛ لأن كتاب "محمد واليهود" لم ينته إلى النتيجة التي زعمت أنه قررها، وهي أن اليهود قوم لا عهد لهم ولا ميثاق، وأنهم أصحاب غدر؛ بل إن الكتاب من أوله إلى منتهاه ليس سوى انحياز تام لليهود، ومحاولات مستميتة لتجميل صورتهم، ونفي صريح لما تزعمه المجلة، لدرجة أنه ذكر أن اليهود مضرب المثل في الوفاء !!

ومما يدعو للدهشة أن المجلة ذكرت - في معرض الثناء والإعجاب - المطاعن التي طفح بها الكتاب، في تجاهل تام، وغفلة عن خبثها وخطورتها !!

فذكرت قول كاتب بحث "محمد واليهود": (وما روي عن علاقة محمد بيهود الحجاز لم يكن إلا أسطورة من هذه الأساطير) !!

وقوله: (والصحيفة التي وُقِّعت بين المسلمين واليهود، والتي وُصِّفت خطأ بأنها دستور المدينة) ... إلخ !!

وذكرتُ زعمه الذي خالف فيه جميع المؤرخين وكتاب السير، وهو: (أن الوثيقة وُقِّعت بعد إجلاء بني قريظة وبني النضير).

وذكرتُ إنكاره لكل ما رُوي بشأن غزوة بني قريظة، وخاصة حكم "سعد بن معاذ" فيهم بقتل الرجال، وسبِّي الذرية، وتقسيم الأموال، وردّه لكل الروايات التي صحت بذلك، بما فيها روايات البخاري ومسلم !!

ثم قالت المجلة: (إن كتاب "محمد واليهود نظرة جديدة" للباحث والكاتب الهندي الدكتور بركات أحمد من الكتب المهمة التي عالجت هذا الموضوع بالأسلوب العلمي الذي يعتمد على التمهيص والفحص، والاستناد إلى الحقائق ومناقشة الأساطير التي انساق إليها بعض المؤرخين، والتحليل الدقيق لما أورده ابن إسحاق والواقدي وابن سعد، والبخاري ومسلم، وآراء بعض المستشرقين، وقد اعتمد الدكتور بركات أحمد على نصوص القرآن الكريم في تدعيم استنتاجاته وآرائه) أ.هـ . !!

قلتُ: إنَّ الفصل الأول من كتابي هذا، وباقي فصوله تثبت عكس ما تقوله المجلة، وتقطع بأنَّ كاتب كتاب "محمد واليهود" لم يعتمد إلا على رأيه وهو، ولم يعوّل إلا على الظنون والافتراءات والتخمينات التي استوحاها من كتابات المستشرقين والمنصرين، ليخدم بها ويؤكد معتقدات كونها سلفاً، ونتائج أعدّها قبل البحث، كما أن القرآن الكريم لا يؤيده — بحال من الأحوال — في استنتاجاته وآرائه.

ولست أدري كيف غفل كاتب المقال بشأن الكتاب المذكور في
مجلة "منبر الإسلام" عن تلك المطاعن التي سطرها بيده مادحاً
للكتاب؟؟؟

كيف غفل عن وصف "بركات أحمد" لكل ما جاء من روايات
تتحدث عن علاقات الرسول ﷺ بيهود الحجاز بأنه أساطير؟؟؟
ألا يعلم أن القرآن الكريم وصحيح السنة قد رويًا جوانب عن
علاقات الرسول ﷺ باليهود؟؟

فهل يدخل ما روياه ضمن كلام الكاتب البائس، ويوصف
بالأساطير أيضاً؟؟

وكيف غفل عن إنكار "بركات أحمد" صحيح الروايات،
وتكذيبه المتكرر - في ثنايا كتابه - لما جاء في الصحيحين،
واتفق عليه الشيخان من روايات بشأن أحداث بني قريظة؟؟
ثم ألم يقرأ كاتب المجلة ومن معه تطاول المدعو "بركات
أحمد" على مقام الرسول ﷺ، وإطلاقه على محاكمة بني
قريظة التي كوَّنها وأقرها النبي ﷺ بأنها - والعياذ بالله -:
"عدالة صورية"؟؟

وإنكاره تأييد الله تعالى لرسوله ﷺ بالمعجزات في الغزوات،
وزعمه بأن أمر تلك المعجزات وأحاديثها إنما هو من اختلاق
كتاب السير ومبالغاتهم؟؟

وطعنه في عدالة الصحابة وسبهم وشتمهم؟؟

ونعته للهجرة النبوية بأنها هروب؟؟

وثنائه على أخلاق اليهود، ونفي وقوع الغدر منهم، واتهامه

للمؤرخين المسلمين بالتحامل عليهم؟؟

وزعمه بأن اليهود لك يكونوا يعرفون النبي ﷺ، ولم تتبين لهم
أية علامة على صدق نبوته ... إلي آخر تلك المطاعن
والمغالطات التي طُفح بها الكتاب !!؟؟

أما بعد؛ فإن الإنسان ليتساءل والأسى يملأ كيانه:

ما المصلحة التي تعود على المسلمين في مصر وخارجها من
قيام وزارة الثقافة في بلد الأزهر بترجمة ونشر مثل هذه الكتب،
وتوزيعها على الناس بزهد الأثمان، دون أن تكون متبوعة ببيان
خطورتها، والرد على مطاعنها !!؟؟

وهل نفذت جميع الكتب الهادفة البناء حتى تلجأ وزارة
الثقافة المصرية إلى ترجمة كتاب "محمد واليهود نظرة جديدة"
ونشره، لتذيع على الناس ضلالاته وأباطيله، وتجرحهم
بمطاعنه؟

ثم: هل يسمح النصارى بنشر كتاب في بلادهم ينال من
عقائدهم وثوابت دينهم؟

وهل يمكن أن يساند اليهود أو يدعموا كتاباً ينال من
اليهودية أو الصهيونية في أي مكان في العالم؟

وهل نرى الشيوعيين يتركون ورقة تُنشر على الناس في
بلادهم، لتنال من الشيوعية، وتطعن في ثوابتها ومبادئها؟
بالتأكيد: كلا ..

فلماذا يحدث هذا في بلاد المسلمين، وبأموال المسلمين، وبأيدي
المسلمين !!؟

إن مثل هذه الكتب التي تنال من الإسلام لا يجوز أن تُنشر إلا

ومعها ردودٌ كافيةٌ وافيةٌ تفندُ أباطيلها، وتدحضُ مفترياتها،
ليبراً المسلمون من بلائها، ويكونوا في منجاةٍ من سمومها
وأخطارها.

أما أن تُنشر وتُترك هكذا بين المسلمين، تُحمل التشكيك في
حقائق الإسلام، وتطعن في ثوابت الدين، كما تحمل الريحُ
الجرائيمَ الفسّاحةَ والأوبئةَ المهلكةَ؛ فهذا يكون مظهراً لأعداء
الإسلام على حربه، ومؤازرة لهم في الصدِّ عن سبيل الله وابتغائها
عوجاً.

وأما مجلة وزارة الأوقاف التي رُوِّجت للكتاب وأثنت عليه؛ فإن
عليها أن توضح للناس رسالتها، وتحدد موقفها: هل تعمل
لصالح الدعوة الإسلامية، أم ضدها؟
والله الهادي إلى سواء الصراط.

وكتبه: أبو مریم: إسماعيل علي محمد
ظهر السبت: ٢٧ صفر ١٤٢٠هـ ١٢ يونيو ١٩٩٩م
في: كفر حماد - كفر صقر - الشرقية - مصر

*** **

الفصل الأول

أضواء على مصادر الكتاب ومنهجه

أولاً: مصادر الكتاب مشبوهة

ثانياً: منهج الكتاب يجافي قواعد البحث العلمي
النزيه

أولاً: مصادر الكتاب مشبوهة

لقد استقى صاحبُ كتاب «محمد واليهود نظرة جديدة» الآراء التي سَوَّدَ بها صفحاتِ كتابه من إنتاج المستشرقين المتحاملين على الإسلام، بل والمتطرفين في عداوتهم لكل ما يُمْتُّ للإسلام بصلة، واستُغِلَّ في الترويج لمطاعن كثيرة ضدَّ الإسلام، لدوافع وأهدافٍ غير نزيهة ولا شريفة، بحيث يمكن أن نقرر مطمئنين - دون مبالغة - بأنَّ المطاعن التي طَفَحَ بها كتابه ما هي إلا صورة أو نسخة مكررة من حَمَلات المستشرقين ومفترياتهم على الإسلام، كما أنَّ الكتاب لا يعدو أن يكون ترديدًا لآراء أناسٍ نَدَرُوا أنفسهم لحرب الإسلام، سواءً أنسب الكاتب إليهم آراءهم؛ أم خدع القارئ وأوهمه بأنها من عصارة فكره، وخلاصة رأيه.

وجديرٌ بالذكر أنَّ حقيقة دوافع المستشرقين في بحوثهم المتصلة بالإسلام، أنها دوافع عدائية، تلتقي في النهاية على الكيد له، والصدِّ عن سبيل الله وابتغائها عوجاً.

ونحن إذ نقرر هذه الحقيقة، فإنه يؤسفنا القول بأنَّه: إن كان هناك من قصد نبيلٍ أو دافع بريءٍ لدى المستشرقين؛ فإنه يبدو ضئيلاً جداً أو تائهاً في محيط الدوافع المشبوهة، والأهدافِ العدائية المريبة، والمقاصد غير النزيهة، كما أنَّ موقع الدافع العلمي الخالص في إطار حركة الاستشراق يظل محدوداً، حتى إنه ليتوارى في كثير من الأحيان

من خريطة الدراسات الاستشرافية، كما يبقى محدود الأثر، بدرجة يعجز معها عن ترسيخ تيارٍ عامٍّ، يستطيع أن يزاحم تيار التحامل والتحيّز ضد الإسلام، ويُعدّل من صورته المشوّهة لدى الغرب. وقد أبتت - بتوفيق الله - هذه الحقيقة وأثبتتها بالبراهين القاطعة، في بعض كُتبي، بما يغني عن الإعادة هنا^(٥).

وحيثما نلقي نظرة فاحصة في مصادر كتاب «محمد واليهود» يتبين لنا أنها مصادر تفتقر - في مجملها - إلى النزاهة والحياد العلميين، ما جعلني أقول - دون تجاوز للواقع - بأنها مصادر مشبوهة، خان أصحابها رسالة العلم، وأمانة القلم، هذه المصادر لجأ إليها صاحب الكتاب المذكور، واستعان بها في قذف التهم الباطلة والمطاعن الآثمة ضد الإسلام، فكان مثله كمثّل من يلصق الاتهامات الظالمة بالأبرياء، ثم يستعين على إثبات دعواه الفاجرة بالعشرات من شهود الزور، الذين تُعصّ بهم أسواق النفاق والطمع، ومبءات العصيان والآثام، ممن باعوا ضمائرهم، وغدّوا عبيداً لشهواتهم، وهاموا في أودية الدنيا على وجوههم.

فالكاتب قد استقى ضلالاته، وروج لمطاعنه، مستعيناً بشهود الزور من المستشرقين، وحاول خداع الناس بأنه رجع إلى مصادر علمية نزيهة، ولكن هيهات أن ينطلي علينا خداعه.

(٥) يراجع الفصل الثاني من كتابي: الاستشراق بين الحقيقة والتضليل ص ٢٥ - ٨٥.

ولا غرّو؛ فإن حركة الاستشراق الضخمة على مدار تاريخها - وإلى الآن - يسيطر عليها إمّا صليبيّ متعصّب، أو يهوديّ حاقد، أو استعماريّ جشع، أو ملحدٌ يجارب الدين من أصله، بالإضافة إلى مَنْ يدور في فلك هؤلاء وأولئك من أعداء الإسلام، وطلاب الدنيا. ونلقي نظرة عاجلة على بعض مصادره التي اعتمد عليها، ونوّه إليها في صدر كتابه، ودكرها أيضًا في قائمة المصادر آخر الكتاب، وذلك على النحو التالي:

١- كتاب «حياة محمد» لـ «مكسيم رودنسون»:

وهو مستشرق فرنسيّ، وقد اعتمد الكاتب على الترجمة الإنجليزية التي قامت بها «آن كارتر»، ونُشرت في نيويورك عام ١٩٧١ م. هذا الكتاب الذي كتبه «رودنسون» واعتمد عليه صاحب كتاب «محمد واليهود» يُعدّ من أسوأ كتب الاستشراق، وأكثرها بذاءة وتطاولاً على مقام الرسول محمد ﷺ.

وقد قامت الجامعة الأمريكية بالقاهرة - وهي ذات وجهة تنصيرية - بتدريس هذا الكتاب الخطير على الطلبة في العام الجامعي ١٩٩٨/٩٧ م، وفضحت الصحفُ في ذلك الحين مسلك الجامعة القبيح، وكانت فرصة لأن تفضح كذلك ما حواه الكتاب المذكور من عبارات السوء والبهتان في حق نبي الإسلام ﷺ.

وكان ممن كشف عن هذه الجريمة وأبان عن مضمون الكتاب،

الكاتب «صلاح منتصر» في صحيفة «الأهرام»، حيث قال:
والكتاب فيه أكثر من ٥٠ فقرة تستفز أيَّ مسلم، لكنني أكتفي بنماذج
منها:

في صفحة ٧٨ يقول المؤلف: (إن محمداً تزوج من السيدة خديجة
كي يخرج من الفقر، ويضمن مستقبلاً مزدهراً، وأنه كان يعاني كبتاً (عقداً
نفسية) في طفولته بسبب اليتيم والفقر، فتعلق بهذه الزوجة على الرغم
من أنها لم تشبع نزواته الجنسية).

وفي صفحة ١١٥ يحاول المؤلف تأكيد أن القرآن من اختراع محمد،
وأنه يأتي بالآيات وفقاً لهواه، ويقول: (نظراً لأن محمداً تزوج من
السيدة خديجة التي كانت تكبره سنّاً، وأنها تزوجت قبله مرتين؛ فقد
جاءت الآيات تواسيه بقولها: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ...﴾!)
وفي صفحة ١٥١ يقول المؤلف: (إن قصص القرآن ما هي إلا
ترديد لما تعلمه محمد وسرقه من الأديان السابقة، ومن الكتب
اليهودية).

وفي صفحة ١٦٢ يقول المؤلف: (إن في آخر الرسالة أصبحت لغة
القرآن أقلَّ عصبية وأكثرَ هدوءاً).

وفي صفحة ٣٥١ يقول المؤلف: (إن السور القرآنية التي نزلت في
المدينة تغير مضمونها وأصبح القرآن شبه جريدة يومية، تُنشر فيها
التعليقات الخاصة بالقوات، والأحكام الخاصة بالنظام الداخليّ

للدولة) .. ويضيف المؤلف: (إن هذا النشر الذي صيغ به القرآن مملوء بالتكرار والأخطاء اللغوية).

وفي صفحة ٣٣٨ يقول المؤلف: (لقد بقي القرآن بعد محمد، وهو نتاج عقله الباطن الذي ابتدع نوعاً من الشعر)^(٦).

ومن البذاءات التي حملها كتاب «رودنسون» أيضاً:

قال المؤلف في ص ٥١: (كان من سوء الحظ أن شعر - أي محمد - تجاه خديجة بالعاطفة الطبيعية التي أرواها بعد ما تقدمت به السنُّ مع النساء الشابات والمحجوبات في حريمه).

ونلاحظ هنا استخدام الكتاب للفظ (Procure)، ومن معانيه: يعمل قوَّاداً ويجلب النساء للزنا، مع إمكانية استخدام ألفاظ أخرى، وكذلك استخدام لفظ الحريم، لكنها السفالة تأبى إلا أن تختار ألفاظها.

وكان المؤلف عَزَّ عليه أن يترك ذنباً أو نقيصة دون أن يلصقها بالنبي ﷺ، فقال في صفحة ٥٥: (كان محمد مرتبطاً بأولاده بروابط أقوى من أي وثيقة، رغم ما عرفناه من ميوله الغرامية بعد ذلك، ويصعب أن نتخيل أوقاتاً كثيرة مرَّ بها دون أن يكون مستحقاً للعبارة الإنجيلية - التي كان سماعها سيفزعه لو سمعها -، وهي أنه «ارتكب

(٦) كتاب يجب وقفه، صلاح منتصر، صحيفة الأهرام (المصرية) ص ١١، العدد ٤٠٧٠٠، الأربعاء ١٧ محرم ١٤١٩ هـ - ١٣ مايو ١٩٩٨ م.

الزنا في قلبه» ... كان عليه أن يتجنب الإغراءات عدة مرات ربما ببساطة خادعة، ولكن بصرف النظر عن بساطة أو صعوبة الأمر فإننا نعرف كم كلفه التغلب على نداء الغريزة الذي ربما يكون قد نجح في التخلص منه).

هل تحتاج هذه الفقرة إلى تعليق؟

هل هناك سفالة أكبر من "ارتكب الزنا في قلبه"؟

بل والتشكيك في نجاحه في التغلب على "نداء الغريزة" ^(٧).

«وينبغي أن نلفت الانتباه إلى أن لـ "مكسيم رودنسون" مواقفَ مناهضة للصهيونية ولإسرائيل، ولكن ذلك يجب ألا يُعمي عيوننا عن السم الكثير الذي يدسه في مؤلفاته وكتبه عن الإسلام ونبيِّ الإسلام صلوات الله وسلامه عليه، بل لعل من الكياسة أن ننظر بريية إلى مواقفه المناهضة للصهيونية، فلعلها تكون عن سابق تخطيط، ليسهل عليه إيجاد مدخل إلى العقول من هذا الباب، حتى إذا دخله أطلق العنان لأحقاده الصهيونية ضد الإسلام والمسلمين، كما نجد في معظم مؤلفاته» ^(٨).

(٧) الفرنسي السافل في الجامعة الأمريكية، محمد القدوسي، جريدة الشعب (المصرية) ص

٢، العدد ١٢٦٠، الثلاثاء ٢٣ محرم ١٤١٩هـ - ١٩ مايو ١٩٩٩م.

(٨) السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمية، زياد أبو غنيمه ص ١٢٠، دار عمار - الأردن، ط الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٢- كتاب «دراسات إسلامية» لـ «جولد زيهر»:

وممن اعتمد عليهم صاحب كتاب «محمد واليهود» - أيضاً - المستشرق «جولد زيهر» في كتابه «دراسات إسلامية». وهو من أشهر المستشرقين المعادين للإسلام. وأما كتابه المشار إليه فهو يحوي كثيراً من التحامل على الإسلام، ويطفح بتزوير للحقائق.

وقد ردّ على بعض ما أثاره هذا المستشرق من شبهات خطيرة حول السنة النبوية في كتابه المذكور وغيره من الكتب التي ألفها: الدكتور «مصطفى السباعي» في كتابه «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي»، كما أن الشيخ «محمد الغزالي» فنّد كثيراً من أباطيله وأكاذيبه التي ضمنها كتابه «العقيدة والشريعة في الإسلام»، وأفرد للرد عليه كتاباً أسماه «دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين».

ثم إن الدكتور «محمد البهي» صنّفه ضمن قائمة بالمتطرفين من المستشرقين، وقال عنه: «جولد زيهر»: «مجريّ، عُرف بعدائه للإسلام، وبخطورة كتاباته عنه، ومن محرري «دائرة المعارف الإسلامية»، كتب عن القرآن والحديث، ومن كتبه: «تاريخ مذاهب التفسير الإسلامي» المترجم إلى العربية تحت العنوان السابق^(٩)، كما أنّ الدكتور «البهي»

(٩) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، د. محمد البهي ص ٤٤٨، مكتبة وهبة - القاهرة، ط العاشرة.

صنف بعض كتب «جولد زيهر» ضمن قائمة بالكتب الاستشراقية المتطرفة^(١٠).

وقال عنه الشيخ «محمد زاهد الكوثري» - في معرض حديثه عن كتابات المستشرقين ضد الإسلام :-

(من أخطر هذا الفريق الممؤه «جولد زيهر» المجريّ الدّم، اليهوديّ النّحلة، العريق في عدااء الإسلام، الماضي في هذا السبيل طول حياته، وهو من رجال أوائل القرن الميلادي الحاضر^(١١))، وله دراسات في القرآن وعلومه، والفقه وأصوله، وفي الكلام وفرق المتكلمين.

إلا أنه محتال، ماهر في توليد ما يشاء من نصوص يتصيداها من مصادر تعجبه باعتبار غايته، مغالطاً في تحميلها ما لا تحتمله من المعاني عند أهل البصيرة، ومتجاهلاً اختلاف منازل تلك المصادر في الثقة و التعويل)^(١٢).

٣- آراء المستشرق «مرجليوث»:

وقد قال عنه الدكتور «محمد البهيّ»: (إنجليزي متعصب ضد

(١٠) السابق ص ٤٥٤ .

(١١) وُلد «جولد زيهر» في عام ١٨٥٠ من أسرة يهودية، وتوفي عام ١٩٢١ . موسوعة المستشرقين، د. عبد الرحمن بدوي، ص ١٩٧، ١٩٨، دار العلم للملايين - بيروت، ط الثالثة ١٩٩٣ .

(١٢) دفاع عن العقيدة والشرعية ضد مطاعن المستشرقين، محمد الغزالي ص ١٧، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، ط الخامسة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

الإسلام)^(١٣)، كما ذكره ضمن قائمة بالمتطرفين من المستشرقين. وقد كان «مرجليوث» يرى في الرسول ﷺ دجالاً ماكرًا معدوم الضمير، وسياسياً يخدع الآخرين بشعوذاته^(١٤).

كما أنه - في عام ١٩٢٥ - ألف كتاباً افتري فيه على القرآن الكريم، وزعم أن القرآن الكريم مدين ببلاغته ومجازه للشعر الجاهلي، كما يزعم مرجليوث أن محمداً ﷺ عاش بعد "فراره" من مكة على النهب والسلب والتلصص^(١٥).

٤- كتابات المستشرق المنصر «لامانس»:

وقد قال عنه الدكتور «محمد البهي»: (هنري لامنس اليسوعي، فرنسي- (١٨٧٢ - ١٩٣٧ م)، من محرري «دائرة المعارف»، شديد التعصب ضد الإسلام والحقد عليه، مفرط في عداائه وافتراءاته لدرجة أقلقت بعض المستشرقين أنفسهم .. (انظر ص ١٥، ١٦ من ١، من المجلد ٦، يناير سنة ١٩٢٥ م، من مجلة جمعية الدراسات الشرقية الأمريكية)^(١٦). وقد عرض الإمام الراحل الشيخ «عبد الحلیم محمود» إلى صور

(١٣) الفكر الإسلامي الحديث، ص ٤٥١.

(١٤) الإسلام في تصورات الغرب، د. محمود حمدي زقزوق، ص ١٨٥، مكتبة وهبة - القاهرة، ط الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧ م، وهو عبارة عن ترجمة لفصول مختارة من كتاب «موجز في أدب علوم الإسلام»، للمستشرق الألماني «جوستاف بفانمولر».

(١٥) السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمية ص ١٢٠.

(١٦) الفكر الإسلامي الحديث، ص ٤٥٢.

من أحقاد هذا المستشرق، وتطاوله على مقام رسول الله ﷺ؛ حيث ذكر من مفترياته أنه اتهم الرسول ﷺ بعدم الشجاعة، وزعم أنه ﷺ كان يكره الوحدة، وأنه كثّف جسمه بالملذات، وأنه كان نؤوماً... وهكذا!! في تجاهل تام لما صح وثبت من سيرته ﷺ الناصعة^(١٧).

٥- كتاب "حياة محمد" للمستشرق "وليام موير":

وهذا الكتاب قد صنّفه الدكتور «محمد البهي» ضمن الكتب المتطرفة المشوّهة للإسلام^(١٨).

وقد «زعم فيه أن تعاليم الإسلام مأخوذة من الأديان السابقة، ولكن محمداً وضعها في ثوب جديد، ويعبر «موير» عن حقه الأسود ضد الإسلام بقوله: إن سيف محمد والقرآن هما ألد أعداء الحضارة والحقيقة والحرية»^(١٩).

٦- ومن المصادر المهمة لكتاب «محمد واليهود» بعض كتابات وآراء المستشرق «برنارد لويس»:

فقد أقر الكاتب «بركات أحمد» بأنه كان ملازماً له طيلة عمله في الكتاب، وكان لمقترحاته وتعليقاته وآرائه أثرٌ فعّال في إخراج الكتاب على النحو الذي صار عليه^(٢٠).

(١٧) انظر: أوروبا والإسلام، د. عبد الحليم محمود ص ١٢٧ وما بعدها، دار المعارف - القاهرة، ط الرابعة.

(١٨) الفكر الإسلامي الحديث، ص ٥٤٢.

(١٩) السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام ص ١١٩.

(٢٠) يُنظر: محمد واليهود ص ١١، ١٣، ١٤.

هذا؛ و «برنارد لويس» من المستشرقين الذين تفوح من ثانيا دراساتهم روائح الخبث الصهيوني، وهو مستشرق يهودي، إنجليزي الجنسية، كان مدرساً في معهد الدراسات الشرقية في لندن عام ١٩٤٦م، ثم أقام في أمريكا، وقد نشر كتاباً زعم فيه أن الإسلام يشجع أتباعه على استرقاق الناس واتخاذهم كعبيد، وقد تُرجم الكتاب إلى الفرنسية، ونشرت صحيفة «الفيغارو» تقریظاً للترجمة الفرنسية في عددها الصادر في ٥ / ١٠ / ١٩٨٢ (ص ٢٧) (٢١).

وجدير بالذكر أن هذا المستشرق اليهودي الماكر قد أعد دراسة خطيرة، تتضمن تصوراً ومخططاً لتفتيت العالم الإسلامي وتفكيكه، وإلغاء الأمة الإسلامية وتحويلها إلى ركام من الطوائف والملل والنحل والمذاهب والأقوام والأعراق، لضمان العلو الإسرائيلي، وهيمنة اليهود، ليس فقط على فلسطين؛ وإنما على وطن العروبة وعالم الإسلام.

وهذه الخطة ترمي إلى تقسيم الشرق الإسلامي إلى دويلات إثنية أو مذهبية؛ حيث إنها تحوي تصوراً تفصيلياً لتقسيم باكستان وأفغانستان وإيران والعراق وسوريا والأردن والسعودية ولبنان ومصر والسودان وبلاد المغرب وغيرها ..

وقد نشرت هذه الخطة مجلة تصدر عن وزارة الدفاع الأمريكية

(٢١) السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمية ص ١٢١ بتصرف.

(البتاجون) (٢٢).

فماذا عسى أن يقدم هذا المستشرق وأمثاله لصاحب كتاب «محمد واليهود» من مقترحات وآراء سوى التزوير وطمس الحقائق، وهذا ما طفح به الكتاب.

وهكذا نرى أن مصادر «محمد واليهود» ليست إلا آراء وكتابات المستشرقين العدائية للإسلام، فكان طبيعياً أن تأتي نتيجة الدراسة ومقترراتها متمشية مع نتائج بحوث أولئك المستشرقين المتحاملين على الإسلام، والتي تجافي الحق من سائر الوجوه.

وأما ما ذكره في آخر الكتاب وفي ثناياه من عدد من المراجع الموثوق منها، وعلى رأسها كتب التفسير والحديث ونحوها؛ فإن هذا إيهام منه للقارئ بأهمية البحث، وخداع له بالإيجاء بأن نتائجه مستقاة من مثل تلك المراجع المحترمة.

ولكن هيهات؛ فإن قراءة الكتاب والوقوف على ما فيه تُبين أنه ليس في كتب التفسير والحديث، ولا في أي مرجع محترم ما يؤيده في ضلالاته وأباطيله ومفترياته الظالمة، بل إنها تنقض مفترياته التي

(٢٢) يُنظر تفصيل ذلك في: الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، للمؤلف، ص ٧١ - ٧٥، نقلاً عن: المشروع الصهيوني لتفكيك العرب والمسلمين، دراسة للدكتور "محمد عمارة" منشورة بجريدة الشعب المصرية، عدد ١١٧٦، ص ٤، عدد الثلاثاء ٣ ربيع الأول ١٤١٨ هـ ٨ يوليو ١٩٩٧ م.

استوحاها واستقاها من أساتذته المستشرقين ألد أعداء الإسلام،
الذين خانوا رسالة العلم وأمانة القلم، وكانوا دائماً أسارى التحزب
والتعصب والحق.

وقبل أن أترك الحديث عن مصادر الكتاب وكشف حقيقتها، أشير
إلى أن الكاتب «بركات أحمد» قد صدر الكتاب بالشكر لعدد من دور
النشر التي سهلت له مهمته، أي الحصول على الكتب المسمومة التي
عَبَّ منها وتضلع، ومنها كتاب «محمد» للمستشرق الفرنسي- المتطرف
«مكسيم رودنسون»^(٢٣).

وقد لوحظ أنّ من بينها دور نشرٍ يهوديةً مغرقةً في عداؤها للإسلام،
ومنها دار «بنجوين»، وهذه الدار معروف عنها النشاط في إذاعة ونشر
الكتب الاستشراقية المتحاملة على الإسلام، وكان لها نشاط ملحوظ
في نشر كتاب «الإسلام» للمستشرق الإنجليزي التبشيري المتعصب
«ألفرد جيوم»؛ حيث نشرته غير مرة، ويبيع بثمن زهيد، بهدف شيوعه
وانتشاره.

والكتاب حملة سافرة على نبي الإسلام؛ إذ أَلَقْتُ عليه مسؤولية
اضطهاد اليهود وتشتيتهم، وقتلهم بدون مبرر ترضاه العدالة - في
زعمه -^(٢٤).

(٢٣) محمد واليهود، ص ١١.

(٢٤) صور استشراقية، د. عبد الجليل شلبي، ص ٣٦ بتصرف، دار الشروق - القاهرة، =

ومن هنا نستطيع أن نكتشف الأصابع الحقيقية التي أخرجت كتاب
«محمد واليهود نظرة جديدة»، وشهود الزُّور الذين استعان بهم
الكاتب في نسج مفترياته وأباطيله.

*** **

= ط الثانية ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م.

ثانياً: منهج الكتاب يجافي قواعد البحث العلميّ النزيه

وإذا كان كتاب «محمد واليهود نظرة جديدة» صدى لأفكار المستشرقين، أو بعبارة أخرى: عبارة عن تجميع وبلورة لأرائهم في القضايا التي تضمنها؛ فقد كان من الطبيعي أن يحمل في طياته سماتٍ وخصائص منهج البحث الاستشراقيّ في الدراسات الإسلامية، ذلك المنهج المصطنع الذي جاء وليد التحزب والتحامل الظالم ضد الإسلام، ومجافياً تماماً لقواعد المنهج العلميّ النزيه في البحث نصّاً وروحاً^(٢٥).

ومن مظاهر مخالفة كتاب «محمد واليهود» للمنهج العلميّ ما يلي:

(٢٥) بينت - بالتفصيل - في كتابي (الاستشراق بين الحقيقة والتضليل) ملامح منهج البحث الاستشراقيّ في الدراسات الإسلامية، ورصدت بالأدلة الدامغة ستة من هذه الملامح، وهي بإجمال:

أولاً: اعتقاد أمور، وتكوين آراء وافتراضات مقدّماً، ثم التماس التأييد لها.

ثانياً: الكتابة عن الإسلام بما يتصوره المستشرقون، لا من واقع ما يعتقدّه المسلمون.

ثالثاً: الكذب وعدم تحري الأمانة في النقل.

رابعاً: انتقاء المثالب وتضخيمها، وإهمال الحقائق المنصفة.

خامساً: عدم دراسة الإسلام من مصادره المعتمدة.

سادساً: دراسة الإسلام بعقلية أوروبية مسيحية.

١- اعتقاد أمور وتكوين آراء مقدّما، ثم التماس التأييد لها:

ذلك أنه من مقتضيات وقواعد البحث العلمي أن يبدأ المرء في بحثه لأمرٍ ما وهو خالي الذهن من أحكام سابقة، ثم يكون آراءه من خلال ما تجمّع لديه من أدلة ومعطيات، فيستخلص النتائج من المقدمات.

وأما صاحب كتاب «محمد واليهود» فقد اختار لنفسه السير على نهج أساتذته المستشرقين حين يبحثون في الدراسات الإسلامية، حيث يقومون بالاعتقاد قبل الدليل، والاستنتاج قبل المقدمات، فيكون في رأس أحدهم فكرة سابقة، ثم يحاول جاهداً أن يلتمس لها الأدلة، ولو أدى ذلك إلى بتر النصوص، أو تشويه الحقائق، أو استخدام أية وسيلة غير نزيهة.

يقول «بركات أحمد»: «... كما أن التحامل على الآخرين يضيف مرارة للأساطير، والاعتبارات السياسية وكتابات العلماء المتحيزين تخلع على الأساطير ثوب التاريخ، وما رُوي عن علاقة محمد بيهود الحجاز لم يكن إلا أسطورة من هذه الأساطير، وقد قمتُ بتحليل هذه الفترة المبكرة من فترات التاريخ الإسلامي الذي قبل المؤرخون المسلمون منهم وغير المسلمين ما ورد فيه على علته دون تمحيص.

وإذا نجحت نظرتي الجديدة في إثارة شكوكٍ بشأن الشواهد التي تستند إليها الروايات المذكورة؛ فسأعتبر أن محاولتي كانت تستحق أن

تُبْدَلُ» (٢٦).

فالكاتب قد نزل ميدان البحث، وهو يحمل في رأسه فكرة مسبقة، ومعتقداً يريد إثباته، وهدفاً يريد تحقيقه؛ ألا وهو إثارة الشكوك حول الروايات التاريخية التي تتعلق بعلاقة الرسول ﷺ بيهود الحجاز، ومن ثم سوف تكون كل جهوده مسخرة لخدمة هدفه الذي عقد العزم على تحقيقه قبل أن يخوض غمار البحث !!

ولا عجب؛ فهذا - كما أشرتُ من قبل - دأبُ أساتذته المستشرقين. فأحدهم - على سبيل المثال - يكون فكرة مسبقة عن الرسول ﷺ، مثل أن يعتقد أنه - ﷺ - ليس بنبي، ثم يقتحم ميدان البحث بهذا الاعتقاد السيئ، ويكرس كل جهده لإثبات أنه ﷺ ليس بنبي !!

وآخر يعتقد مقدماً أن الإسلام ملفق من اليهودية والنصرانية، قبل أن يبحث، ثم يخوض غمار البحث والدراسة، لا ليسير مع الدليل حيثما سار، أو ليستخلص النتائج من المقدمات؛ ولكن يُسخر ما لديه من معلومات، ويوظفها ويلوي أعناقها ويعتصرها، كي تدل على ما اعتقده سلفاً.

٢- الاعتماد على الافتراضات والتخمينات لإثبات الشبهات التي يثيرها:

وفي سبيل محاولات المستشرقين وتلاميذهم إثبات معتقداتهم وما

(٢٦) محمد واليهود، ص ١٣.

يدّعون من شبهات وافتراءات على الإسلام، لا مانع لديهم من الاعتماد على الافتراضات والتخمينات حينما يعجزون عن إيجاد دليل، حتى إنك لتجد أحدهم يهزّ كتفيه، ويقول بكل برود: نحن مضطرون لأن نفترض كذا وكذا!!^(٢٧).

وقد نقل صاحب كتاب «محمد واليهود» - برضاً وارتياح - ما زعمه أحد اليهود وحاول أن يثبته، من أن النبي ﷺ كان تلميذاً نجيباً لأهل الكتاب - زعموا - وبواسطتهم أتى بما أتى به من دين، والعياذ بالله من هذا الاعتقاد، وتابع قائلاً:

(٢٧) ومن الأمثلة على هذا المسلك ما فعله المستشرق اليهودي الألماني "ولهلم رودلف" في كتابه: (صلة القرآن باليهودية والمسيحية)؛ حيث إن الأساس الذي قام عليه بحثه هو ما اعتقده المؤلف من أن القرآن من عمل محمد ﷺ ونتاج فكره، فذهب يبحث عن المصادر التي مدت النبي ﷺ بهذه المعلومات - في زعمه - فأتعبه البحث كثيراً ولم ينته به إلا إلى افتراضات لم يجد لها دليلاً.

وقد أفصح "رودلف" نفسه عن هذا المسلك، فقال صراحة: «إننا المضطرون أن نفترض أن اليهودية والمسيحية قد عرفتا السبيل على نحو ما إلى مكة، التي يعنينا أمرها كثيراً لأنها موطن محمد، وإن لم يكن ثم ما يثبت أنه كان بها يهود أو مسيحيون في عهد محمد، ومن العسير أن نظن أنه كان بها كثير منهم، وإلا لاحتفظت لنا السير بأبناء إسهاباً مما تناهى إلينا».

فهو يعترف أنه لم يكن في مكة أتباع لليهودية ولا النصرانية، لأن ما وصل إلينا من أبناء ليس فيها ما يشير إلى وجود أحدٍ من أتباعها يمكن أن يتلمذ عليه الرسول محمد ﷺ، ومع هذا فهو يستمر في غيّه ولجاجته، ويحاول جاهداً تلمّس ما يؤيد معتقده الفاسد، وظنّه السيئ في القرآن والرسول ﷺ.. فأين هذا من المنهج العلمي؟! (الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، للمؤلف، ص ١٤٤).

«ثم خلص إلى أن (للمرء أن يفترض بقدر معقول من الصواب أن محمداً كان في سنواته المبكرة على صلة وثيقة بنفر من اليهود لم يكونوا يختلفون كثيراً عن أولئك الذين تُصوِّرهم الكتابات التلمودية)»^(٢٨).
وسوف نأتي لدحض هذه الفرية لاحقاً.
وهذا النهج بعينه هو ما سار عليه «بركات أحمد»؛ فهو يأبى إلا أن يتابع أساتذته حذو القُذَّة بالقُذَّة^(٢٩).

ففي سبيل محاولاته لتحقيق هدفه السابق الذي أعلن عنه منذ البداية، وهو إثارة الشكوك حول الروايات التاريخية بشأن علاقة الرسول ﷺ باليهود؛ راح يزعم أن كُتِّب السيرة النبوية حين ضمَّنا كتبهم ما يتعلق باليهود وعلاقتهم بالرسول ﷺ؛ إنما فعلوا ذلك تحت تأثير مشاعر التحامل والبغض لليهود، بسبب ما قاموا به من مناوآت، وادعاء بعضهم للنبوَّة كابن عيسى اليهودي، أيام الدولة العباسية.

ولكي يثبت هذا الزعم لم يجد إلا أن يفترض، أو بالأحرى يتوهم دليلاً يؤيد به ما أراد أن يثبته، فقال:

(٢٨) انظر ص ٢١، ٢٢.

(٢٩) أي مثلاً بمثل، وهو مثل يضرب في التسوية بين الشئيين. ومثله: حذو النعل بالنعل. والقُذَّة: لعلها من القُدَّ وهو القطع، يعني به قطع الريشة المقذوذة على قدر صاحبها في التسوية، وهي فُعلة بمعنى مفعولة، كاللقمة والغرفة. مجمع الأمثال، أحمد بن محمد بن أحمد الميداني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ١/ ١٩٥، دار القلم - بيروت.

«إن هناك من الأسباب ما يغري بافتراض أن قصص بني قينقاع وبني النضير، وكذلك بني قريظة أولاً وقبل كل شيء، لم تكن جزءاً من مغازي الرسول ﷺ، بقدر ما أريد لها أن تكون إنذاراً موجهاً ليهود الإمبراطورية العباسية بأنه إذا جاء "ابن عيسى" آخر فستأصل شأفتكم كما استؤصلت شأفة بني قريظة»^(٣٠).

وفي معرض اتهاماته الكثيرة الظالمة لابن إسحاق، والمتحاملة عليه دون سند من دليل يوثق به، أو إثارة من علم؛ نراه يلجأ كذلك إلى الافتراضات التي يريد - بأي شكل - أن يجعلها أدلة علمية، فيقول: «لذلك فلنا أن نفترض أن عدم وجود إسنادٍ بالنسبة لبعض الأحداث المهمة في خيبر يفيد أن ابن إسحاق استمد مادته بشأنها من "القص الشائع"»^(٣١).

ويقول في موضع آخر: «ومن المحتمل استناداً إلى هذه الإشارات الثلاثة التي تسبق الرواية الأصلية لأحداث بني قريظة، أن يكون ابن إسحاق قد تأثر بالأفكار التي كانت سائدة في عصره بشأن اليهود، أي أنهم - أو على الأقل أحبارهم - كانوا يعرفون قبل ميلاد الرسول ﷺ أن نبياً سيبعث بين العرب، وأن أحبارهم أخبروا مشركي قريش، بالرغم من ذلك أن دينهم أفضل من دين الرسول الذي يؤمن مثلهم بإله

(٣٠) محمد واليهود، ص ٣٠.

(٣١) السابق، ص ٣٤.

واحد» (٣٢).

وهكذا نرى أن المستشرقين وعملاءهم مستعدون لأن يفعلوا أي شيء في سبيل إثبات ما حُشيتُ به رؤوسهم، وملئت به أدمغتهم، ولو أدى هذا إلى أن يجعلوا من الظن والتخمين يقيناً، ومن الافتراضات واقعاً، ومن التخيلات والأوهام حقائق ثابتة، لا يتطرق إليها شك !!

٣- ردُّ الأخبار والروايات الصحيحة دون حجة أو برهان:

ولقد سلك الكاتب مسلكاً عجيباً في البحث، وذلك أنه إذا كانت هناك رواية تتصادم مع فكرته التي كونها مسبقاً، أو كانت تتعارض مع هواه، ردّها بكل سهولة، وقال في جراءة عجيبة: إنها لا تصح، ويهيل التراب - بجرّة قلم - على حقائق التاريخ وصحيح الروايات، غير مكترث بمسألة من مسلمات البحث العلمي، وهي أن الباحث

(٣٢) السابق، ص ١٣٣.

وجدير بالذكر أن الذي يدعي "بركات أحمد" أنه أفكار وإشاعات كانت سائدة في عصر ابن إسحاق؛ ما هي إلا حقائق أثبتها الله تعالى في القرآن الكريم، ومن ذلك أن اليهود كانوا يعرفون رسول الله ويعرفون أن زمانه قد أطلّ، وهذا واضح في آيات كثيرة، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (سورة البقرة: ٨٩). وقوله سبحانه: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة: ١٤٩). وقوله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ (سورة النساء: ٥١). ونعوذ بالله من الخذلان.

يلزمه تقديم الدليل على ما يدعيه من دعوى، سواء أكانت تصديقاً أم تكذيباً، قبولاً أم رفضاً، وهذا ما يقرره القرآن الكريم في إيجاز وإعجاز، بقوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٣٣).

وأسوق هنا مثلاً على هذا النهج الذي سلكه الكاتب فيما يلي:
قال الكاتب: «ويذكر ابن إسحاق دون إسناد أن الحجاج بن علاط السلميّ ذهب بعد أن تم "غزو" خيبر إلى مكة يجمع ماله الذي كان متفرقاً بين تجارها، وكان قد أخذ من الرسول ﷺ "إذناً" صريحاً في أن يكذب ليجمع المال، ولدى وصوله إلى مكة تجمع الناس حوله وسأله عما فعله الرسول ﷺ في خيبر، فقال لهم الحجاج: "هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط، وقُتل أصحابه قتلاً لم تسمعوا بمثله قط، وأسر محمد أسراً، وأثلجت هذه الأنبياء صدورَ المكّيين فساعدوا الحجاج في جمع ماله».

وقال الحجاج للعباس الذي أصابه الجزع لهذه الأنبياء بعد أن تنحى به جانباً: لقد تركتُ ابنَ أخيك عروساً على بنتِ ملكهم، يعني صفية، ولقد افتتح خيبر وانتشل^(٣٤) ما فيها، وصارت له وأصحابه، فإن

(٣٣) سورة الأنعام الآية: ٦٤.

(٣٤) نثّل الشيء وانتثله: استخرجه. المعجم الوسيط ٢/ ٩٣٧، مجمع اللغة العربية - القاهرة، ط الثالثة.

مضت ثلاث فأظهر أمرك، حتى إذا كان اليوم الثالث لبس العباس حلة له، وتخلّق وأخذ عصاه، ثم خرج حتى أتى الكعبة، فطاف بها، فلما رأوه قالوا: يا أبا الفضل، هذا والله التجلّد حرّ المصيبة! قال: كلا والله الذي حلفتكم به، لقد افتتح محمد خير، ونزل عروساً على بنت ملكهم، وأحرز أموالهم وما فيها، وأصبحت له ولأصحابه.

ولا صحة لأي من قصتي الحجاج» (٣٥).

فانظر إلى صنيع الكاتب؛ حيث يرّد أوثق الروايات بلا دليل أو إثارة من علم!!

إنه لم يقل لنا ما جُجته على عدم صحة ما رواه ابن إسحاق بخصوص القصة التي أوردها، في حين أن الشواهد كثيرة على صحتها، ولا يوجد ما يطعن في ثبوتها، بالإضافة إلى أن ابن إسحاق لم يتفرد بروايتها، وإنما رواها غيره من كتاب السير الموثوقين، ومن المحدثين بأسانيد صحيحة.

فقد رواها الأئمة: «عبد الرزاق» (٣٦)، و«أحمد» (٣٧)، و«أبو يعلى»

(٣٥) محمد واليهود، ص ١٧٩، ١٨٠.

(٣٦) المصنّف: للحافظ عبد الرزاق بن همام الصنعاني ٥/٤٦٦-٤٦٩، رقم ٩٧٧١، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، توزيع المكتب الإسلامي - بيروت، ط الثانية ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م.

(٣٧) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٣/٥٩٩، ٦٠٠، رقم ١٢٠٠، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط الثانية ١٤١٤ هـ ١٩٩٣ م، وقد أورد الإمام ابن كثير رواية الإمام أحمد، وعقب عليها قائلاً: وهذا الإسناد على شرط الشيخين. البداية والنهاية ٤/٢١٧، تحقيق د. أحمد أبو ملجم وآخرين، دار الريان - القاهرة، ط الأولى ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م.

و «الطبراني»^(٣٨)، كما رواها «موسى بن عقبة» في مغازيه^(٣٩).
فهل يسوغ - علمياً - أن يقال عن مثل هذه الروايات والأخبار بأنه
لا صحة لها؟!؟

وهل يجد المستشرقون وتلاميذهم وعملاؤهم في الدنيا بأسرها
تاريخاً قد حظي بالتوثيق، وتحريّ الدقة في التأكد من أخباره بهذه
الدرجة إلا عند المسلمين؟

إن أسفار العهد القديم وأناجيل العهد الجديد، التي توصف
بالقدسية لدى المؤمنين بها، لم تحظ من العناية والتحري والدقة بمثل
ما حظيت به السيرة النبوية.

فهل يعلمون هذا؟

وهل بتلك السطحية، أو إن شئت فقل بتلك اللامبالاة تُكذَّب
الأخبار، ويُردّ صحيح الروايات؟!؟

وهل هذا من المنهج العلمي للبحث؟!؟

إذا كان ذلك كذلك، فعلى تاريخ البشرية كلها العفاء.

**٤- بتر النصوص واجتزاء الروايات لخدمة أغراض دفينتها،
تشوّه الحقيقة:**

وإنّ مَنْ يتأمل كتاب «محمد واليهود» يتبين له بجلاء أن الكتاب
يحاول تجميل صورة اليهود، ويسعى لإثبات أنهم كانوا مسالمين، وأنهم

(٣٨) مجمع الزوائد، للحافظ الهيثمي ٦/ ١٥٤، ١٥٥، وقال: ورجاله رجال الصحيح.

(٣٩) البداية والنهاية ٤/ ٢١٧.

كانوا مظلومين، ولم يصدر منهم ما يستوجب عقابهم.
ومن أجل خدمة هذا الغرض ركب الكاتبُ الصعْبَ والدَّلُولَ،
وفَعَلَ الأفاعيلَ، ورمى علماء المسلمين ومؤرخيهم باختلاق أحداث
تتصل باليهود، حتى إنه لا يتورع - أحياناً - عن اتهام جميع المفسرين،
ورواة السيرة، وكُتَّاب التاريخ، وجامعي الحديث بالسطحية والجهل،
واختلاق الروايات الكاذبة؛ تحاملاً على اليهود^(٤٠).

بل لقد ذهب إلى أن محاكمة بني قريظة، التي وُكِّلَ النبي ﷺ فيها
أمر الحكم عليهم إلى الصحابي «سعد بن معاذ الأنصاري»؛ إنما هي
عدالة صورية^(٤١).

ولبئس ما قال !!

كما زعم أن مَنْ قُتِلَ منهم - جزاء خيانتهم وتآمرهم مع الأحزاب -
أبطال شهداء^(٤٢).

ولذلك رأيناه يسوق الأخبار على نحو يشوه الحقيقة، ويستر
النصوص، لترسم الصورة التي يريد لها لليهود.

ومن الأمثلة على هذا الصنيع ما يلي:

في معرض حديثه عن عقوبة بني قريظة؛ قال الكاتب:
وقالت عائشة التي حضرت المشهد أنه لم يُقتل من نسائهم إلا امرأة

(٤٠) ينظر: ص ١٣٨، ٢٠٥ من كتاب: محمد واليهود.

(٤١) السابق، ص ١٤٣.

(٤٢) السابق، ص ١٣٨، ١٤٨، ١٤٩.

واحدة، وكانت تجلس معها حين هتف هاتفُ باسمها، وأخذت وضربت عنقها.

وقد اعتادت عائشة أن تقول: "فوالله ما أنسى عجباً منها: طيب نفسها، وكثرة ضحكها، وقد عرفت أنها تقتل" ^(٤٣).

فقد جاء بالرواية مبتورة، وساقها على نحوٍ يجعل المرأة مظلومة، ويستدرّ العطف على اليهود، الذين حرص على تصويرهم بأنهم يُقتلون بلا سبب، مع أن الواقع بخلاف ما صور وطرّ قلمه!! ولو أنه التزم بالأمانة العلمية، وذكر الرواية من غير تعمد بترها لأعطت الصورة الحقيقة، وتبين السبب الذي من أجله قُتلت هذه المرأة، التي يحاول الكاتب أن يجعلها في براءة الأطفال.

وها هي الرواية بتامها:

قال ابن إسحاق: وَقَدْ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ ^(٤٤) أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: لَمْ يُقْتَلْ مِنْ نِسَائِهِمْ إِلَّا

(٤٣) أيضاً ص ١٣٤.

(٤٤) يتهم «بركات أحمد» - متابعاً أساتذته المستشرقين - الإمام «ابن إسحاق»، قائلاً: (وقد لا يكون من التجني أن نقول أن ابن إسحاق، بوجه عام، لا يورد إسناداً في المسائل الحيوية المتعلقة ببني قريظة أو يهود خيبر). (محمد واليهود ص ٣٣).

وها أنت ترى - أيها القارئ - أن «ابن إسحاق» قد صدر الرواية التي معنا بإسناد متصل قويّ زاهر كنجوم السماء، وهي رواية تتحدث عن مسألة في غاية الأهمية، مما يتصل ببني قريظة. فتأمل هذا لتقف بنفسك على كذب هذا الكاتب وافتراءه.

امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ. قَالَتْ: وَاللَّهِ إِنَّهَا لِعِنْدِي تَحَدَّثُ مَعِي، وَتَضْحَكُ ظَهْرًا وَبَطْنًا، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْتُلُ رِجَالَهَا فِي السُّوقِ، إِذْ هَتَفَ هَاتِفٌ بِاسْمِهَا: أَيْنَ فُلَانَةُ؟ قَالَتْ: أَنَا وَاللَّهِ، قَالَتْ: قُلْتُ لَهَا: وَيْلَكَ! مَا لَكَ؟ قَالَتْ: أُقْتَلُ، قُلْتُ: وَلِمَ؟ قَالَتْ: لِحَدِيثِ أَحَدِثْتُهُ، قَالَتْ: فَاَنْطَلَقَ بِهَا، فَضْرِبَتْ عُنُقَهَا، فَكَانَتْ عَائِشَةُ تَقُولُ: فَوَاللَّهِ مَا أَنْسَى عَجَبًا مِنْهَا: طِيبَ نَفْسِهَا، وَكَثْرَةَ ضَحِكِهَا، وَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّهَا تُقْتَلُ.

قال ابن هشام: وهي التي طرحت الرّحا على «خالد بن سويد»، فقتلته^(٤٥).

هذه هي الرواية بتمامها، ويتبين منها: أن المرأة إنما قُتِلت قصاصاً، ولم تُقتل دون جناية اقترفتها.

ولو كان لدى الكاتب شيء من الأمانة العلمية والتجرد للحقيقة، لما انتزع من الرواية سؤال «عائشة» للمرأة عن سبب قتلها، وإجابتها إياها بأن هذا لحدث، أي لجناية وذنوب اقترفته، وهذا الذي انتزع من الرواية - عمداً - شيء جوهري في قضية تلك المرأة وعقوبتها بالقتل.

٥ - المجازفة والتعميم، مع عدم تحري الدقة في إصدار الأحكام:

ثم إن المنهج العلمي الدقيق كان يقتضي - من الكاتب المتعالم «بركات أحمد» أن يتجنب المجازفة والتعميم في الأحكام، وأن يتحرى

(٤٥) السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق مصطفى السقا، وآخرين ٢/ ٢٤٢، دار الوفاق - بيروت.

الدقة في كلامه، لاسيما إذا تصدى لإصدار أحكام على درجة كبيرة من الخطورة والأهمية.

ومن الأمثلة على هذا المسلك: أنه أصدر حكماً تعميمياً على كل ما ورد أو روي بشأن علاقة الرسول ﷺ باليهود، بأنه ضُرب من الأساطير !!

فهو يقول في نصّ ذكرناه سابقاً:

«... كما أن التحامل على الآخرين يضيف مرارة للأساطير، والاعتبارات السياسية، وكتابات العلماء المتحيزين تلخع على الأساطير ثوب التاريخ، وما روى عن علاقة محمد بيهود الحجاز لم يكن إلا أسطورة من هذه الأساطير»^(٤٦).

فهل من تحريّ الدقة في البحث العلمي النزيه أن يصف كل ما روي بخصوص العلاقة بين الرسول ﷺ واليهود في تلك الفترة المبكرة من التاريخ الإسلامي، بأنه أساطير لا صلة لها بالواقع، أو كما قال في موضع آخر: «أساطير خلع عليها الزمن صبغة دينية؟!»^(٤٧).

أليس تحريّ الدقة - كما يقتضيه المنهج العلمي - كان يوجب عليه أن يُفرّق بين ما صح وما لم يصح من الروايات، فيستثني من حكمه الجزائيّ التعميميّ الحقائق التي ثبتت بالروايات القطعية الصحيحة؟

(٤٦) محمد واليهود، ص ١٣.

(٤٧) السابق، ص ٢٢.

أم أن الهدف هو إثارة الشكوك في جميع مصادرنا التاريخية
والتشريعية لغرض، أو إن شئت فقل لمرض في نفس هذا المستغرب
الذي يتسمّى بأسماء المسلمين، ويزعم أنه مسلم؟!
ألم يعلم بأن القرآن الكريم في مقدمة المصادر التي رَوَتْ جوانبَ من
علاقات الرسول ﷺ بيهود الحجاز؟ ثم مصادر السنة وكتبُ
الصحاح، وعلى رأسها صحيح البخاريّ ومسلم؟
فهل ما ثبتَ في القرآن الكريم، وكتب السنة الصحاح، عن علاقة محمد
ﷺ بيهود الحجاز، لم يكن إلا أسطورة من الأساطير في رأي الكاتب
الضال؟!!

نعوذ بالله أن يكون ذلك كذلك ..

إن العلم بريء من مسلك هذا الكاتب وأمثاله، ومنهجه في
البحث، ذلك المنهج الذي تابع فيه أساتذته المستشرقين والمبشرين، ومن
لفَّ لِقَهُمْ، وسلك مسلكهم.

إن العلم لا يقبل أن يُظلم الحق، ويزوّر التاريخ، وتطمس معالمه،
وتشوّه حقائقه باسم المنهج العلمي!!

وإن العلم لا يسمح بأن يهان الإسلام ورجاله وعلماءه، باسم
المنهج العلمي، لخدمة أغراض خبيثة، وأهداف رخيصة، وتنفيساً عن
أحقاد دفينة لم تطفئها الأيام!!

منهج مصطنع - خاصة - للدراسات الإسلامية:

والعجيب أنّ أولئك المستشرقين وصنائعهم لا يطبقون هذا المنهج المعوجّ في البحث إلا عندما يكون مجال الدراسة هو الإسلام، أو أيّ ناحية تتعلق به، تاريخيةً كانت أم تشريعية، أم سواهما.

وأما حينما يكون مجال الدراسة شيئاً غير الإسلام، أو تاريخ غير المسلمين؛ فإنك تجد الالتزام والموضوعية والدقة والحياد، والسير في ركاب الأدلة، وتجنب الخروج على نتائجها، ولا تجد مجالاً للتعميم والمجازفات والتخمينات، لخدمة أغراض ومعتقدات مسبقة.

هذا؛ وإمعاناً في التمويه والضحك على الذقون، يُصدّر لنا صاحب كتاب «محمد واليهود» كتابه بكلام للمستشرق اليهودي «برنارد لويس» يقول فيه:

«المؤرخ باحث لا يسعى لإثبات نظرية أو لاختيار مادة يدل بها على نقطة معينة، إنما يسير وراء الشواهد التي تعرض له إلى حيث تقوده، وليس هناك إنسان معصوم، فإنّ من الزلل أن يستسلم المؤرخ لمشاعر الولاء أو التحامل، التي قد يتلون بها فهمه للتاريخ وعرضه له، ومن سمات المؤرخ العالم المدقق إدراك هذه الحقيقة بدلاً من الانسياق لأفكار مسبقة، والعمل على تحديد هذه الأفكار وتصحيحها»^(٤٨).

قلت: هذا كلام جيد وعلمي، وما جيء به إلا ذرّاً للرماد في

(٤٨) السابق، ص ١٧.

العيون !!

ذلك أنّ واقع القوم ومسلكتهم حينما يخوضون غمار البحث في الدراسات الإسلامية يناقض هذا الكلام ويجافيه تماماً.

وإنّ السواد الأعظم من المستشرقين وتلامذتهم - ومنهم «برنارد لويس» صاحبُ الكلام السابق - يسعون لإثبات نظريات ومعتقدات وآراء معينة كَوْنوها سلفاً، ومساندة مواقف مناهضة للإسلام والمسلمين، تربّوا عليها، وأُشربوها مقدماً.

قد يطبق هذا المستشرق اليهودي «برنارد لويس» وأمثاله كلامه ذلك؛ لكن حينما يكون ميدان الدراسة شيئاً غير الإسلام، أمّا عند دراسة الإسلام فإن الموازين تختلّ، والعقول تطيش.

يقول «ليوبولد فايس» النمساوي، الذي أسلم، وتسمى باسم «محمد أسد» فيما نحن بصددده:

«قد لا تتقبل أوروبا تعاليم الفلسفة البوذية أو الهندوكية، لكنها تحتفظ دائماً فيما يتعلق بهذين المذهبين بموقف عقليّ متزن، ومبنيّ على التفكير، إلا أنها حالما تتجه إلى الإسلام يختل التوازن، ويأخذ الميل العاطفيّ بالتسرب، حتى إن أبرز المستشرقين الأوروبيين جعلوا من أنفسهم فريسة التحزب غير العلميّ في كتاباتهم عن الإسلام.

ويظهر في جميع بحوثهم على الأكثر كما لو أن الإسلام لا يمكن أن يعالج على أنه موضوع بحث في البحث العلمي، بل على أنه متهم

يقف أمام قضاته.

وليس ذلك قاصراً على بلد دون آخر، ويظهر أنهم يتشون بشيء من السرور الخبيث حينما تعرض لهم فرصة - حقيقية أو خيالية - ينالون بها من الإسلام عن طريق النقد»^(٤٩).

أما بعد:

فقد كانت تلك نظراتٍ في مصادر كتاب «محمد واليهود» ومنهجه، رصدنا من خلالها أنّ مصادر الكتاب مشبوهة، أشبه بشهود الزور، وأن منهج الكتاب مجافٍ لقواعد المنهج العلميّ السليم، ودللنا على هذا وذاك بأدلة من الكتاب تنطق بما رصدناه دون تكلف أو اعتساف.

وقد كان ما رصدناه - على نحو ما فصلنا في الصفحات السابقة - كافياً في هدم المطاعن التي طُفح بها كتاب «محمد واليهود»، وإثبات زيف نظراته الباطلة المتحاملة على الإسلام، لكونها لا تقوم على أساس من البحث العلميّ المحايد النزاهة، من حيث المصادر ومنهج المعالجة، فالمصادر غير محايدة، ومنهج البحث فاسد - كما أثبتنا بالأدلة سابقاً..

ولكننا لن نكتفي بما ذكرنا - مع أنه كافٍ -؛ بل سنسير مع الكتاب والكاتب خطوة خطوة، لنأتي على شبهاته ومطاعنه تفصيلاً، واحدة بعد الأخرى لتجلية الحق وإنصافه، وتعرية الباطل، وبيان زيفه،

(٤٩) الإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد، ص ٤٩ - ٥١ باختصار، ترجمة د. عمر فروخ، مكتبة المنار - الكويت، ط السابعة ١٩٧٤م.

وتهافت أنصاره، وكشف حقيقة أولئك الخصوم الأفاكين وأذيالهم، وإثبات أنهم يتسترون بلباس العلم، ولكن الحقيقة أنهم عصابات مستأجرة لمحاربة الإسلام وتقويض بنيانه، عسى أن يكون في ذلك عبرة لمن يحسن الظن بأولئك الأعاجم ومن لف لفهم، وسار على نهجهم، وليعلم الجميع أننا - نحن الباحثين المسلمين - لا نخشى المواجهة والنزال في ميدان العلم، فليبرز لنا من شاء من المستشرقين وعملائهم، ونحن - بتوفيق الله - على استعداد لنسف أباطيلهم بالحجة والبرهان، وتلقين من يتجاوز حدوده درساً لا ينساه، يقيناً منا وثقة في أننا على الحق، نستمد قوتنا من تأييد الله - سبحانه - القائل: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾^(٥٠). والله المستعان وعليه التكلان.

*** **

(٥٠) سورة الأنبياء: ١٨.

الفصل الثاني

شبهات حول الإسلام والرسول ﷺ

- أولاً: الطعن في ربانية الدين الإسلامي.
- ثانياً: العبادات الإسلامية ومجاملة اليهود.
- ثالثاً: الإيحاء بأن رسالة الإسلام محلية، خاصة بالعرب.
- رابعاً: نبوة محمد ﷺ بين التشكيك والتجاهل.
- خامساً: النيل من عصمة النبي ﷺ.
- سادساً: التسوية بين النبي ﷺ وعباد الصليب.

أولاً: الطعن في ربانية الدين الإسلامي:

من النادر جداً أن يُرى مستشرقٌ يتحدث عن الإسلام من منطلق أنه دين ربانيّ، مصدره الوحي الإلهيّ؛ بل السواد الأعظم منهم - يهوداً كانوا أم نصارى أم ملحدين - على أنه دين أرضيّ ملّفق، وأنّ محمداً ﷺ لم يوحَ إليه بشيء!!

«إنّ هناك ما يشبه الإجماع لدى المستشرقين - قديمهم وحديثهم - على أن الإسلام دين بشريّ، اخترعه محمد ﷺ ولفقه من مصادر كثيرة، على رأسها اليهودية والنصرانية، ثم غيرها من المصادر، كالتقاليد التي كانت سائدة في عصره بالجزيرة العربية، وبعض الديانات القديمة...»^(٥١).

وقد استهل صاحب كتاب «محمد واليهود» مقدمة كتابه بالترويج لهذا الفكر العفن، فذكر أنه في سنة ١٨٣٣ م، كتّب الحاخام اليهوديّ «أبراهام جايجر» حاخام مدينة «ويزبادن» بألمانيا بحثاً، نال عليه جائزة، عنوانه: (ما الذي اقتبسه محمد من اليهودية)، ثم كتب «جويتاين» كتاباً بعنوان: «اليهود والعرب»، وقد تساءل «جويتاين»: (على يد من تلقى النبيّ العلم، ومن كان معلموه؟).

وقد لاحظ أن كتابات كثيرة من مستويات مختلفة دارت حول هذا الموضوع، ثم خلص إلى أن للمرء أن يفترض بقدر معقول من

(٥١) الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، للمؤلف، ص ٢١١.

الصواب أن محمداً كان في سنواته المبكرة على صلة وثيقة بنفر من اليهود، لم يكونوا يختلفون كثيراً عن أولئك الذين تصورهم الكتابات التلمودية.

ويُردف «بركات أحمد» هذا الكلام بقوله:
(ومؤدّى هذا أن معتقدات مَنْ كانوا يحاورون الرسول من اليهود، وطبيعة اتصاله بهم، كان لهم تأثير مباشر على جوهر ما أخذه الرسول ﷺ من الديانة اليهودية) (٥٢).

وظاهر الأمر أن الكاتب يسوق هذا الكلام في معرض حديثه عن الكتابات والبحوث التي أُلِّفت في الحديث عن علاقات المسلمين واليهود.

ولكن يلاحظ هنا ارتياح الكاتب لهذا الكلام، وترحيبه بأن الرسول ﷺ لم يأت بدين إلهي، وإنما لَفَّق الإسلام من مصادر كثيرة، على رأسها اليهودية - زعموا.

وهو يسوق ما يفترضه المستشرقون بهذا الخصوص، ويقبله على أنه مُسَلِّمة لا شك فيها، ولم نره يذكر عبارة أو كلمة واحدة تفيد الاعتراض، أو الامتناع من هذا الافتراء، بل ولا حتى كلمة واحدة تقول بأن هذا الكلام محل نظر، أو تحفظ من جانبه.

في حين أنه في كتابه يقف بالمرصاد لآراء الباحثين والمؤرخين

(٥٢) محمد واليهود، ص ١٩، ٢٠.

المسلمين، ولا يفتأ ينال منها ويسفهاها - مع وجاهتها وقيامها على الأدلة والبراهين - بدعوى أنها لا تثبت أمام النقد العلمي، فلماذا غَضَّ الطرفَ عن هذا النَّيل من دينه، وهو الذي يدعي أنه مسلم؟!!

ومما يبعث على الارتياح في موقف الكاتب، ولا يعفيه من خطيئة الرضا بهذا الكفر، والموافقة عليه - والعياذ بالله -؛ أنه جاء بعد حوالي ثمانين صفحة من ذكر الكلام السابق، وصدّر الفصل الثالث من الكتاب، والذي وضع له عنواناً هو: «تأييد اليهود للمعارضة في المدينة»؛ صدّر هذا الفصل - كعادته - بفقرة لأحد المستشرقين، وكان التصدير في هذه المرة بفقرة للمستشرق الفرنسي «مكسيم رودنسون» من كتابه «محمد»، جاء فيها:

(لقد أظهر أتباع محمد من جانبهم - علاوة على أخذهم بالأفكار الأساسية لليهودية وبتعاليم نوح - استعداداً كاملاً لاتباع عدد من الطقوس اليهودية ...) إلى آخر الفقرة^(٥٣).

وهكذا نراه يعود مرة أخرى على صفحات كتابه ليقرر ما يفترية أساتذته المستشرقون، ويسوقه على أنه حقيقة ثابتة، ولا نرى له أيّ تعليق على هذا الكلام، بل يضعه في موضع الصدارة والحفاوة، ويذكر - بكل الثقة والارتياح - أن المسلمين - أو على بتعبيره: أتباع محمد - أخذوا بالأفكار الأساسية لليهودية، وأنهم كانوا في أتم الاستعداد

(٥٣) السابق، ص ١٠٣.

وأوضحه لأن يتبعوا الطقوس الدينية اليهودية.

وعلى هذا الرأي الفاسد، فإن ما لدى المسلمين - وخاصة في زمن النبي ﷺ - ليس ديناً إلهياً، وإنما أفكار يهودية، وطقوس يهودية، ومحمد تلميذ نجيب لليهودية، والإسلام ملفق من اليهودية... زعموا.

وهكذا يأبى الكاتب (المسلم !!) إلا أن يسترضي أساتذته الكفار، وأولياء نعمته من أعداء الإسلام، فيقترف الإثم والبهتان، ويروج لباطلهم وتشكيكهم في ربانية الإسلام الحنيف، ويقرر مزاعمهم بأنه ملفق من مصادر شتى، على رأسها اليهودية بزعمهم.

فهل يسكت عن هذا باحث منصف، فضلاً عن أن يكون مسلماً؟ اللهم إلا إذا كان في بحثه صاحب هوى مريض، وفي دينه ذا دخل مريب؟!

فرية باطلة:

ألا فليعلم المستشرقون وعملاؤهم أن الزعم بأن الإسلام ليس ديناً إلهياً، وأن محمداً ﷺ لم يوح إليه مثل غيره من الأنبياء؛ ما هو إلا زعم باطل، لا يستند على أساس من الصحة، وهم أنفسهم لا يجدون ما يؤيدون به هذا الافتراء إلا الظنون والافتراضات التي لا تنقضي، ولا ينقضي منها العجب، لدرجة أن بعضهم - في كثير من الأحيان - ليهدم ما افترضه البعض الآخر !!

والرد على هذه الفرية الباطلة بما يكشف زيفها، ويثبت بطلانها،
ويبين تهافتها، لا يحتاج إلى كثير عناء.

وبداية نقول لهم كلمة بخصوص نفيهم ربانية الإسلام، وإنكارهم
أن يكون محمد ﷺ قد أوحى إليه من ربه بدين الإسلام، وهى:

إن كنتم - أيها المستشرقون - تنكرون من حيث المبدأ أن يوحى الله
إلى عبد من عباده بدين وشرع، ولهذا أنكرتم كون رسالة محمد ﷺ
إلهية؛ فإن هذا ينسحب على رسالة موسى وعيسى عليهما الصلاة
والسلام، وعليه فليست شريعة اليهودية والنصرانية بشيء، وينبغي
عليكم أن تنكروا على موسى وعيسى عليهما السلام ما تنكرونه على
محمد ﷺ من أن يكون دينه إلهياً!

وأما إن كنتم تؤمنون بمبدأ الوحي، وتعتقدون أن الله تعالى يمكن
أن يوحى إلى من يشاء من عباده بالدين والشرائع، ويكلفه بالرسالة
والنبوة، كما أوحى إلى موسى وعيسى عليهما السلام، فما المانع من أن
يكون ما جاء به محمد بن عبد الله ﷺ وحياً من عند الله؟!!

أيُّ شيء يمنع من أن يرسل الله رسولاً عربياً بالرسالة الخاتمة،
والشريعة الإلهية التامة؟!!

ولا حرج على فضل الله .. ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ
النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (٥٤).

(٥٤) سورة الحج: ٧٥.

لماذا تجيزون أن يوحى الله برسالة إلى نوح، وإبراهيم، وداود،
وسليمان، وأيوب، وموسى، وعيسى، وتمنعون أن يوحى الله برسالة
الإسلام إلى محمد عليه الصلاة والسلام؟!!

إن الله الذي أوحى إلى الأنبياء السابقين، هو سبحانه الذي أوحى
إلى محمد ﷺ بالدين.. وصدق الله إذ يقول: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ
كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾^(٥٥).

وإن رسالة النبي محمد ﷺ جاءت خاتمة الحلقات في سلسلة
الوحي الإلهي إلى الخليقة، الذي ابتدأت مسيرته منذ آدم ﷺ.

ولو تتبعنا ما يتعلق به جمهور المستشرقين من حجج لإثبات أن
الإسلام مأخوذ من اليهودية والنصرانية وغيرهما، لوجدناها في غاية
الضعف والوهن، إذ إنها - في جملتها - عبارة عن افتراضات وظنون
وتخمينات، لا تثبت أمام الحقائق الدامغة التي تنطق بها سيرة الرسول
ﷺ، وما تحتويه دعوته عليه الصلاة والسلام من عقائد وتشريعات.

إن الثابت من سيرته ﷺ أنه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، وهذا ما
أكده القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ
كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَأَرَّتَابَ الْمُبْتَلُونَ﴾^(٥٦).

(٥٥) سورة النساء: ١٦٣.

(٥٦) سورة العنكبوت: ٤٨.

فكيف تَسَنَّى له ﷺ أن يطالع في الكتاب المقدس بعهدَيْه، أو التلمود، ويحصِّل ما فيه وهو الأمِّي الذي لا عهد له بالقراءة ولا الكتابة، كحال كثيرين من العرب في عهده ﷺ؟

ومع افتراض أن النبي ﷺ كان يجيد القراءة والكتابة، فإنه لن يتمكن من أن يطالع في الكتاب المقدس، ويلمَّ بما فيه؛ لأنه لم تكن هناك نُسْخٌ مترجمةٌ إلى اللغة العربية، متوفرةٌ ومتاحةٌ لمن يريد الاطلاع عليها من أهل الجزيرة العربية، وخاصة في مكة، مهبطِ الوحي الأول، ولم يكن النبي ﷺ على علم بأية لغة أجنبية، لاسيما التي كان الكتاب المقدس مكتوباً بها في عصر النبي ﷺ^(٥٧).

وأما المفترضات العريضة من قبيل أن أشخاصاً ما لا بد أن يكونوا معلمي الرسول ﷺ، ومصدرَ تلقين له، مثل ورقة بن نوفل، وبحيرا الراهب، وسلمان الفارسي، وبعضِ أحبار اليهود، والموالي والتجار... وغيرهم كثير ممن جادت بهم قرائح المستشرقين وخيالاتهم الواسعة، وافترضاَتهم الوهمية؛ فليس في كتب السيرة والتاريخ ما ينهض دليلاً مسعفاً لأي من تلك المفترضات، والمستشرقون أنفسهم قد هدم بعضهم ما افترضه البعض الآخر!!

وعلى افتراض أن النبي ﷺ تعلم على يد هؤلاء المعلمين الكثيرين

(٥٧) يراجع: قاموس الكتاب المقدس ص ٧٧١، دار الثقافة - القاهرة، ط التاسعة ١٩٩٤م؛ ففيه ما يفيد بأن الكتاب المقدس لم يترجم إلى العربية إلا بعد عصر الرسول ﷺ.

الذين زعمهم المستشرقون، ألا يحتاج هذا التعليم إلى أوقات كثيرة، بل إلى انقطاع للدرس والتحصيل من جانب محمد بن عبد الله ﷺ؟ ويحتاج كذلك إلى أسفار هنا وهناك وهناك، للأخذ عمن هو خارج مكة منهم؟

فمتى كان هذا الانقطاع والتردد على هؤلاء المعلمين من جانب محمد ﷺ؟ ومتى كان هذا السفر والترحال للأخذ عمن هو خارج مكة؟

ولو حصل شيء من هذا لكان مشهوراً معروفاً للقاصي والداني من معاصريه، خاصة معارضيه وخصومه، ولا تخذوه سلاحاً يشهرونه في وجهه حينما يقول لهم: إن الله أرسلني إليكم بهذا الدين، ولقالوا له: هل نسيت أن الذي علمك هذا كلّه ولقّنتك إياه فلان وفلان، من هنا أو هناك، فكيف تزعم أن الله أوحى إليه به؟

ولكن شيئاً من هذا لم يحدث.

وحياة النبي ﷺ ليس فيها ما يشير إلى ذلك وأمثاله، بل فيها ما يُفنده ويدحضه:

فقد ولد ﷺ يتيماً، وقضى طفولته البكرة في ديار بني سعد، عند مرضعته السيدة حليلة السعدية رضي الله عنها.

ثم بعد ذلك عاد إلى مكة وبقي في كفالة جده عبد المطلب، ثم كفالة عمه أبي طالب بعد وفاة جده، وقضى جزءاً من طفولته في رعي الغنم، ثم انتقل بعد ذلك في التجارة.

والمعروف أنه ﷺ خرج إلى الشام مرتين؛ إحداهما - وهو ابن اثنتي عشرة سنة - في تجارة مع عمه أبي طالب، وهي المرة التي لقي فيها الراهب «بحيرا» لقاءً عابراً، ثم مرة أخرى في تجارة السيدة خديجة رضي الله عنها، وبعد ذلك تزوجها، وبقي مقيماً في مكة.

ثم أخذ يتحنّث (أي يتعبد) في غار حراء، ويبقى فيه الليالي ذوات العدد، حتى نزل عليه الوحي بقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ﴾^(٥٨)، ومنذ ذلك التاريخ بدأت مسيرة الدعوة، والجهاد المتواصل، حتى أتاه اليقين.

ألم تكن هذه حياة الرسول ﷺ بإجماع كتب السيرة والتاريخ؟

فهل كان فيها فرصة للتنقل بين يدي هذا المعلم أو ذاك في مكة أو خارجها؟! !!

ثم إنَّ هذا الدينَ الذي جاء به محمد بن عبد الله ﷺ لم يكن ديناً محدوداً، يحتوي على يسير من المبادئ، أو قليل من التشريعات؛ بل قد حوى منظومة واسعة عظيمة متكاملة، تضمنت عقائد، وعبادات، ومعاملات، وأخلاقاً، وكلَّ ما ينظم أمور الناس في معاشهم ومعادهم.

فكيف تهباً لمحمد ﷺ أن يتعلم ويُحصِّل كلَّ هذا وهو ثاوٍ في مكة، لم يبرحها إلا في رحلتين تجاريتين إلى الشام، إحداهما وهو صبيٌّ في الثانية عشرة من عمره، والأخرى وهو شاب لم يتجاوز الخامسة

(٥٨) سورة العلق، الآية ١.

والعشرين من عمره، بالإضافة إلى كونه ﷺ أميا - كما ذكرنا -؟! وعلى افتراض أن الإسلام مقتبس من اليهودية والنصرانية، وأنه فرغ عنها - كما يتوهم المستشرقون - فالعادة جرت بأن الفرع مشابه للأصل، وعليه فهل جاءت عقائد الإسلام وتشريعاته مماثلة لعقائد وتشريعات اليهودية والنصرانية، أم مخالفة لها ومناقضة؟

الواقع أن الإسلام قد خالف كلاً من اليهودية والنصرانية في الجوهر، وفي الصميم، وفي الأصول .. وهذا بادٍ لكل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

فإذا كان هذا الخلاف الجوهرى بين الإسلام وكل من اليهودية والنصرانية واقعاً منذ أول لحظة بعث فيها الرسول محمد ﷺ، فكيف يكون الإسلام مأخوذاً منهما؟

وأى شيء يكون قد أخذه إذن؟

هل أخذ منها عقيدة التوحيد؟ وتنزيه الله عن كل نقص؟

أم هل تُراه أخذ منها الإيمان بعصمة الأنبياء؟

أم تراه أخذ منها الصلوات الخمس، وصوم رمضان، وحج البيت الحرام، وإيتاء الزكاة، وأحكام الجهاد، والزواج والطلاق والميراث، وغيرها مما هو مفصل في الشريعة الإسلامية؟

إن كل هذا الذي تساءلنا بحقه وغيره كثير، لا وجود له عند اليهود ولا النصارى، بل إن عندهم ما يناقضه تماماً!!

فكيف يكون الإسلام - كما يزعمون - صورة من عن اليهودية
والنصرانية، وبينه وبينها ذلك الخلاف الواسع، والبون الشاسع؟!
ثم إننا لو افترضنا أن ثمة تشابهاً بين الإسلام، وكلِّ من اليهودية
والنصرانية في شيء ما، فهذا ليس دليلاً على أنه مقتبس منهما، وإنما يكون
دليلاً على وَحدة المنبع والمصدر، وهو الوحي الإلهي، حيث إن هناك بقايا
من الوحي، كتبها كُتَّاب العهد القديم في عصور مختلفة، قد نَجَّت من
التحريف، غير أن هذه القلة القليلة توارت خلف ركام الباطل، وتلاشت
في ثنايا موجات التحريف، كما تتلاشى قطرات الماء العذب في وسط
البحر الملح الأجاج، ولم يبق لدى اليهود والنصارى من الوحي إلا رسوم
وأشكال يكتنفها التزوير، ويحوط بها الباطل من كل جهة.

وهكذا يتبين لنا تهافتُ زعم المستشرقين وأضرابهم بأن الإسلام
دينٌ مقتبسٌ من اليهودية والنصرانية - زعموا -.

ولا ريب أو أولئك المستشرقين - على اختلاف طوائفهم - لو كان
لديهم قليل من الإنصاف والتجرد للحق، لما وقعوا في هذا الإفك،
ولكن أنى لهم الإنصاف والعدل، وهم في جملتهم، ومن يدور في
فلكهم مستأجرون لمحاربة الإسلام، والصد عن سبيل الله وابتغائها
عوجاً.

والله المستعان.

ثانياً: العبادات الإسلامية ومجاملة اليهود:

ومن منطلق اعتقاد المستشرقين أن الإسلام ليس من عند الله، فقد بلغ الشطط والافتراء بهم وبمَن لَفَّ لَفَّهُم أن ذهبوا إلى أن الرسول محمداً ﷺ قد أتى ببعض العبادات والشعائر الدينية لأجل استرضاء اليهود، واستمالة قلوبهم.

يقول بركات أحمد: «ويرى كلُّ المؤرخين الحديثين تقريباً أن الرسول ﷺ حين ترك مكة، كان يحدوه الأمل في أن يقبله يهود يثرب، وأنه عمل لدى وصوله إلى المدينة على استمالة قلوبهم، فشاركهم في صوم عاشوراء، واتجه في الصلاة إلى بيت المقدس، ولكن اليهود خيخوا ظنه برفضهم الاعتراف به، فما كان منه إلا أن قطع علاقته بهم وحر بهم وسحقهم»^(٥٩).

وعلق على هذا الكلام بتعليق رقيق - بعكس ما يفعل حين يعترض على أحد مؤرخي المسلمين - قائلاً: «وفي هذا الرأي تصوير ملتوٍ للأحداث»^(٦٠).

وبطبيعة الحال فإن هؤلاء «المؤرخين الحديثين» الذين ينسب إليهم ذلك الرأي، ليسوا إلا حضرات المستشرقين الغارقين في مستنقعات الأوهام والافتراضات والتخيلات، وبمرور الوقت تصبح أوهامهم

(٥٩) محمد واليهود، ص ٢٠٢، ٢٠٣.

(٦٠) السابق، ص ٢٠٣.

وافتراضاتهم وخيالاتهم حقائق لا يرقى إليها شك!!
ولله في خلقه شؤون!!

وقد أوردنا سابقاً ما صدر به الكاتبُ الفصلَ الثالثَ في كتابه من كلام المستشرق «مكسيم رودنسون»، والذي يقول فيه: «لقد أظهر أتباع محمد من جانبهم - علاوة على أخذهم بالأفكار الأساسية لليهودية وبتعاليم نوح - استعداداً كاملاً لاتباع عدد من الطقوس اليهودية ...»^(٦١).

وقد وضع «بركات أحمد» كلام «رودنسون» هذا موضعَ الصدارة والحفاوة، وساقه على أنه حقيقة مسلمة لا ريب فيها.

وكلام المستشرق «رودنسون» وما زعمه من استعداد «أتباع محمد» لاتباع عدد من الطقوس اليهودية، يوضح شيئاً من إبهام صاحب كتاب «محمد واليهود»، ويوضح المقصود من كلام أولئك «المؤرخين الحديثين» من المستشرقين وأضرابهم، وهو أن عبادة صوم عاشوراء، وشعيرة استقبال بين المقدس حال الصلاة، أول الأمر، لم تكونا - في زعمهم - بوحى من الله تعالى؛ وإنما فعلهما الرسول ﷺ وأتباعه، استمالة لقلوب اليهود، ورغبة في مجاملتهم.

والواقع أن هناك أدلة كثيرة تنقض مثل هذه المزاعم وتدحضها، وذلك من خلال كتب الحديث الصحاح.

(٦١) السابق، ص ١٠٣.

وإليك البيان:

أمّا عن صيام عاشوراء؛ فقد وردت أدلة تفيد أنه كان معروفاً لدى قريش، وأنها كانت تصومه، وأن النبي ﷺ قد صامه أثناء وجوده في مكة - حيث لم يكن بها يهود -، ولم يكن صيامه لهذا اليوم في المدينة إلا استمرار لعمل بدأه في مكة بوحي من الله تعالى.

عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَتْ قُرَيْشٌ تَصُومُ عَاشُورَاءَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصُومُهُ، فَلَمَّا هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ صَامَهُ، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ، فَلَمَّا فُرِضَ شَهْرُ رَمَضَانَ، قَالَ: «مَنْ شَاءَ صَامَهُ وَمَنْ شَاءَ تَرَكَهُ» (٦٢).

ثم إن النبي ﷺ لما ذكر له أن اليهود تصوم عاشوراء، أرشد الصحابة إلى مخالفتهم، حرصاً منه ﷺ على أن يبقى للمسلمين دائماً تمييزهم، وشخصيتهم المستقلة.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: حِينَ صَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ يَوْمٌ تُعْظَمُهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَإِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ»، قَالَ: فَلَمْ يَأْتِ الْعَامُ الْمُقْبِلُ حَتَّى تُوِّفِيَ رَسُولُ اللَّهِ

(٦٢) رواه البخاري في كتاب الصوم، باب صيام يوم عاشوراء، فتح الباري ٤/ ٢٨٧، رقم ٢٠٠٢، ومسلم في كتاب الصيام، باب صوم يوم عاشوراء، شرح النووي ٨/ ٤، ٥، رقم ١١٢٥، وهذا لفظ مسلم.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٦٣).

وأما بالنسبة لموضوع صلاة النبي ﷺ نحو المسجد الأقصى- أول الأمر، ثم تحوَّله بعد ذلك إلى البيت الحرام؛ فإنَّ هذا كان بوحى من الله تعالى، ولم يكن استرضاءً لليهود - كما يدعي أولئك «المؤرخون الحديثون» وتابعوهم، بل إن النبي ﷺ كان طيلة توجَّهه نحو بين المقدس، يتطلع ويتشوق إلى الصلاة قِبَل الكعبة المشرفة.

وهذا أمر سجله القرآن الكريم، ولكن يبدو أن قد تعامت عنه أنظار المستشرقين وتلامذتهم، أو عميت عن تدبره بصائرهم !!

قال الله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ (٦٤).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَا نُسَخَ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الْقِبْلَةُ، وَذَلِكَ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ لَمَّا هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَكَانَ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْيَهُودَ، فَأَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَسْتَقْبَلَ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ، فَفَرِحَتِ الْيَهُودُ، فَاسْتَقْبَلَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِضِعَةِ عَشْرٍ - شَهْرًا، وَكَانَ يُحِبُّ قِبْلَةَ إِبْرَاهِيمَ، فَكَانَ

(٦٣) رواه مسلم في ك الصيام، ب صوم يوم عاشوراء، شرح النووي ٨/ ١٢، رقم ١١٣٤.

(٦٤) سورة البقرة: ١٤٤.

يَدْعُو إِلَى اللَّهِ وَيَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ فَارْتَابَ مِنْ ذَلِكَ الْيَهُودُ، وَقَالُوا: ﴿مَا وَلَاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ (٦٥).

وَعَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَّى نَحْوَ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ سِتَّةَ عَشَرَ - أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ - شَهْرًا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّ أَنْ يُوجَّهَ إِلَى الْكَعْبَةِ، وَقَالَ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ - وَهُمْ الْيَهُودُ -: ﴿مَا وَلَاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾» (٦٦).

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي وَهُوَ بِمَكَّةَ نَحْوَ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ، وَالْكَعْبَةُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَبَعْدَمَا هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، ثُمَّ صُرِفَ إِلَى الْكَعْبَةِ» (٦٧).

وهكذا نرى الأدلة والشواهد قائمة على أن الرسول ﷺ اتجه إلى بيت المقدس بوحي من الله، ثم صُرف إلى الكعبة بوحي من ربه كذلك، مع أنه في كل الأحوال كان يتوق إلى الصلاة جهة الكعبة،

(٦٥) تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير ١/ ١٩٢، دار الغد العربي - القاهرة، ط الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

(٦٦) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب التوجه نحو القبلة، فتح الباري ١/ ٥٨٩، رقم ٣٩٩.

(٦٧) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٥٣٤، رقم ٢٩٨٤.

لكنه كان يمثل لأمر ربه.

فهل بعد هذا لا يزال يصر- المستشرقون وتلامذتهم على أن صوم عاشوراء، والاتجاه إلى بيت المقدس في الصلاة، كان استمالة لليهود؟ وما قولهم فيما ثبت من الروايات الصحيحة من أنه ﷺ كان يصوم عاشوراء، ويتجه إلى بيت المقدس، أثناء تواجده في مكة التي لم يكن بها يهود؟

هل كان استمالة لليهود أيضاً؟!

لا أقال الله عشرات المكابرين.

ثالثاً: الإيحاء بأن رسالة الإسلام محلية، خاصة بالعرب

قال «بركات أحمد»: (والذي حدث أن اليهود لم يصدّقوه، ولم يعتبروه حتى مسيحاً كاذباً، بل اعتبروه أفاكاً مغتصباً، ولأنه كان أمياً غير يهودي، فما كان من الممكن أن يقبلوا نبوته، وهو - بصفته نبياً للعرب - كان يُعرض للخطر نفوذهم، الذي كان في اضمحلال فعلي^(٦٨)).

ففي هذا الكلام إيحاء بأن رسالة النبي ﷺ ليست عالمية، حيث إن الكاتب ساق هذا الكلام في معرض حديثه عن أمور حقيقية، فذكر أن النبي ﷺ لم يكن من اليهود، ثم عطف على هذا بأنه نبي العرب، وفرق بين التعبير بقوله المذكور (وهو بصفته نبياً للعرب) وبين أن يقول - مثلاً -

(٦٨) محمد واليهود، ص ٢٠٤، ٢٠٥.

(وهو بصفته نبياً عربياً)، فالتعبير الذي استخدمه الكاتب ينزع عن النبي ﷺ خاصية العالمية في بعثته، ويوحي باقتصارها على العرب.

وليس في السياق ما يشير إلى أن الكاتب يعرض وجهة نظر اليهود، ولو كان المراد عرض وجهة نظر اليهود، وليس تقرير أمرٍ، لرأيناه يقول - مثلاً - (وهو بصفته نبياً للعرب - من وجهة نظرهم -)، لكنه لم يقل هذا؛ بل ذكر كلامه السابق على أنه حقيقة واقعة، مثلما أنه ﷺ كان غير يهودي - في نظر اليهود وغيرهم -.

وعلى أية حال فإن القول بأن بعثة النبي ﷺ خاصة بالعرب، هو من مفتريات المستشرقين - على اختلاف طوائفهم - ومن حملاتهم الطائشة ضد الإسلام، وقد ردنا على هذا الافتراء وأشرنا إلى الهدف من إثارتها في بعض كتبنا^(٦٩).

بيد أن المرء يتملكه العجب؛ حين يرى من يدعي أنه مسلم ويردد آراء أعداء دينه، ويتبنى طعنهم في عالمية الإسلام، ويدسه في كلامه، ويكرره على أنه حقيقة، دون أن يشير بحرف واحد إلى استنكاره، أو مجرد التحفظ عليه !!

ثم إن صريح القرآن الكريم وصحيح السنة المطهرة يثبتان أن رسالة النبي ﷺ عامة، وأنه نبيٌّ لكل البشر.

والأدلة كثيرة على أنه ﷺ لم يكن مُرسلاً إلى العرب وحدهم؛ بل

(٦٩) الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، ص ٢٢٢ - ٢٣١.

كان نبياً للعرب والعجم، والأحمر والأسود، وإلى من كان في زمن
البعثة، ومن جاء بعد ذلك إلى يوم القيامة.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا
وَنَذِيرًا﴾^(٧٠).

وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾^(٦٩) لِيُنذِرَ مَنْ
كَانَ حَيًّا وَتَحَقَّقَ الْقَوْلُ عَلَى الْكٰفِرِينَ^(٧١).

وقال عز شأنه: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ
لِيَكُونَ لِلْعٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾^(٧٢).

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَيْنَا هٰذَا الْقُرْءَانَ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ
وَمَنْ بَلَغَ﴾^(٧٣).

قال المفسرون: أي لأنذركم به يا أهل مكة، وسائر من بلغه القرآن
ووصل إليه من الأسود والأحمر أو من الثقليين. أو لأنذركم به أيها
الموجودون ومن سيوجد إلى يوم القيامة. قال ابن جرير: من بلغه

(٧٠) سورة سبأ: ٢٨.

(٧١) سورة يس، الآيتان: ٦٩، ٧٠.

(٧٢) سورة الفرقان: ١.

(٧٣) سورة الأنعام: ١٩.

القرآن فكانها رأى محمداً ﷺ^(٧٤).

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُعْطِيَتْ حُمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكْتَهُ الصَّلَاةَ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَأُعْطِيَتْ الشَّفَاعَةَ».

وفي رواية مسلم: «كَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ»^(٧٥).

رابعاً: نبوة محمد ﷺ بين التشكيك والتجاهل

ثم إن الباحث المنصف حينما يتحدث عن الرسول محمد ﷺ، عليه أن يبين لقرائه وجهة نظر المسلمين، واعتقادهم في أن محمداً هو رسول

(٧٤) روح المعاني، للإمام الألويسي ٧ / ١١٩، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الكشاف للزنجشري ٢ / ٧، دار عالم المعرفة.

(٧٥) رواه البخاري في كتاب التيمم، باب قول الله تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا﴾، فتح الباري ١ / ٥١٩، رقم ٣٢٥، وفي كتاب الصلاة، باب قول النبي ﷺ: "جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً"، الفتح ١ / ٦٣٤، ٦٣٥، رقم ٤٣٨، ومسلم في كتاب المساجد، شرح النووي ٥ / ٣ - ٥، رقم ٥٢١، ورقم ٥٢٣، والنسائي في كتاب الغسل، باب التيمم بالصعيد ١ / ٢٠٩ - ٢١١، والدارمي في كتاب الصلاة، باب الأرض كلها طهور ما خلا المقبرة والحمام ١ / ٣٧٤، ٣٧٥، رقم ١٣٨٩.

الله ونبيُّ أُوْحِيَ إليه مِن رب العالمين، وإن لم يعتقد الباحثُ ذلك.
والباحث المسلم - خاصة - لا يسعه بداهة أن يتجاهل خاصية
الوحي في حياة النبي محمد ﷺ، باعتبارها مِن خصائص النبوة
ولوازمها.

ولست أدري ماذا يتبقى لدى المسلم من عقيدة إذا غُصَّ من كون
نبوة محمد ﷺ حقيقةً ثابتة لا تقبل النقاش، وتحدث عنه ﷺ مِن
منظور أنه بشرٌ لا يوْحَى إليه!!؟

والذي يقرأ بتأمل فيما كتبه «بركات أحمد» في كتابه الذي معنا، يبدو
له بجلاء أن الكاتب يتجاهل تماماً قضية أن محمداً ﷺ نبيُّ يوْحَى إليه،
ويتحدث عنه ﷺ من منظور أنه بشر- عاديٌّ، حياته كلها اجتهاد في
اجتهاد، ولا صلة له بوحي الله رب العالمين، وهو بهذا يتابع أساتذته
المستشرقين، ويقرر عقيدتهم الجاحدة لنبوة محمد ﷺ!!

وقد بلغ به الحال إلى الحديث عن نبوة محمد ﷺ باعتبار أنها مسألة
قابلة للنقاش، وخاضعة لإبداء الرأي فيها، إذ يقول بالنص: (وليس
مما يدخل في مهمة المؤرخ أن يبديَ لنا رأياً بشأن قول محمد أنه نبي
مرسل) (٧٦).

فهو يريد أن يقول إن إبداء الرأي بشأن ادعاء محمد ﷺ للنبوة
والرسالة، هو مما لا يدخل في مهمة المؤرخ، ويُفهم منه أن هذا قد

(٧٦) محمد واليهود، ص ٤٣.

يدخل في مهمة غير المؤرخ، أي أنها قضية يمكن أن تكون محل شك وخلاف، أما أن تكون حقيقة ثابتة لا تقبل الجدل أو النقاش فلا - والعياذ بالله من هذا الاعتقاد -

فهل يجوز هذا من مسلم !!؟

وماذا يتبقى من دينٍ لدى هذا الذي يدعي أنه مسلم، بعد أن يجعل أمر النبوة، أو ادعاء الرسول ﷺ لها من الأمور غير المقطوع بها، عندما يكتب في السيرة النبوية؟!!

وأما تجاهله التام لخاصية الوحي - التي هي من لوازم النبوة - في حديثه عن الرسول ﷺ وتصرفاته؛ فدلائله كثيرة في كتابه.

نجد الكاتب يتحدث عن مؤامرة يهود بني النضير لاغتيال الرسول ﷺ، بإلقاء صخرة عليه، وهو قاعد إلى جنب جدارٍ في حيّهم، فيذكر أن النبي ﷺ (لاحظ تحركات أرابته) (٧٧).

(وأكدت الأنباء بعد ذلك أسوأ مخاوف الرسول ﷺ، فقد كان اليهود قد دبّروا مؤامرة لاغتياله) (٧٨).

يذكر هذا، بينما لا يغيب عنه ما روته كتب السيرة والسنة، من أن الله تعالى أوحى إلى رسول الله ﷺ بما دبّره اليهود له، حيث كان النبي ﷺ قد خرج إلى بني النضير في نفر من أصحابه، وكلمهم في دية الكلابيين

(٧٧) السابق ص ١١٦ .

(٧٨) السابق، نفس الصفحة.

الذين قتلها عمرو بن أمية الضمري، فقالوا: نفعل يا أبا القاسم، اجلس هاهنا حتى نقضي حاجتك، وخلا بعضهم ببعض، وسوّل لهم الشيطان الشقاء الذي كُتب عليهم، فتأمروا بقتله ﷺ، وقالوا: أيكم يأخذ هذه الرّحا فيلقيها على رأسه يشدّخه بها؟ فقال: أشقاهم "عمرو بن جحاش": أنا، فقال لهم سَلّام بن مِشْكَم: لا تفعلوا، فوالله ليخبرنّ بما هممتم به، وإنه لنقضّ العهد الذي بيننا وبينه، وجاء الوحي على الفور إليه من ربه تبارك وتعالى بما هموا به، فنهض مسرعاً وتوجه إلى المدينة، ولحقه أصحابه، فقالوا: نهضتَ ولم نشعر بك، فأخبرهم بما همّت يهودُ به^(٧٩).

وفي ثنايا حديث الكاتب عن صلح الحديبية، يذكر كلاماً في غاية الخطورة والتجاوز، فيقول: (وقد حقق الرسول ﷺ بهذا الصلح سِلاماً كان في مسيس الحاجة إليه، وذلك لقاء تقديم عدد كبير من التنازلات)^(٨٠).

(٧٩) انظر: زاد المعاد، لابن قيم الجوزية ٣/١٢٧، ١٢٨، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط السادسة والعشرون ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، حقائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، لابن الديع الشيباني ٢/٥٤٦، تحقيق عبد الله إبراهيم الأنصاري، إدارة إحياء التراث الإسلامي - قطر، السيرة النبوية، لابن هشام ٢/١٩٠، دراسات في السيرة، د. عماد الدين خليل ص ٣٣٩، ٣٤٠، وفيه مصادره، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط الثالثة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

(٨٠) محمد واليهود، ص ١٩٧.

(وتسلسل الأحداث، أي ميثاق عدم الاعتداء الموقع في الحديبية، والرسالة الموجهة إلى يهود خيبر، ودعوة "رزام" للحضور إلى المدينة، تجعلنا ننتهي إلى أن الرسول ﷺ كان بحاجة إلى إقرار السلم بأي ثمن، بل إن المرء حين يتأمل شروط الحديبية يخيّل إليه أن هدف السلم مع صون الشرف قد تغير، وأصبح تقريباً السلم بأي ثمن) (٨١).

(كان العمر قد تقدم برسول الله ﷺ، وكان بحاجة إلى السلم، وكان يدعو إليه بحرارة) (٨٢).

وهكذا نرى الكاتب يتحدث عن الرسول ﷺ كأبي بشر- منعزل عن الوحي الإلهي، وقد كان يسعى للسلم مع أعدائه بأي ثمن، بل ولو كان في تحقيق هذا السلم ضياع للشرف وفقد للعزة، وجلب للمهانة، وعلى حد تعبير الكاتب البئيس: (بل إن المرء حين يتأمل شروط الحديبية يخيّل إليه أن هدف السلم مع صون الشرف قد تغير، وأصبح تقريباً السلم بأي ثمن) وذلك في رأي الكاتب لأن (العمر قد تقدم برسول الله ﷺ).

إنّ هذا الكلام تطاول على مقام رسول الله ﷺ، وتجريد له عليه الصلاة والسلام من الاتصال بوحي ربه، وكلامه هذا لا يصدق إلا على شخص جبان حريص على الحياة، يريد أن يعبر موقف الضعف الذي آل إليه

(٨١) محمد واليهود، ص ٢٠١.

(٨٢) السابق، نفس الصفحة.

أمره، ولو كان في هذا إهانة نفسه، وفقدان شرفه وكرامته !!

وحاشا لرسول الله ﷺ أن يكون كذلك.

ألا فليعلم الكاتب الأثيم ومن على شاكلته أن رسول الله ﷺ ما وافق على صلح الحديبية إلا بوحي من الله، الذي أعلمه أن هذا الصلح سيكون فتحاً وخيراً للدعوة الإسلامية.

وأنه ﷺ ما كان ليبرم عقداً أو يحلّه إلا بأمر الله.

وما كان يحارب قوماً أو يسالمهم إلا بوحي الله.

وما كان يعقد راية للجهاد، أو يقعد عن ذلك إلا بتوجيه من الله.

ولو أن الكاتب رجع إلى القرآن الكريم، وكشف عن بصره الغشاوة، ونحى من قلبه الهوى، وتجرد للحق، لوجد ما يؤكد أن النبي ﷺ كان في سيرته وجهاده وسلمه، لا يصدر إلا عن أمر ربه، ولا يتحرك إلا بوحي خالقه.

وأما عن صلح الحديبية - خاصة - فالحقيقة أنه ﷺ والمسلمين معه، لم يكونوا يسعون إليه، وما كان الرسول ﷺ ليقبل هذا الصلح إلا بوحي من الله.

وأظن أن الكاتب قد قرأ في كتب السيرة أن المسلمين لم يكونوا مغتبتين بصلح الحديبية، وكانوا في استعداد لأن يهاجموا الكفار ويقاتلوهم، بل إنهم قد عقدوا مع النبي ﷺ بيعةً على القتال، تُعرف في كتب السير باسم "بيعة الرضوان"؛ بايعوه فيها على السمع والطاعة،

والموت في سبيل الله، وعدم الفرار من الزحف.

وقد سجل الله هذا في القرآن الكريم، وأثنى على مَنْ كانوا مع النبي ﷺ من أهل بيعة الرضوان، فقال سبحانه: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٨٣﴾.

ثم بين سبحانه أنه هو الذي أراد أن يكون الصلح، وقدّر أن لا يكون قتال بين المسلمين والكفار لحكم يعلمها ويُقدّر لها سبحانه وتعالى، والتي كشف عن بعضها في قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهُدَىٰ مَعَكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُمْ ۗ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فِتْصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۗ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨٤﴾.

(٨٣) سورة الفتح، الآيتان: ١٨، ١٩.

(٨٤) سورة الفتح، الآيتان: ٢٤، ٢٥.

فهل كان النبي ﷺ يسعى للسلم بأي ثمن ، حتى ولو لم يكن مع ذلك
صون للشرف؛ لأنه كبرت سنه ووهنت قواه .. أم أنه كان ينفذ مشيئة
الله، ويسير بوحى مولاه؟؟

خامسا: النيل من عصمة النبي ﷺ:

ولقد فقد عميل المستشرقين، وصنيعة أعداء الإسلام المدعو "بركات
أحمد" اتزانه، وطاش جنانه، حين كان يتحدث عن مقتل بني قريظة،
ويذكر ما حل بهم من العقاب الإلهي، جزاء غدرهم وخيانتهم، حيث
تعاونوا مع الأحزاب في غزوة الخندق، وتآمروا مع أعداء الإسلام
والمسلمين، للإجهاز على المسلمين وإفنائهم في المدينة، فتحدث عن
رسول الله ﷺ بما لا يتحدث به إلا كافر، ورماه بما لا يرميه ﷺ به إلا
زنديق!!

ففي فقرة واحدة صدرها بالتشكيك في نبوته ﷺ، وختمها بالتناول
على مقامه، واتهامه ﷺ في ذمته، فرماه بالجور والظلم، بل وبأنه ﷺ
يتظاهر بأنه يحقق العدالة، بينما في حقيقة الأمر لا حظ له منها إلا الشكل،
فهي عدالة يصفها الكاتب الأثيم بأنها: (عدالة صورية).

وها هو ذا نص كلامه:

(وليس مما يدخل في مهمة المؤرخ أن يُبدي رأياً بشأن قول محمد أنه
نبي مرسل^(٨٥)، ولكن إيمان الأوس وسعد بن معاذ بنبوته حقيقة

(٨٥) سبق أن علقنا على هذا الكلام بما يكشف عن سموه وخطورته.

تاريخية ثابتة. والأوس - في رواية ابن إسحاق - وكذلك جميع مسلمي المدينة الذين يدّعي أنهم رأوا أبا لبابة مرتبطاً في المسجد إلى عمود من عمدته، لأنه "خان الله ورسوله" وسمعوا سعداً يدعو الله للانتقام، شاهدوا هذه "العدالة الصورية"، ومع ذلك لا يبدو من رواية ابن إسحاق أن أحداً منهم داخله شك في أمرها) (٨٦).

إنه يقصد بـ "العدالة الصورية" ما روته كتب الصحاح والسير وعلى رأسها صحيح البخاري ومسلم، من تحكيم النبي ﷺ الصحابي الجليل "سعد بن معاذ" رضي الله عنه في أمر بني قريظة، وما انتهى إليه حكم "سعد" بأن تقتل الرجال، وتُسبى الذرية، وتقسم الأموال.

والرواية تقول أن اليهود نزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فقامت الأوس تشفع لهم عند الرسول ﷺ، كما شفعت الخزرج في بني قينقاع، وطلبوا منه ﷺ أن يحسن فيهم لأنهم مواليهم، فوكل النبي ﷺ الحكم في أمرهم إلى رجل من الأوس هو "سعد بن معاذ"، ورضي الأوس بذلك، ثم إنهم طلبوا من سعد أن يحسن في مواليهم، فما كان من سعد إلا أن قال: "لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم".

ثم أتى سعد النبي ﷺ فأخبره النبي ﷺ أن قريظة نزلوا على حكمه، فقال سعد: وحكمي نافذ عليهم وعلى المسلمين، وعلى من هنا - وأشار

(٨٦) محمد واليهود، ص ١٤٣.

جهة رسول الله ﷺ - فقال عليه السلام: «نعم وعليّ»، فحكم فيهم بالحكم الذي ذكرناه، فقال النبي ﷺ: «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة»^(٨٧).

فهذا الذي صدر من النبي ﷺ بتحكيم «سعد»، وما حدث من «سعد» وانتهى إليه من حكم، وشاهده الصحابة؛ كلُّه في رأي صاحب كتاب «محمد واليهود» مجرد تمثيلية، ومحكمة شكلية، لتحقيق «عدالة صورية» كانت من تدبير النبي ﷺ، وعليه فيكون الرسول ﷺ - في نظر «بركات أحمد» - قد اتفق مسبقاً مع «سعد» على هذه التمثيلية، وأن ما قاله من أن هذا هو حكم الله من فوق سبع سماوات، لم يكن صدقاً، وإنما مجرد كلام قاله ليبرّر ما حدث، وليضفي على هذه المحاكمة صفة القداسة، كي تنظلي على الناس - في نظر الكاتب الضال - هذه «عدالة صورية» !!

بل إن الكاتب يتحدث بلهجة المتعجب من أن الرواية لا يبدو منها

(٨٧) ينظر: السيرة النبوية ٢/ ٢٣٩ - ٢٤٠، والأرقعة: السماوات، جمع رقيق وهو سماء الدنيا، وكذلك سائر السماوات، فجاء به على لفظ التذكير، كأنه ذهب به إلى السقف (مختار الصحاح، ص ١٠٦).

والقصة أصلها في كتب الصحاح؛ فقد أخرجها البخاري في كتاب المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة، فتح الباري ٧/ ٤٧٠ وما بعدها، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب جواز قتال من نقض العهد، شرح النووي ١٢/ ٩٢-٩٥، رقم ١٧٦٨، ١٧٦٩، وأحمد في المسند ٧/ ٢٠٤، ٢٠٥، رقم ٢٤٥٧٣، وانظر: زاد المعاد ٣/ ١٣٣-١٣٥.

أن الصحابة الذين شهدوا هذه المحاكمة لم يداخلهم شك في نزاهتها، وكأنه يستغرب كيف أنهم لم يرتابوا في عدالة نبيهم ﷺ، ويشكوا في صدق إخباره بأن حُكْم «سعد بن معاذ» في بني قريظة جاء موافقاً لحُكْم الله تعالى فيهم من فوق سبع سماوات.

ونحن نقول لهذا المستغرب: إن الصحابة الذين شهدوا تلك المحاكمة لم يداخلهم شك في أمرها ونزاهتها لشيء بدهي، وهو أنهم ما رأوا سوى عدالة حقيقية، بالإضافة إلى أنهم مسلمون صادقون في إسلامهم، قد رضوا بالله تعالى رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، صادقاً معصوماً.

ومن لوازم الرضا بمحمد ﷺ نبياً ورسولاً أن يَرْضَى المسلمُ بما يحكمُ أو يخبر به الرسول ﷺ، دون أن يكون في صدر المسلم حرج أو ارتياب، لأن الاطمئنان إلى حكمه وتوجيهه ﷺ متفرع عن الإيمان بوحى الله إليه ﷺ، ولا يتصور للإيمان وجود بدون هذا الرضا والاطمئنان إلى حكمه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٨٨).

ثم إن هذا الشك في عدالته ﷺ، أو الاعتقاد، بل مجرد الظن بأنه

(٨٨) سورة النساء: ٦٥.

يجور أو يظلم - حاشاه عليه الصلاة والسلام - هو اعتقاد في جواز ارتكابه ﷺ للمعاصي، وهذا يتنافى مع عقيدة المسلم في الرسل؛ تلك العقيدة التي من مقتضياتها الإيمان بعصمة الأنبياء والرسل، أي الإيمان بأن الله تعالى قد عصم أنبياءه ورسله، وحفظ بواطنهم وظواهرهم من ارتكاب محظور شرعي، أو ارتكاب معصية منهي عنها، وهذا الاعتقاد بعصمة الأنبياء ينسجم مع الفطرة السوية المستقيمة، والعقول السليمة؛ إذ الرسل والأنبياء هم أمناء الله على وحيه، والمكلفون من ربهم عز وجل بهداية الخلق، ودعوتهم إلى ما يرضي الله - تعالى -، وتحذيرهم من عصيانه وتنكب هدايه، فكان من الطبيعي أن لا يخالفوا الناس إلى ما ينهونهم عنه، ويقعوا فيما يُحذرونهم منه.

فهل يعقل أن ينهى النبي ﷺ عن الظلم، ثم يقترفه؟! اللهم لا ..
ويبدو أن «بركات أحمد» - متابعاً لأساتذته من اليهود والنصارى - يتصور النبي ﷺ واحداً من أنبياء العهد القديم، الذين نسب اليهود إليهم القبائح والكبائر، كالزنا وشرب الخمر، والقتل بدون وجه حق، بل والإشراك بالله رب العالمين، والعياذ بالله^(٨٩).

إننا - نحن المسلمين - نرفض ما يُنسب إلى الأنبياء من موبقات

(٨٩) للوقوف على العديد مما نسبه كُتّاب العهد القديم إلى الأنبياء من فعل الموبقات والفواحش؛ يُراجع: الجذور الفكرية لانحراف الشخصية اليهودية، للمؤلف، ص ٦٩ : ٨٤، دار الكلمة - مصر، ط الثانية ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

وقبائح في العهد القديم، ونرفض كذلك أن يُنسب إلى النبي ﷺ أنه ظلم بني قريظة، ولم يسلك معهم سبيل العدل والإنصاف، وهو الذي أنزل عليه ربه في القرآن الكريم قوله سبحانه: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ۤأَلَّا تَعْدِلُوا ۖ اَعْدِلُوا هُوَ اَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ اِنَّ اللَّهَ خَبِيْرٌۢ بِمَا تَعْمَلُوْنَ﴾^(٩٠)، وقوله عز وجل: ﴿اِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ اَنْ تُوْدُوْا اِلَآءَ مَنْتَ اِلَآ اَهْلِهَا وَاِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ اَنْ تَحْكُمُوْا بِالْعَدْلِ﴾^(٩١)، وقوله تعالى: ﴿وَاَنْ اَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِمَا اَنْزَلَ اللَّهُ﴾^(٩٢).

فالنبي ﷺ لم يظلم، ولم يصنع عدالة صورية بحق يهود بني قريظة، إنما فعل الحق، وأجرى العدل جزاءً وفاقاً لهم على غدرهم، ولو كان ما صنعه غير العدل، لما أقره الله عليه؛ فإن الله سبحانه لا يُقر نبيّه على الخطأ، فضلاً عن معصية بيّنة كالظلم - حاشا لله ورسوله -، وما حدث في أسرى بدر حين نزل القرآن مخالفاً للرأي الذي أخذ به رسول الله ﷺ، ومبيناً أنه خلاف الأولى، ليس منا ببعيد.

فهل سترك الله نبيّه يقترب الظلم في حق بني قريظة، ويقره على

(٩٠) سورة المائدة، الآية ٨.

(٩١) سورة النساء، الآية ٥٨.

(٩٢) سورة المائدة، الآية ٤٩.

إجراء محاكمة شكلية تتمخض عنها «عدالة صورية»!!؟

حاش لله ..

وإن المرء لا يدري ماذا يتبقى لدى «بركات أحمد» من إسلام - وهو الذي يزعم أنه مسلم - بعد أن شكك في نبوة محمد ﷺ، وشكك في التزامه بالعدل، وتجنبه للظلم، ونال من عصمته ﷺ؟! سبحانك هذا بهتان عظيم.

سادساً: التسوية بين النبي ﷺ وعبدة الصليب:

ولقد بلغ النيل من قدر نبوة سيدنا محمد ﷺ، والتحقيق من شأن رسالته ﷺ، لدى صاحب كتاب «محمد واليهود» مبلغاً خطيراً، لا يمكن أن يتورط فيه أو ينزلق إليه مسلم يشهد أن لا إله إلا الله محمد رسول الله، إلا أن يكون في إسلامه شك وفي دينه دَخل، حيث جعل رسول الله ﷺ في درجة من يُدعون «القديسين النصارى».

يقول «بركات أحمد» ما نصه: (لكن ابن إسحاق كان الكاتب الذي أعطى في سيرته تاريخاً كاملاً، تضمّن الحديث عن الخلفية الجاهلية، والصراع الذي كان دائراً في المدينة قبل الهجرة، وانتشار الإسلام بعد صلح الحديبية وخير، مع سيرة الرسول وما تخللها من معجزات لا تقل شأنًا عن معجزات أية سيرة من سير القديسين النصارى)^(٩٣).

(٩٣) محمد واليهود، ص ٣٧.

وهكذا يُسَوِّي الكاتب بين معجزات النبي ﷺ وبين ما يزعم أنه معجزات للقديسين النصارى، بل إن تعبيره يوحي بأن المعجزات المزعومة لمن قال عنهم "القديسون النصارى" لها من الشأن المقام الأسمى، ومعجزات النبي ﷺ تابعة لها وملحقة بها، أي أن درجة النبوة والرسالة التي هي اصطفاء إلهي لمحمد بن عبد الله ﷺ تتساوى - في نظره - مع درجة القداسة (المزعومة) التي يمنحها بشر - إلى بشر - والحال أنهم في النهاية كفار يعبدون الصليب، ويؤهلون عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام.

وهذا ازدراء بنبوة محمد ﷺ، وتشكيك ضمنّي فيها.

من هم القديسون عند النصارى؟

جاء في قاموس الكتاب المقدس^(٩٤): «إن جميع المؤمنين بالمسيح "قديسون" بمعنى أنهم قد نالوا الخلاص وقد امتلأوا بالروح القدس».

وجاء في الموسوعة الميسرة: «قديس عند المسيحيين: أحد أهل الجنة، والمؤمن أحد أهل الأرض، وقديماً كان اسم القديس يطلق على كل مسيحي، ثم قُصرت هذه التسمية على كل من توافرت له شروط خاصة من حياة روحية وروعة، وإتيان بمعجزات في أثناء الحياة أو بعد الممات، ولدى الكنيسة الكاثوليكية قوائم للقديسين لا يُدرج فيها

(٩٤) ص ٧١٩.

إلا من استوفى هذه الشروط، وجرت العادة أن يمنح الطفل المسيحي عند التعميد اسم قديس يكون شفيحاً له طوال حياته»^(٩٥).

فالقاسم المشترك بين من يُدعون "قديسين عند النصارى" أنهم نصارى جاحدون لنبوة سيدنا محمد ﷺ، ولا يؤمنون بالإسلام، ويؤمنون بأن المسيح إله وابن إله، وأنه صُلب تكفيراً لخطيئة البشرية، وأن الله ثالث ثلاثة (الإله الأب والإله الابن والإله الروح القدس) - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً..

بالإضافة إلى أن أولئك "القديسين" المزعومين، ليسوا بأنبياء من عند رب العالمين، وأنهم يُمنحون درجة القداسة (المزعومة) من قبل رجال الدين النصارى.

هؤلاء يسوي الأفاك "بركات أحمد" بينهم وبين رسول الله ﷺ، ويجعل معجزات خاتم الأنبياء والمرسلين، ومبعوث الله رب العالمين لا تقل شأنًا عما يُزعم أنها معجزات لهم.

ثم ألا يعلم أن من القديسين النصارى (في زعمهم) من كان يطفح بالحق على الإسلام وأهله، ونذر حياته لمحاربة الله ورسوله ودين

(٩٥) الموسوعة العربية الميسرة، بإشراف محمد شفيق غربال ٢ / ١٣٧١، ١٣٧٢، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

وفي المعجم الوسيط: «القديس (عند النصارى): المؤمن الذي يُتوفى طاهراً فاضلاً». مجمع اللغة العربية - القاهرة، ج ٢ ص ٧٤٦، ط الثالثة.

الحق، وعمل جاهداً على القضاء على الإسلام والمسلمين؟

إن ممن جعلهم النصارى قديسين - على سبيل المثال - "لويس التاسع" الذي كان على رأس الحملة الصليبية الأخيرة على الشرق الإسلامي، والتي انتهت بهزيمته وأسرته في دار ابن لقمان بالمنصورة سنة ١٢٥٠م، ثم افتدى نفسه، وعاد إلى فرنسا، ولم يَقِرَّ له قرار حتى قام بحملة صليبية جديدة سنة ١٢٧٠م على تونس، ولكنه هلك بمرض الطاعون، بعد قليل من نزوله فيها.

هذا العدو اللدود للإسلام والمسلمين جعله النصارى في مصاف القديسين عام ١٢٩٧م^(٩٦).

فأية معجزات كانت لمثل هذا الكافر الفاجر، الذي جاء من أوروبا إلى قلب العالم الإسلامي، رافعاً راية الصليب، ليقهر راية لا إله إلا الله محمد رسول الله، وبقي مُصِرّاً على حرب الإسلام والمسلمين، حتى غادر الدنيا غير مأسوف عليه، وأمسى رمةً باليةً تحت الثرى !!؟

أية معجزات لهذا الصليبي الكافر وأمثاله، حتى يزعم بركات أحمد - خذله الله - بأن معجزات رسول الله محمدٍ أشرف الخلق ﷺ لا تقل شأنًا عن معجزاتهم المزعومة !!؟

فأين عبّاد الصليب الذين يؤمنون بثلاثة آلهة؛ من صفوة الأنبياء

(٩٦) راجع: الموسوعة العربية الميسرة ٢/ ١٥٨٥.

والمرسلين، محمد بن عبد الله ﷺ؟

أين الثرى من الثريا؟

وأين التراب من التبر؟

بل أين الكفر من الإيـمان؟!

المعجزة والكرامة والاستدراج:

إن المعجزة أمر خارق للعادة، يجريه الله على يد نبي من أنبيائه المصطفين منه سبحانه، تأييداً لذلك النبي في دعوى النبوة والرسالة، مثل ما جرى من شق البحر، وجعل العصا حية لموسى ﷺ، وإبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى بإذن الله لعيسى ﷺ، وإنزال القرآن على محمد ﷺ، وتسبيح الحصى في يده، وانشقاق القمر له ﷺ.

تلك هي المعجزة، ولا تكون لأحد إلا للأنبياء.

وأما لو حدث شيء خارق للعادة على يد أحد غير الأنبياء: فإن كان صالحاً فهو كرامة أجراها الله تعالى على يد وليٍّ من أوليائه تكريماً له، كما حدث لمريم رضي الله عنها؛ حيث كان عندها في غرفتها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء، ومثل ما حدث لأهل الكهف؛ حيث حفظ الله أجسادهم أكثر من ثلاثمائة عام، دون أن تأكلها الأرض، وجعل أجسادهم تُقلّب ذات اليمين وذات الشمال طوال تلك الفترة.

وأما إذا حدث شيء خارق للعادة على يد إنسان غير صالح، أو عاصٍ

لله، فهو فتنة واستدراج من الله تعالى، كما سيحدث من الخوارق على يد المسيح الدجال آخر الزمان.

وهؤلاء الذين يُدعون "القديسين النصارى" ما هم بأنبياء ولا أولياء؛ بل كفار، يجعلون لله تعالى الشريك والصاحبة والولد، وهم داخلون تحت حكم قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾^(٩٧)، وقوله سبحانه: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾^(٩٨)، وقوله جل وعلا: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾^(٨٨) ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا﴾^(٨٩) ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾^(٩٠) ﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾^(٩١) ﴿وَمَا يُنْبِغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾^(٩٢).

فهيئات هيئات أن تقع لأحدهم كرامة أو معجزة.

ومع هذا يقول المستغرب "بركات أحمد" إن معجزات الرسول ﷺ التي تخللت السيرة النبوية، لا تقل شأنًا عن معجزات أية سيرة من سير القديسين النصارى!!

(٩٧) سورة المائدة، الآية ٧٣.

(٩٨) نفس السورة، الآية ٧٢.

(٩٩) سورة مريم، الآيات ٨٨ : ٩٢.

الفصل الثالث

شبهات حول القرآن والسنة

أولاً: مصدر القرآن الكريم

ثانياً: أخبار القرآن والسنة بين الحقيقة والأسطورة

ثالثاً: التشكيك في عدالة الصحابة رضي الله عنهم

رابعاً: التطاول على الصحابة بالسب والشتم

خامساً: الطعن في سلامة أحاديث الصحيحين من

الكذب

سادساً: رد الأحاديث الصحيحة بدعوى مخالفتها للعقل

سابعاً: جزاء بني قريظة ومبدأ القصاص العادل

ثامناً: ادعاء أن بني أمية كانوا يشجعون وضع

الأحاديث

أولاً: مصدر القرآن الكريم

انطلاقاً من حرص صاحب كتاب «محمد واليهود» على الطعن في ثوابت الإسلام، وهدم مقوماته؛ أخذ ينقل ويقرر تشكيك معلّميه وأساتذته المستشرقين في ربانية القرآن، وبنفس الطريقة التي نقل بها تشكيكهم في ربانية الإسلام، بل وأتى هو نفسه بعبارات تطعن ضمناً في أصلي الإسلام: القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

قال «بركات أحمد» ما نصه:

«وقد تناول "جايجر" موضوعه بقدر غير قليل من التوسع، وكان يرى - من وجهة نظره - أنّ علاقة الرسول بيهود يثرب لم تكن وثيقة. وأشار "جايجر" إشارة عابرة إلى بني قينقاع، وإلى بني النضير، وكذا إلى يهود خيبر، ولكنه لم يتحدث عن بني قريظة الذين قرأ عنهم على الأرجح في كتاب أبي الفدا وفي تفسير القرآن. ولو أنّ "جايجر" رأى ضرورةً للتعرض للصراع الذي يقول إنه "فرض فرضاً على اليهود والمسلمين"، والذي يقول "جويتاين": إنه "ترك أثره على كتاب الإسلام المقدس" لما أعوزته المادة»^(١٠٠).

فالقرآن - في نظر المستشرق [اليهودي] "جويتاين" وأضرابه - كتاب مصنوع مؤلّف من بشر، وأنه - أي القرآن - صدى للبيئة التي فيها، كما أنه تأثر بالأحداث الجارية - وخاصة الصراع بين المسلمين

(١٠٠) محمد واليهود، ص ٢١.

واليهود - في زمن تأليفه - زعموا ..

فهو يريد أن يقول: إن الصراع الذي وقع بين المسلمين واليهود كان من آثاره على القرآن أن سُوهت صورة اليهود في القرآن، ووُصِفوا بصفات قبيحة، وعليه فلو أن العلاقة بين المسلمين واليهود في زمن الرسول ﷺ كانت تتسم بالود والموادعة؛ لكانت صورة اليهود على غير ما هي عليه في القرآن الآن، ونظراً لأن العلاقة بين الجانين كان يسودها الصراع؛ جاء القرآن انطباعاً لتلك الأحداث.

وقد كان المأمول أن يكون لبركات أحمد من هذا الكلام موقف ينصف الحقيقة، ويتفق مع عقيدته كمسلم، ولكنه - مع الأسف - لم يكن عند حسن الظن، بل كان موقفه مريباً؛ حيث لم يُبدِ تحفظاً، فضلاً عن أن يستنكر هذا الافتراء على كتاب الله رب العالمين.

ولتأمل في النص السابق، ونظر في كلام بركات أحمد، الذي يقول فيه: (وكان يرى - من وجهة نظره - أن علاقة الرسول ﷺ بيهود يثرب لم تكن وثيقة).

فراه هنا قد تحفظ على كلام "جايجر" حينما ذكر الجملة الاعتراضية، وهي قوله: "من وجهة نظره".

ثم لننظر في كلامه بعد ذلك: (ولو أن "جايجر" رأى ضرورةً للتعرض للصراع الذي يقول "جويتاين" إنه "ترك أثره على كتاب المسلمين المقدس" لما أعوزته المادة).

فراه هنا لم يتحفظ كما فعل في العبارة السابقة، ولم يبد مخالفة في الرأي، مثلما يتحفظ دائماً للرد على المؤرخين والباحثين المسلمين، ومحاولة إبطال آرائهم، والنيل منها، لمجرد أنها تخالف دفاًن نفسه المريضة، وتوجهات أساتذته وآرائهم الحاقدة والمتحاملة على الإسلام والمسلمين، بل على العكس وجدناه هنا يشير إلى أن "جايجر" لو خاض في الكتابة عن الصراع بين المسلمين واليهود، وكيف أن هذا الصراع ترك أثره على القرآن الكريم، لوجد مادة تعينه على إثبات هذا الافتراء، وتسعفه في تأييد مزاعمه الباطلة.

وهكذا نرى المستشرقين يشككون في ربانية القرآن الكريم، وينقل تلامذتهم وعملاؤهم تشكيكهم برضا وارتياح.

فهل تراهم أتوا بشيء من الحق، أو أثاره من العلم؟

كلا .. وصدق الله القائل: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ . وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ . أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَاتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿١٠١﴾ .

(١٠١) سورة يونس: ٣٦ - ٣٩ .

إن القرآن الكريم كلام رب العالمين، ولم يكن صدى للبيئة، أو انطباعاً للحوادث المعاصرة للنبي ﷺ أو تأثراً بها.

وقد غاب عمن يشككون في ربانية القرآن الكريم كثيرٌ من الحقائق التي تدحض مفترياتهم، وتهدم مزاعمهم.

ذلك أن من خصائص نزول القرآن الكريم، أنه كان ينزل مُنَجَّمًا، أي مفرقًا، بحسب الحوادث والأحوال، كما قال الله تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾^(١٠٢).

قال الإمام ابن كثير: (أما قراءة من قرأ بالتخفيف، فمعناه: فصلناه من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا، ثم نزل مُفْرَقًا منجماً على الوقائع إلى رسول الله ﷺ في ثلاث وعشرين سنة. قاله عكرمة عن ابن عباس).

وعن ابن عباس أيضاً أنه قرأ ﴿فَرَقْنَاهُ﴾ بالتشديد، أي: أنزلناه آية آية، مبيناً مفسراً، ولهذا قال: ﴿لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ﴾ أي: لتبلغه الناس وتتلوه عليهم ﴿عَلَى مُكْثٍ﴾ أي: مهل ﴿وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ أي: شيئاً بعد شيء^(١٠٣).

وقد بين الله تعالى بعض الحكم من هذا الأمر، فقال - في الرد على الكفار الذين اعترضوا وتدخلوا فيما لا يعنيههم -: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ

(١٠٢) سورة الإسراء: ١٠٦.

(١٠٣) تفسير القرآن العظيم ٦٩ / ٣.

كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ
وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿١٠٤﴾.

فكان من حِكْمِ تنزيل القرآن تثبيتُ قلب النبي ﷺ وإيناسه، هو
والمؤمنين معه، والردُّ على خصوم الدعوة الإسلامية بما يقطع
حُجَجَهُمْ، ويبطل اعتراضاتهم، وكذلك فإنَّ نزول القرآن الكريم
منجماً كان يتمشى مع خَصِيصَةِ التدرج في التشريع، التي أخذ الله بها
عباده في صدر الإسلام، إذ لو نزل القرآن جملة لنزل الحلال والحرام
وسائر التشريعات جملة، ما يشق على الناس الذين كانوا قريبي عهد
بالجاهلية، كما أن نزول القرآن منجماً كان عاملاً من عوامل تسهيل
حفظه في الصدور على المسلمين في عهد الرسول ﷺ.

وهكذا اقتضت حكمة الله تعالى إنزال القرآن على قلب النبي ﷺ
مفرقاً بحسب الحوادث، سواء ما كان منها يتعلق بصلة المسلمين
باليهود وعلاقتهم بهم، أم بعلاقتهم بغيرهم، فكان القرآن يتنزل للرد
على اليهود فيما يثرونه من قضايا، ويتبنونه من مواقف حيال الدعوة
الإسلامية، وكان يفعل الشيء مع سواهم من الكفار والمنافقين.

إن القرآن الكريم وحي أوحاه الله تعالى إلى رسوله محمد ﷺ، وهو
معجزة الإسلام الخالدة إلى يوم الدين، وهو يحمل في مضامينه دلائل
ربانية مصدره، وينطق بأنه من عند الله رب العالمين.

(١٠٤) سورة الفرقان: ٣٢.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَلْأَقْبَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾^(١٠٥)،
وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ .
عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ . بِلسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾^(١٠٦).

يقول الدكتور «محمد البهي»: (ولكن هذا الذي يقوله القرآن هنا
وفي آيات أخرى، لا يواجهه به إلا مسلماً غير متردد في إيمانه بالإسلام!
أو هو يواجهه به من كان صافئ الطبع غير مُبَيِّتٍ سوء القصد من البشر،
وعندئذ يكون القرآن له شفاء وهداية ... ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ
شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾^(١٠٧)).

أما لو واجهنا بالقرآن غير المسلم، من متعصبي أهل الكتاب، فإنه
لا يكون له دليل هداية وإقناع على أن القرآن وحي من الله، وإنما الذي
يجب أن يُسلَّك معه مطالبته بتحديد موقفه من "الوحي" كقضية عامة
للديانات السماوية الثلاث، وليست قضية الإسلام وحده، فما يقوله
الغرب المسيحي باسم العلم تأييداً لوحي عيسى أو موسى يصح أن
يقال تأييداً لوحي محمد! فإذا كان الوحي كأمر غير عادي، يخضع
للطريقة العلمية الحديثة، أو لا بد أن يقف عن حد اعتقاد المؤمنين به
في كل دين، فكل أنواع "الوحي" سواء في هذا ... أو ذاك !!

(١٠٥) سورة النمل: ٦.

(١٠٦) سورة الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥.

(١٠٧) سورة الإسراء: ٨٢.

أما الأمر الذي يجب أن ينكره البحث العلمي - بهذا التحديد - فهو أن يُناقش نوع من "الوحي" ويُتشكك فيه باسم العلم، ثم يُصان نوع آخر منه على أنه بديهي التسليم، وبعيد عن مجال الجدل العقلي النظري أو العلمي التجريبي!!

ولذا لا نحاول هنا أن نؤيد وحي الرسالة الإسلامية خاصة؛ لأن قضية "الوحي" إذن قضية عامة مشتركة، ما يصلح دليلاً عليها هناك يصلح دليلاً عليها هنا... فيجب أن تخرج القضية في جملتها عن محل النزاع!! (١٠٨).

هذا، ولقد كان أولى بهؤلاء المستشرقين المتعاملين بدلا من أن يثيروا الشبهات ليشككوا في مصدر القرآن الرباني؛ أولى بهم أن يتواروا خجلاً مما بأيديهم من أسفار يؤمنون بقدسيتها، ويزعمون أنها وحي إلهي، حيث تطفح تلك الأسفار المقدسة - في اعتقادهم - بفضائح ومخازٍ يندى لها الجبين، وينفطر من هولها الفؤاد!!

فهل يرغب المستشرقون من اليهود والنصارى في أن نشير لهم إلى بعض ما يتضمنه العهد القديم من الوحي - في اعتقادهم -؟

لا بأس .. وإليكم الآتي:

ينسب "العهد القديم" إلى الله تعالى الندم والحزن والحمق - والعياذ

بالله!!

(١٠٨) الفكر الإسلامي الحديث، ص ١٩٤.

ومن أراد التفاصيل بنفسه فليقرأ الإصحاح السادس من سفر التكوين، والإصحاح الثاني والثلاثين من سفر الخروج، والإصحاحين الأول والثاني من سفر أيوب، والإصحاح الثاني من سفر صمويل الثاني، وكذا الإصحاح الرابع والعشرين منه !!

وكذلك يصف العهد القديم الله تعالى بالحلول والإقامة في مكان يجويه، مثل ما يجل الإنسان في مكان ويطيم فيه، وأنه - تعالى عن ذلك - كان يسير مع القوم ينزل بنزولهم، ويرحل برحيلهم، وتفصيل ذلك في الإصحاح الثالث عشر، والإصحاح الثالث والثلاثين من سفر الخروج !!

بل إن العهد القديم ينسب لله - تعالى - أنه يأمر بالفحشاء والموبقات، والعياذ بالله، وهذا واضح جدا وصريح في مطلع الإصحاح الأول من سفر هوشع !!

وهناك أيضاً نسبة حالات الزنا إلى الأنبياء - حاشاهم صلوات الله وسلامه عليهم :-

ففي الإصحاح التاسع عشر من سفر التكوين نسبة الزنا إلى لوط عليه السلام بابتتيه، وفي الإصحاحين الحادي عشر - والثاني عشر - من سفر صمويل الثاني ينسب إلى داود عليه السلام أنه زنا بامرأة أحد الجنود، ثم دبّر مؤامرة لقتله؛ كي لا ينكشف أمر فعلته !!

وفي الإصحاح الثاني والثلاثين من سفر الخروج ينسب إلى هارون

عليه السلام أنه صنع لبني إسرائيل عجباً يعبدونه من دون الله!!
وفي الإصحاح التاسع من سفر التكوين ينسب إلى نوح عليه
السلام أنه شرب الخمر، وسكر وتعري، وسخر منه بعض أبنائه!!
وهناك غير هذا من المخازي التي حواها العهد القديم الكثير
والكثير!!!

فكيف يكون هذا الانحراف من الوحي الإلهي!!؟
ثم بالإضافة إلى تلك المخازي، هناك الأسلوب المتدني، والهابط
والمسف، والتراكيب الوضيعة، بل والوقحة أحياناً!!
وإن شئت فاقرأ في سفر الإنشاد، فستشعر أنك تقرأ رواية من
روايات الأدب الجنسي المكشوف الفاضح السافل!!
فهل هذا وأمثاله هو الوحي الإلهي المعتبر عند هؤلاء المستشرقين
"الباحثين"، وأما القرآن الكريم فلا!!؟
إن كان ذلك كذلك فعلى الدنيا ألف عفاء!!
حقاً إن هؤلاء القوم يتوهمون القشة في عيون غيرهم، ولا يرون
الخشبة في عيونهم!!

وصدق رسول الله ﷺ إذ قال: «إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»^(١٠٩).

(١٠٩) جزء من حديث نصه: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ». أخرجه البخاري في ك الأدب، ب إذا لم تستح فاصنع ما شئت، فتح الباري ١٠/٥٣٩ - ٥٤٠، رقم ١٦٢٠، وفي ك الأنبياء، وأبو داود في ك الأدب، ب في الحياء ٢/٤٤٣، رقم ٤٧٩٧، وابن ماجه في ك الزهد، ب الحياء ٢/٤٤٣، رقم ٤٧٩٧، =

ويبدو أن الله تعالى قد عافاهم مما ابتلى به كثيراً من خلقه من الحياء !!

ثانياً: أخبار القرآن والسنة بين الحقيقة والأسطورة

ونعود مرة أخرى إلى ما كتبه "بركات أحمد" في تقديم كتابه، إذ يقول ما نصه: (العلاقات بين مجموعات الناس، لاسيما حين يكون للدين دخل فيها، علاقات يكثُر فيها النزاع وتكثر المعانات، وقصص من استشهدوا في سبيل دينهم تغذي الخرافات، كما أن التحامل على الآخرين يضيف مرارة للأساطير، والاعتبارات السياسية وكتابات العلماء المتحيزين تخلع على الأساطير ثوب التاريخ، وما روي عن علاقة محمد بيهود الحجاز لم يكن إلا أسطورة من هذه الأساطير)^(١١٠).

فالكاتب - في ختام النص السابق - يصف كل ما روي بشأن علاقة الرسول ﷺ بيهود الحجاز، وعلاقتهم به، بأنه محض أساطير، لا أساس لها من الصحة !!

وقد ذكرنا سابقاً أن في هذا الأسلوب مجافاةً للمنهج العلمي، الذي يقتضي - من الباحث الدقة وترك المجازفة والتعميم في إصدار الأحكام، وقد كان من الواجب - أخلاقياً ومنهجياً - أن لا يصدر حكماً مُعمَّماً على كل ما ورد بشأن علاقة الرسول ﷺ باليهود بأنه

= وأحمد في المسند ٥/ ١٠٠، رقم ١٦٦٤١، ومالك في الموطأ، ك السفر، ب وضع اليدين إحداهما على الأخرى في الصلاة ٢/ ١٥٨، كلهم من رواية أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري البدرى.

(١١٠) محمد واليهود، ص ١٣.

أساطير، وكان يجدر به أن يستثني ما صحت به الروايات، وأن لا يُهيل الترابَ على مصادرنا التاريخية وغيرها بجرة قلم.

ثم - وهذا هو الأهم والمقصود هنا - إننا نسأل الكاتبَ وأمثاله:

أليس القرآن الكريم على رأس المصادر التي رَوَتْ لنا ما يتصل بعلاقة الرسول ﷺ باليهود، وجاءت بها آياتٌ بيّنةٌ مُحْكَماتٌ؟

وكذلك كتب السنّة الصّحاح من تلك المصادر؟

ثم كتب السير والمغازي؟

بلى، إن القرآن الكريم فيه آيات كثيرة روت لنا جوانب هامة وجوهرية من علاقة محمد ﷺ بيهود الحجاز، وما اكتنّف تلك العلاقة من مواقف وأحداث بين الطرفين.

وعلى سبيل المثال:

فقد تحدثت سورة الحشر عن يهود بني النضير وإجلالهم؛ بسبب أنهم شاقوا الله ورسوله.

وأشارت سورة الأحزاب إلى دور يهود بني قريظة في مؤازرة الكافرين، ومظاهرتهم إياهم على حرب الله ورسوله والمؤمنين، وأنّ الله أخزاهم وردداهم خائبين.

وهناك آيات كثيرة في سور المائدة وآل عمران والنساء... وغيرها مما لا يتسع لذكره المقام.

ثم إن كتب السنّة الصحيحة وعلى رأسها صحيح البخاريّ

ومسلم، اللذان أجمعت الأمة سلفاً وخلفاً على صحة ما تضمننا من أحاديث، وأنها أصحُّ الكتب بعد القرآن الكريم؛ هذه الكتب روت وفصلت جوانب علاقة الرسول ﷺ بيهود الحجاز.

وفي ضوء ما في القرآن الكريم وصحيح السنة دُوِّنت كثير من كتب السير والمغازي الموثوقة.

فهل يجوز أن يقول "بركات أحمد" عما رواه القرآن الكريم وصحيح السنة عن علاقة الرسول ﷺ باليهود أنه أسطورة من الأساطير، أو كما يذكر في موضع آخر من كتابه أنها "أساطير خَلَع عليها الزمن صبغة دينية"؟! (١١١).

وإذا كان ما تضمنه القرآن الكريم وصحيح السنة من روايات عن علاقة الرسول ﷺ بيهود الحجاز أسطورةً من الأساطير، أو أساطير خلع الزمن عليها صبغة دينية في نظر هذا الكاتب المتعلم، فماذا عسى أن يكون هو الحقيقة؟!!!

قد يقول لنا إنَّ الحقيقة لا تؤخذ إلا من افتراضاته هو، التي تابع فيها تحرّصات وافتراضات وجهالات أساتذته المستشرقين، الذين وقعوا فريسة التحزب غير العلمي، والتعصب الأعمى ضدَّ كلِّ ما هو إسلامي، أولئك المستشرقين الذين يُعوز أحدهم الدليل على دعواه الباطلة، فإذا به يقول في جرأة يحسد عليها: إننا لمضطرون أن نفترض

(١١١) محمد واليهود، ص ٢٢.

كذا وكذا!!!^(١١٢).

إنه لا ينبغي أن يصدر من مسلم طعنٌ في القرآن وصحيح السنة، كما أن اعتقادَ عدمِ صحةِ شيءٍ من القرآن كاعتقاد عدم صحته كُله، والطعن في خبر من أخباره كالطعن فيه كُله، فهذا وأمثاله كفر مخرج من الملة - والعياذ بالله ..

فهل يعلم هذا عميل المستشرقين المدعو "بركات أحمد"؟! هذا؛ وليعلم المستشرقون وعملاؤهم أن أخبار القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية لا تقبل الطعن، ومن عنده أثارة من علم يعرف أنه لا يوجد في الدنيا كُلهَا كتابٌ أصحُّ ولا أوثقُ من القرآن الكريم، كما أن العالم لا يعرف منهجاً في التحري والتثبت من صحة الأخبار مثل المنهج الذي اتبعه علماء المسلمين في جمع القرآن الكريم، وتدوين السنة النبوية، حتى غدا هذا حقيقةً من الحقائق الواضحة وضوح الشمس في ريعان النهار.

ثالثاً: التشكيك في عدالة الصحابة رضي الله عنهم

الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين هم الذين عايشوا رسول الله ﷺ، ولازموه طَوَالَ حياته - مع تفاوت بينهم في مدة المعاشة

(١١٢) كمثال على هذا المنهج ما كتبه المستشرق اليهودي الألماني (ولهلم رودلف) في كتابه (صلة القرآن باليهودية والمسيحية)، وقد عرض المرحوم الدكتور عبد الجليل شلبي لمزاعمه ومفترياته وبين تهافتها في كتابه: صور استشراقية، ص ٤٩ : ٩٥.

والملازمة له عليه الصلاة والسلام..

ثم إنهم هم الذين نقلوا إلينا سنة الرسول ﷺ، وعنهم تلقى التابعون، ثم عن التابعين أخذ أتباع التابعين... وهكذا.

والتشكيك في عدالة الصحابة هو طعن وتشكيك فيما رووه لنا من سنة الرسول ﷺ؛ لأنه إذا ارتفعت الثقة فيهم، وكانت عدالتهم وأمانتهم عرضة للقليل والقال، انخرمت الثقة بالتالي في مروياتهم وأحاديثهم التي ينسبونها إلى الرسول ﷺ، بل وكان هذا طريقاً إلى الشك في القرآن الكريم، لأنهم هم الذين نقلوه للناس عن رسول الله ﷺ، وأقرأوه لهم.

ومن هنا يحاول أعداء الإسلام وعملاؤهم التشكيك في عدالة الصحابة ونزاهتهم، ليحصل الشك في مروياتهم.

وأراد صنيعة المستشرقين وريبهم "بركات أحمد" أن يدلي هو الآخر بدلوه، فاقترف عظيم الإثم، وتجراً على لمز بعض الصحابة - رضوان الله عليهم - حين أراد أن يردّ حديثاً اتفق عليه البخاريّ ومسلم - رحمهما الله تعالى -، وذلك اقتداءً منه بأساتذته المستشرقين الذين يغرقون في مستنقعات التعصب الممقوت، والجهل الذريع، ومحاولته منه - والله أعلم - أن يثبت لهم أنه سائر على دربهم، وماضٍ في عمالته لهم، كما فعل كثيرون مثله، ومنهم "أبورية" حين طعن في الصحابي الربانيّ الفقيه "أبي هريرة" رضي الله عنه، وتناول عليه

بالزور والبهتان، وذلك في كتابه المشؤوم "أضواء على السنة
المحمدية"، وقد فضح العلماء أباطيله وردُّوا أكاذيبه، وقطعوا لسان
السوء لديه بالحجة والبرهان^(١١٣).

هناك حديث أخرجه الشيخان، يتضمن نزول بني قريظة على
حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه.

روى أبو أمامة، قال: سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ يَقُولُ: نَزَلَ أَهْلُ قُرَيْظَةَ عَلَى
حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى سَعْدِ فَاتَى عَلَى حِمَارٍ، فَلَمَّا دَنَا
قَرِيبًا مِنَ الْمَسْجِدِ قَالَ لِلْأَنْصَارِ: «قَوْمُوا إِلَيَّ سَيِّدُكُمْ - أَوْ خَيْرِكُمْ». فَقَالَ:
«هُؤُلَاءِ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِكَ». فَقَالَ سَعْدٌ: تَقْتُلُ مُقَاتِلَتَهُمْ وَتَسْبِي
دُرَيْتَهُمْ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قَضَيْتَ بِحُكْمِ اللَّهِ - وَرُبَّمَا قَالَ - بِحُكْمِ
الْمَلِكِ»^(١١٤).

ولكن الكاتب المتعالم "بركات أحمد" لم يرق له هذا الحديث، فردّه
بالزور والهوى، وركب في سبيل تكذيب الحديث - الذي هو أصح من

(١١٣) ممن ردّ عليه: الدكتور مصطفى السباعي - رحمه الله - في كتابه "السنة ومكانتها في
التشريع الإسلامي"، والدكتور محمد أبو شهبه، حيث فصل في الردّ عليه في كتابه "دفاع عن
السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين"، نشره مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
عام ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

(١١٤) البخاري في ك المغازي، ب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة،
فتح الباري ٧ / ٤٧٥، رقم ٤١٢١، ومسلم في ك الجهاد والسير، ب جواز قتال من نقض
العهد، شرح النووي ١٢ / ٩٢ - ٩٤، رقم ١٧٦٨.

ضوء الشمس في ضحاها -، كلَّ صعبٍ وذلولٍ^(١١٥)؛ حيث طَعَنَ في صحابين جليلين، فقال - في سياق اعتراضه على الحديث - ما نَصُّه: (ومن الملاحظ أن أول مَنْ رَوَى هذا الحديث هو أبو سعيد الخدري وأبو أمامة، وكانا من الأنصار، وأكثر ما يهْمهما هو الإشادة بمنزلة سعد)^(١١٦) - انتهى كلامه - !!

أما أبو سعيد الخدري فهو الصحابيُّ المعروف، سعد بن سنان بن ثعلبة بن عبيد بن الأبحر بن عوف بن الحارث بن الخزرج .
استشهد أبوه يوم أحد، وشهد أبو سعيد الخندق، وبيعة الرضوان
(١١٧)

وأما أبو أمامة فهو ابن سهل بن حنيف الأنصاري الأوسي المدني الفقيه المعمر الحجة، اسمه "أسعد" باسم جدّه لأمه، النقيب السيد أسعد بن زُرارة، وُلِدَ في حياة النبي ﷺ، وراه فيما قيل .
قال أبو معشر السندي: رأيتُ أبا أمامة وقد رأى النبي ﷺ .
وقال الزهري: أخبرني أبو أمامة، وكان من عليّة الأنصار

(١١٥) سوف نذكر الردّ على تكذيبه لهذا الحديث الصحيح، ونُفَنِّدُ أباطيله بهذا الخصوص لاحقاً - إن شاء الله تعالى - .

(١١٦) محمد واليهود، ص ١٤٢ .

(١١٧) سير أعلام النبلاء، للإمام الذهبي ٣ / ١٦٨ - ١٦٩، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة - بيروت ط الثامنة ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م .

وعلمائهم، ومن أبناء البدرين^(١١٨).

فأبو سعيد الخدريُّ صحابيٌّ باتفاق، وأبو أمامة بن سهل صحابيٌّ في رأي البعض.

وعند "بركات أحمد" أنها من الأنصار، وكل الذي يعنيها ويهمها - في نظره - هو مجاملة سعد بن معاذ، وليس الانحياز للحق، وعلى هذا فالثقة فيما رواه غير يقينية - في نظر هذا الأفك - لأنها ليسا فوق مستوى الشبهات، حسث إنه يمكن أن يكونا لفقاً هذا الحديث، واخترعا من عندهما أن بني قريظة نزلوا على حكم سعد، للإشادة بمنزلة سعد، والتنويه بمكانته.

هذا في رأي "بركات أحمد" - المسلم فيما زعموا - !!

إن كلامه الطاعن في أبي سعيد وأبي أمامة رضي الله عنهما، والذي يقول فيه: "وكانا من الأنصار وأكثر مما يهمها هو الإشادة بمنزلة سعد" كلام لا دليل عليه، وإلا فليأت هو ومن على شاكلته بدليل على هذا الادعاء الرخيص، ولن يجد عشر دليل على هذا الاتهام.

إنه لن يجد إلا ما يُحِبُّ ظنُّه السيِّء في صحابة رسول الله ﷺ، وذلك أن الصحابة رضوان الله عليهم هم الجيل الرباني الذي رباه

(١١٨) السابق ٥١٧/٣ : ٥١٨، البداية والنهاية، ابن كثير ١٩٨/٩.

ويقال: هو من عليّة القوم، أي: أرفعهم قدرًا. معجم الصواب اللغوي، د. أحمد مختار عمر، ٥٤٦/١، عالم الكتب - القاهرة، ط الأولى ١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨ م.

النبي ﷺ، وتحملوا معه عليه الصلاة والسلام من المحن والابتلاءات ما تنوء بحمله الجبال الراسيات، راضية بذلك نفوسهم، ومطمئنة به قلوبهم، وانطلقوا في الآفاق ينشرون الإسلام، ويبلغون دعوة الله في المشارق والمغرب، مؤثرين الآخرة الباقية على الدنيا الفانية، ابتغاء مرضاة الله، وطمعاً في ثوابه جل في علاه، وهؤلاء الصحابة الأبرار لم يكن ولاؤهم لغير الحق لا يعرفون فيه مجاملة، ولو كان على آبائهم أو عشيرتهم، ولا يعرفون ظلماً ولو كان مع أعدائهم ومبغضيههم.

ثم إن الصحابة عدول باتفاق الأمة كلها سلفاً وخلفاً، عدا من شدّ عن هذا ممن لا يعتد برأيهم.

قال ابن كثير: "والصحابه كلُّهم عدول عند أهل السنة والجماعة، لما أثنى الله عليهم في كتابه العزيز، وبما نطقت به السنة النبوية في المدح لهم في جميع أخلاقهم وأفعالهم، وما بذلوه من الأموال والأرواح بين يدي رسول الله ﷺ، رغبة فيما عند الله من الثواب الجزيل، والجزاء الجميل.

وأما ما شَجَرَ بينهم بَعْدَهُ عليه الصلاة والسلام، فمنه ما وقع عن غير قصد، كيوم الجمل، ومنه ما كان عن اجتهاد، كيوم صفين، والاجتهاد يخطئ ويصيب، ولكن صاحبه معذور وإن أخطأ، ومأجور أيضاً، وكان عليٌّ وأصحابه أقرب إلى الحق من معاوية وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين.

وقول المعتزلة: الصحابة عدول إلا من قاتل عليًّا: قولٌ باطلٌ
مرذولٌ ومردودٌ" (١١٩).

ثم قال: "وأما طوائف الروافض وجهلهم وقلة عقلهم، ودعاويهم
أن الصحابة كفروا إلا سبعة عشر صحابياً وسموهم؛ فهو من الهذيان
بلا دليل، إلا مجرد الرأي الفاسد..

[إلى أن قال]: فرضي الله عنهم أجمعين، ولعن من يتهم الصادق،
ويُصدّق الكاذبين، آمين يا رب العالمين" (١٢٠).

وقال ابن حجر في بيان حال الصحابة من العدالة: "اتفق أهل
السنة على أن الجميع عدول، ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من
المتدعة" (١٢١).

ولقد زكى الله الصحابة في القرآن الكريم، فقال سبحانه:
﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ
بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا

(١١٩) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، للحافظ ابن كثير، تأليف أحمد محمد
شاکر، ص ١٣٥، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت ط الثالثة ١٤٠٧هـ.

(١٢٠) السابق، ص ١٣٥: ١٣٦.

(١٢١) الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني
(المتوفى ٨٥٢هـ)، ١ / ١٦٢، تحقيق: عادل عبد الموجود، على معوض، دار الكتب العلمية -
بيروت، ط الأولى ١٤١٥هـ.

الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢٢﴾ .

وفي شأن أهل بيعة الرضوان خاصة - ومنهم أبو سعيد الخدريّ الذي يَلْمِزُه "بركات أحمد" - يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (١٢٣) .

وهل يرضى الله تعالى عن غير العدول الصالحين !!؟

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ الْمُزَنِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُ اللَّهُ فِي أَصْحَابِي، اللَّهُ اللَّهُ فِي أَصْحَابِي، لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِإِبْغِضِي أَبْغَضَهُمْ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ، وَمَنْ آذَى اللَّهَ فَيُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ» (١٢٤) .

وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله اختار أصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين» (١٢٥) .

فهل بعد هذا يأتي أفاك مُغْرِض، ليرفع بالزور والبهتان عقيرته،

(١٢٢) سورة التوبة، الآية ١٠٠ .

(١٢٣) سورة الفتح، الآية: ١٨ .

(١٢٤) أخرجه الترمذي في ك المناقب، ب فيمن سب أصحاب النبي ٥ / ٤٣٦، رقم ٣٨٨٨،

وأحمد في المسند ٦ / ٤٢، رقم ٢٠٠٢٦ .

(١٢٥) رواه البزار - كما في مجمع الزوائد للهيتمي ١٠ / ١٦-، وقال: ورجاله ثقات، وفي بعضهم خلاف .

مشككا في عدالة ونزاهة مَنْ قد زكاهم الله وعدّهم في نصوص قرآنية صريحة، وفي أحاديث نبوية صحيحة؟!

ويرحم الله الإمام أبا زُرعة الرازيّ، إذ قال: "إذا رأيتَ الرجلَ ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق؛ وذلك أنّ الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدّى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يمجّروا شهودنا ليُبتلوا الكتاب والسنة، والجرح أولى بهم، وهم زنادقة" (١٢٦).

رابعاً: التطاول على الصحابة بالسب والشتم

بل إن الكاتب لم يتورع عن سب الصحابة رضي الله عنهم وشتمهم، متجاوزاً بذلك كل حدود الأدب، سالكاً في هذا غير سبيل المؤمنين.

ففي أثناء حديثه عن العقاب الذي أنزله الله ببني قريظة جزاء وفاقا لغدرهم وخيانتهم، نرى "بركات أحمد" يفقد صوابه، ويطيّش عقله، أسفاً على ما جرى لأحابه من اليهود الغادرين، وبالمناسبة هو يجعل قتل بني قريظة "شهداء"، وما حلّ بهم "فظائع"، ويتحدث عنهم أيضاً

(١٢٦) تاريخ دمشق، علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى ٥٧١هـ)، ٣٨/٣٢: ٣٣، تحقيق عمرو غرامة العمروي، دار الفكر ١٤١٥هـ ١٩٩٥م، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، جمال الدين المزيّ (المتوفى ٧٤٢هـ)، ٩٦/١٩، تحقيق د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط الأولى ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

على أنهم "أبطال" (١٢٧)، وفي أثناء هذا لم يفته أن يتناول على الصحابة بالسب، فقال: (ويبدو أن المسلمين الذين شهدوا مصارعَ القوم كانوا مجردين من كل شعور) (١٢٨).

والمسلمون الذين شهدوا مصارعَ بني قريظة لم يكونوا إلا صحابة رسول الله ﷺ، رضي الله عنهم أجمعين.

ولا ندري أيَّ شعور يقصده الكاتب الأثيم "بركات أحمد" !!؟

ولكن؛ هل يستطيع أن يخبرنا عما إذا كان لدى جيوش الأحزاب المهاجمة في غزوة الخندق من شعور، حينما اجتمعوا بمظاهرة ومؤازرة بني قريظة، وصمموا على حصار المدينة، وعزموا عزمًا أكيداً على وأد المسلمين، وإفنائهم عن بكرة أبيهم، وإبادة خضرتهم دون شفقة أو رحمة، ودون وجه حق كذلك؟

وهل يستطيع أن يخبرنا أيضاً عما إذا كان لدى جيوش الأحزاب الباغية من شعور لو أنهم تمكنوا من المسلمين، وانقضوا عليهم كما تنقض الذئاب على فريستها؟؟

هل سيكونون وقتها مجردين من كل شعور أم ماذا !!؟

ولماذا انعقد لسانه وجفّ قلمه عن أن يتكلم في حق الأحزاب المعتدين المحاربين لله ورسوله بأية كلمة؛ بينما انطلق لسانه، وسال

(١٢٧) انظر: ص ١٤٨، ١٤٩ من كتاب محمد واليهود.

(١٢٨) السابق، ص ١٤٩.

قلمه بالنهش في أعراض المسلمين المعتدى عليهم، حين أمكنهم الله من الخونة ناقضي- العهود، المعادين لله ورسوله، فأوقعوا بهم ما يستحقونه من العقاب اللائق بهم، جزاء وفاقاً؟!!

وهل لو أن أحداً في أي مكان في العالم كان في مثل موقف المسلمين وقت غزوة الأحزاب، وكان تعامله مع يهود بني قريظة مثلما تعامل المسلمون .. أكان يلام في شيء؟!!

إن ما ارتكبه بنو قريظة في غزوة الأحزاب وعوقبوا بسببه إن هو إلا "خيانة عظمى"، ما كان لها أن تمر دون عقاب، بل عقاب رادع لأناس انطوت قلوبهم على الغدر، فهو لا يزال فيها ولا يمكن أن تبرأ منه إلا بالقطع، حتى يكونوا عبرة لذئاب البشر- وكهنة الإلحاد وأئمة الكفر في الجزيرة العربية، الذين كانوا يتربصون بالمسلمين الدوائر، ويتحينون أية فرصة لطبيّ صفحة الإسلام، واجتثاث المسلمين.

لقد كان المسلمون في حالة حرب، وردّ العدوان، وكان تصرّفهم مع بني قريظة تصرفاً طبيعياً مع أعداء محاربيين معتدين ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ (١٢٩).

أبعد هذا يتناول الكاتب على الصحابة وينعتهم بأنهم - يوم عقاب بني قريظة - كانوا مجردين من كل شعور؟! إنه - على ما يبدو - لا أحد أصلب منه وجهاً!!

(١٢٩) سورة التوبة: ١٠.

خامساً: الطعن في سلامة أحاديث الصحيحين من الكذب

ولقد خطا صنيعه المستشرقين وتلميذهم خطوة خطيرة، حيث أورد طعون المستشرقين في أصح دواوين السنة المطهرة، مع الإشادة بهذه الطعون والثناء عليها والاحتفاء بها، ثم تابعهم فيها وقال بها. ثم تجرأ وكذب بعض الأحاديث لمجرد أنها تخالف هواه، وهوى أساتذته، بدعوى أن العقل ياباها.

فقد ذكر الكاتب رأياً لأحد المستشرقين يتضمن طعناً في سلامة الصحيحين من المآخذ بأسلوب ناعم أملس، لا يثير أحداً، وقبل أن يذكر كلام المستشرق الخبيث قدّم له بالتأييد والإشادة به، وذلك على النحو التالي:

قال الكاتب: (ولغليوم في هذا الموضوع ملاحظات لا تخلو من وجهة، فهو يقول: إن رجلاً "مثل البخاري" أمضى ستة عشر عاماً في تجميع مادة مصنّفه، وكان يستعين بالصلاة قبل أن تخط يده حديثاً من الأحاديث، ورجع إلى أكثر من ألف شيخ كانوا يعيشون في أماكن بينها من المسافات ما بين بلخ ومرو ونيسابور ومدن ما بين النهرين المهمة والحجاز ومصر وسوريا، يستحق من أبناء دينه كل تقدير.. وكان البخاري عند جمهرة الناس أعظم بكثير من مسلم، وكان الناس ينحون إلى تفضيل عمل الأول على عمل الثاني، ويتميز صحيح البخاري بشموله مجال الفقه بأكمله، ويتشدد صاحبه في الشروط التي

كان يشترطها في الرواة، أما صحيح مسلم فيتميز بدقة معالجته لمادة الحديث.

وللمجموعتين معاً حجة لا مطعن عليها تقريباً، وإن كانتا قابلتين للنقد في بعض التفاصيل (١٣٠).

فتأمل في صدر كلامه الذي في ظاهره مدح للبخاري ومسلم، ثم تأمل في خاتمة الكلام؛ حيث لا يجزم بامتناع الطعن عليهما - "وللمجموعتين معاً حجة لا مطعن عليها تقريباً" - وينفي سلامتها من المآخذ، فيقرر أن فيها ما هو أهل للطعن - "وإن كانتا قابلتين للنقد في بعض التفاصيل" -.

وانظر كيف يؤيد بركات أحمد هذا الطعن، ويعتبره لا يخلو من وجهة، ويُتبع كلام المستشرق السابق بقوله:
(وتفضيلنا للصحيح لا يعدو دراسة البيانات التاريخية المتعلقة باليهود في عهد الرسول ﷺ، وهذا لا ينطبق بالضرورة على مناقشة موضوعات أخرى، ولا بصورة خاصة على أصل التشيع والخلافات التي نشأت عن دعاوى الأمويين والعباسيين، وهو لا ينطبق بالتأكيد على مسائل الفقه المتعلقة بغير المسلمين) (١٣١).

أي إن تفضيله للصحيحين ليس تفضيلاً مطلقاً؛ وإنما يتعلق

(١٣٠) محمد واليهود، ص ٤٣، نقلاً عن: ألفريد غليوم، السنة في الإسلام ص ٣٠ - ٣٢.

(١٣١) السابق، ص ٤٤.

ببعض جوانب دراسته فقط، أما في باقي ما تناوله من موضوعات أخرى، وخاصة فيما يتعلق بمعاملة غير المسلمين، فهما لا يستحقان ذلك التفضيل، وليس له بأهل - في نظره -.

وبعد هذا الطعن الخفي وغير المباشر في صحة أحاديث الصحيحين، والذي لا يزال كلاماً نظرياً، يتقدم الكاتب خطوة، بل قفزة أخرى ليحوّل هذا التشكيك والطعن من الكلام النظري إلى التصرف العملي، فيردّ بعض الأحاديث التي اتفق عليها البخاريّ ومسلم، ويرفضها ويكذبها.

وسوف نقف - بعد قليل - وقفة في وجه تكذيبه لما رواه البخاريّ ومسلم، ونبذ ظلماته وشبهاته.

إنّ تشكيك الكاتب وأساتذته في سلامة أحاديث الصحيحين، والإيحاء بأنّ في أحاديثها ما يستحقّ الطعن، بل وقيامه بالطعن في بعض أحاديثها وتكذيبها صراحة، ما هو إلا جرأة لا قيمة لها في ميزان العلم، وآراء باطلة ومتهافة.

فمن الحقائق الراسخة التي لا تخفى على من شمّ رائحة العلم أنّ العلماء متفقون على أنّ أصح الكتب بعد كتاب الله عز وجل صحيحا البخاريّ ومسلم^(١٣٢).

(١٣٢) انظر: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، للحافظ السيوطي ١/ ٦٨، دار الكتاب العربي - بيروت ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م، أصول الحديث، د. محمد عجاج الخطيب =

قال البخاري رحمه الله: (ما أدخلت في هذا الكتاب إلا ما صح، وتركت من الصحاح كي لا يطول الكتاب) (١٣٣).

وقال مسلم رحمه الله: (صنفت هذا "المسند الصحيح" من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة) (١٣٤).

وقال: (ما وضعتُ في هذا "المسند" شيئاً إلا بحجة، ولا أسقطتُ شيئاً منه إلا بحجة) (١٣٥).

ولقد اتَّبَعَ البخاريّ ومسلم منهجاً دقيقاً في تصنيف كتابيهما، هو أرقى وأوثق ما عرفت الدنيا قديماً وحديثاً، من مناهج التحري والتثبت، والاستيثاق من سلامة وصحة الروايات التي جمعها، فلم يرويا إلا عمَّن اشتهروا بالعدالة والضبط والإتقان، وبلغوا في هذا حداً من الكمال، قلَّ أن يُداني أو يُدرِّك.

"ولم يكتفِ الإمام البخاريّ بأن يعاصر الرواي من يروي عنه؛ بل أوجب ثبوت لقاءه له، ولو مرة واحدة، ومن هنا قال العلماء: للبخاريّ شرطان: شرط المعاصرة، وشرط اللقاء.

في حين أن الإمام مسلماً قد اكتفى بالمعاصرة، وهذا لا يُوهن شرطاً

= ص ٣١٧، دار الفكر - بيروت ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.

(١٣٣) سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (المتوفى ٧٤٨ هـ) ١٢ / ٤٠٢،

تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، ط الثالثة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

(١٣٤) السابق ١٢ / ٥٦٥.

(١٣٥) السابق ١٢ / ٥٨٠.

مسلم؛ لأن الثقة لا يروي عن شيخٍ إلا ما سمعه منه، كما لا يروي عن من لم يسمعه، ولكن هذا زيادة تشدد من الإمام البخاريّ، فهو لا يرضى خبراً إلا إذا صرّح الراوي بسماعه ممن فوقه، أو ثبت لقاؤه لمن يروي عنه إذا قال (عن فلان)، لأن (عن) لا تفيد السماع عنده" (١٣٦).

والحديث عن مكانة الصحيحين، وعن المنهج الذي سلكه مصنّفاهما يحتاج إلى بسط، ليس هنا مجاله، وهو لا يخفى على باحث منصف، ولا على طالب علم، وحسبنا هذا التنويه في هذا المقام.

ولذلك فإنّ الأمة الإسلامية - خلفاً عن سلف، وصاغراً عن كابر - قد تلقت أحاديثها بالرضا والقبول.

فهل كان أهل العلم منذ القرن الثالث الهجريّ حتى يوم الناس هذا، على خطأ، وفي وهم حين ظلوا يعتقدون - على مدى هذا التاريخ - أن كل ما في الصحيحين من أحاديث متصلة مرفوعة إنما هي أحاديث صحيحة قطعية الثبوت والنسبة إلى رسول الله ﷺ، إلى أن جاء هؤلاء المستشر - قون الأعاجم وأذيالهم ليكتشفوا أن أهل العلم الأفاذ المخلصين كانوا غير صائبين فيما اعتقدوه بشأن الصحيحين؟!!

سادساً: رد الأحاديث الصحيحة بدعوى مخالفتها للعقل:

ولنأت إلى ما صرح الكاتب برّدّه وتكذيبه من أحاديث البخاري ومسلم، وخاصة الحديث المتعلق بنزول بني قريظة على حكم سعد بن

(١٣٦) أصول الحديث، ص ٣١٣، وفيه مراجعه.

معاذ، والذي سبق إيراده وتخرجه^(١٣٧)، فنقف وقفة متأنية لنفند أباطيله، ونرد تكذيبه للحديث الصحيح.

لقد ردّ الكاتب حديث البخاريّ ومسلم بشأن نزول بني قريظة على حكم سعد بن معاذ، وطعن في صحته، وكذلك فعل مع أحاديث أخرى صحيحة، وهو لم يطعن فيها على أساس علمي نزيه، أو بحجة ودليل، وإنما طعن فيها وردّها مجازاة منه لأساتذته المستشرقين، وهوى في نفسه ونفوسهم، مغلّفين هذا بدعوى أن العقل يأبى ما تتضمنه هذه الأحاديث.

قال "بركات أحمد": (والحديث الذي رواه أبو سعيد الخدري، والذي أورده البخاري ومسلم حديث من الصعب جداً قبوله، وهو يعني أن بني قريظة استسلموا بشرط أن يعيّن الرجل الذي شاتمهم مؤخرًا، وكان يدعو الله للانتقام منهم كحكّم، أي أنهم بعبارة أخرى كانوا يدعونه للحكم عليهم بالإعدام، ومن الملاحظ أن أول من روى هذا الحديث هو أبو سعيد وأبو أمامة، وكانا من الأنصار، وأكثر ما يهمها هو الإشادة بمنزلة سعد.

وهذا الحديث شاذ وإجمالي)^(١٣٨).

وقال أيضاً: (وكان "كايتاني" محقّقاً حين تشكك في كل الرواية

(١٣٧) انظر ص ٧٨.

(١٣٨) محمد واليهود، ص ١٤٢.

المتعلقة باختيار بني قريظة لسعد كحكّم، والشواهد في هذه القصة
متناقضة بعضها ينفي البعض الآخر (١٣٩).

وقال: يقول "واط" بحق: (إنّ القصة كما بلغتنا لا بد أن يكون
حدث فيها تلاعب، واختيار بني قريظة لسعد كحكّم شيء يأباه
العقل) (١٤٠).

فهو يرد حديث البخاري ومسلم لأموّر يراها، منها:

- ١- أن أول من رواه أبو سعيد وأبو أمامة، وهما من الأنصار وأكثر ما يههما هو الإشادة بمنزلة سعد.
 - ٢- أنه حديث شاذ وإجماليّ.
 - ٣- أن العقل يأباه.
- فهل تراه أتى بشيء ذي بال في تأييد اعتراضه على الحديث؟
كلا .. وهاك البيان:

١- أمّا عن الطعن في الحديث الشريف لأن الذي رواه أبو سعيد
الخدريّ وأبو أمامة الأنصاريان، ومن الجائر - في ظنه السيئ - أن يكونا
قد لفقوا هذه الرواية، رغبة في إعلاء منزلة سعد بن معاذ الأنصاري؛
فهذا افتراض لم ولن يقوم عليه دليل؛ لأن عدالة الصحابة ونزاهتهم

(١٣٩) محمد واليهود، ص ١٤٣.

(١٤٠) السابق، نفس الموضوع.

فوق الشبهات بإجماع الأمة، وقد بينا ذلك سابقاً^(١٤١).
ثم إنه لا يوجد دليل على أن أبا سعيد وأبا أمامة هما أول من روى
هذا الحديث - كما يزعم الكاتب -، فمن أين جاء بقوله: (ومن الملاحظ
أن أول من روى هذا الحديث هو أبو أمامة وأبو سعيد)؟؟
إن هذا زعم لا أساس له من الصحة، ولا وجود له إلا في خيالاته
هو ومن على شاكلته؛ حيث إن واقعة الحكم في قضية بني قريظة كانت
علانية، وحضرها المسلمون مهاجرين وأنصاراً مثلما حضرها أبو
سعيد، ورواها كثير من الصحابة سوى أبي سعيد الخدري.
فقد رواها من الصحابة: عائشة، وجابر بن عبد الله، وعطية
القرظي^(١٤٢).

فهل هؤلاء الصحابة كان أكثر ما يهمهم هو الإشادة بمنزلة سعد

(١٤١) يُنظر ص ١٠٥ وما بعدها.

(١٤٢) رواية عائشة: أخرجها البخاري في ك المغازي، ب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب
وتخرجه إلى بني قريظة، فتح الباري ٧/ ٤٥٧، رقم ٤١٢٢، ومسلم في ك الجهاد والسير، ب
جواز قتال من نقض العهد، شرح النووي ١٢/ ٩٤، رقم ١٧٦٩، وأحمد في المسند ٧/ ٨٤،
٨٥، رقم ٢٣٧٧٤، والحاكم ٣/ ٣٤ - ٣٥.

ورواية جابر بن عبد الله: أخرجها الترمذي في ك السير، ب ما جاء في النزول على الحكم
٣/ ٢١٣ - ٢١٤، رقم ١٥٨٨، والدارمي في ك السير، ب نزول أهل قريظة على حكم سعد
٢/ ٣١١، رقم ٢٥٠٩.

ورواية عطية القرظي: أخرجها النسائي في ك الطلاق، ب متى يقع طلاق الصبي ٦/ ١٥٥،
وأحمد في المسند ٦/ ٢٤٥، رقم ٢٢١٥٣.

بن معاذ الأنصاريّ - بحسب زعمه الكاذب - !؟

فهذه حجته الأولى - كما يتبين - داحضة.

٢- وأمّا ادعاؤه بأن الحديث شاذ، في قوله: (وهذا الحديث حديث شاذ

وإجمالي)؛ فهو من خياله.

وما أكثر ما يجود به خياله من أوهام وأكاذيب !!

ولننظر ما هو الحديث الشاذ في اصطلاح أهل العلم والمحدثين؟

(قال الشافعيّ: وهو أن يروي الثقة حديثاً يخالف ما روى الناس،

وليس من ذلك ما لم يرو غيره.

وقد حكاه الحافظ أبو يعلى الخليلي القزويني عن جماعة من الحجازيين

أيضاً.

قال [أي الحافظ الخليلي]: والذي عليه حفاظ الحديث: أن الشاذ ما

ليس له إلا إسناد واحد، يشذ [بالضمّ والكسر] - به ثقة أو غير ثقة،

فيُتوقف فيما شذ به الثقة ولا يُحتج به، ويُرد ما شذ به غير الثقة.

وقال الحاكم النيسابوريّ: "هو الذي ينفرد به الثقة، وليس له

متابع، والذي قاله الشافعيّ أولاً هو الصواب: أنه إذا روى الثقة شيئاً

قد خالفه فيه الناس فهو الشاذ، يعني المردود، وليس من ذلك أن

يروي الثقة ما لم يرو غيره، بل هو مقبول إذا كان عدلاً ضابطاً

حافظاً" (١٤٣).

(١٤٣) الباعث الحثيث، ص ٤٧ - ٤٨، تدريب الراوي ١/١٩٣ وما بعدها.

فهل رواية أيّ من البخاري ومسلم من قبيل ما رواه الثقة مخالفاً فيه
الناس؟

كلا.. بل إن هناك إجماعاً من الرواة على اختلاف طبقاتهم ورواياتهم
على أن بني قريظة نزلوا على حكم سعد بن معاذ، والشواهد كلها على
هذا، فالمخالفة غير واقعة بالمرّة.

ثم إن الحديث لم ينفرد به ثقة واحد؛ بل تابعه غيره من الثقات.
فقد رواه البخاري عن شيخه محمد بن بشار، ورواه محمد بن بشار
عن شيخه غندر، ورواه غندر عن شيخه شعبة، ورواه شعبة عن
شيخه سعد بن إبراهيم عن شيخه أبي أمامة سهل، وسمعه أبو أمامة
من أبي سعيد الخدري.

ثم رواه مسلم عن شيخه أبي بكر بن أبي شيبة، وأبو بكر رواه عن
غندر عن شعبة عن سعد عن أبي أمامة عن أبي سعيد.
ورواه مسلم أيضاً عن شيخه محمد بن المثني وابن بشار، وكلاهما
روى عن محمد بن جعفر عن شعبة به (أي بنفس الإسناد السابق).
ثم رواه مسلم أيضاً عن شيخه زهير بن حرب عن شيخه عبد
الرحمن بن مهدي، عن شعبة به.
فالحديث له متابعات وشواهد^(١٤٤)، كلها تؤكد وتُجمع على شيء

(١٤٤) المتابعة: هي مشاركة راوٍ راوياً في رواية حديث عن شيخه أو عمن فوق من
المشايع. والشاهد: هو الحديث الذي يُروى عن صحابي، مشابهاً لما رُوي عن صحابي آخر =

واحد، هو أن بني قريظة نزلوا على حكم سعد بن معاذ.
فكيف يتجرأ مثل "بركات أحمد" ويحكم بمتهى السهولة على
الحديث بأنه شاذ؟!!

وإذا كان هذا الحديث الذي معنا شاذًا، فما هو إذن الذي لا يكون
شاذًا؟

يظهر أنه مجهل معنى الشاذ، فهو يهرف بما لا يعرف، شأنه شأن أساتذته
من المستشرقين والمنصرين.

ثم يعترض "بركات أحمد" على الحديث بأنه (إجمالي)!!

فما أدري ما وجه القدح في الحديث بذريعة أنه (إجمالي)؟!

إنه لا يوجد في كتب علوم الحديث، قديمها وحديثها، وجيزها
ومتوسّطها ومبسوطها، ما يصم الحديث ويقدم فيه بعلّة أنه (إجمالي)!
فهل نحن أمام فتح جديد في علم مصطلح الحديث على يد صنّعة
المستشرقين والمبشرين "بركات أحمد"، وإضافة منه مفادها أن من
العلل القادحة في الحديث - والتي بها يُردّ، حتى ولو كان في
الصحيحين - أن يكون الحديث (إجماليًا)!!؟

يا لخسارة علمائنا السابقين - رحمهم الله تعالى - وسوء حظهم، على
فواتهم معرفة هذه العلة الحديثية القادحة، التي تم اكتشافها أو تحضيرها

= في اللفظ أو في المعنى. أصول الحديث، د. محمد عجاج الخطيب، ص ٣٦٦.

في معامل المستشرقين وعملائهم في "نيويورك"، حيث يقيم صنّعة المستشرقين المدعو "بركات أحمد".

وإذا كان الكاتب يقصد بكون الحديث "إجمالياً" أنه موجز؛ فما العيب في هذا؟!؟

وهل يُسوّغ الاعتراض على روايةٍ صحيحةٍ أن تكون "مجملة" أو موجزة؟

ثم إذا كان هذا الحديث جاء موجزاً فهناك رواياتٌ صحيحةٌ عديدة، عن صحابةٍ متعددين تفصّل إجماله، وتبسّط إيجازه.

ألم أقل إنّ الكاتب يطعن في صحيح السنة بغير دليل، وأنّ الأمر لا يعدو أن يكون اتباعاً للهوى ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(١٤٥).

٣- وأمّا ردّه الحديث، وتكذيبه له بدعوى أن العقل يأباه؛ فهو ادعاء بين الفساد، ظاهر البطلان.

ما الذي يأباه العقل في نزول بني قريظة على حكم سعد بن معاذ؟ سيقول لنا الكاتب: لأن سعداً أُصيب يوم معركة الخندق، وأنه دعا الله للانتقام من بني قريظة، وأنّ هذا معناه أن بني قريظة دعت سعداً لينتقم منهم، فيحكم عليهم بأشد العقاب!

(١٤٥) سورة القصص: ٥٠.

وهذا في نظر أساتذته ومعلميه وفي نظره أمرٌ لا يقبله العقل .
ولكن الأمر أهون مما يهول الكاتبُ وأساتذته .

ذلك أن سعدَ بنَ معاذٍ كان من الأوس ، الذين كانوا حلفاء لبني قريظة ، وقد قاموا يشفعون لهم عند رسول الله ﷺ ، وطلبوا منه أن يُحسن فيهم ، كما فعل مع بني قينقاع حلفاء الخزرج ، فوكل النبي ﷺ أمرَ الحكم في بني قريظة إلى واحد من الأوس هو سعد بن معاذ .

فحصل لدى الأوس وحلفائهم بني قريظة أملٌ ورجاءٌ في أن سعداً سيخفف في حكمه عليهم ، ولذا قبلوا تحكيمه ، طمعاً منهم في أنه - أمام إلحاحهم عليه ورجائهم له - سيستجيب لرجائهم ، ثم فوجئوا بعد ذلك بموقفه ، وحكمه عليهم بقتل الرجال ، وسبي الذرية ، وتقسيم الأموال .

ثم لنفرض أن أحداً من الأوس غير سعد ولي أمر الحكم في بني قريظة ، ماذا عسى أن يكون فاعلاً ؟
إن العقل يرى - بداهة - أنه لن يفعل أقل مما فعله سعد بن معاذ ، ولا غرابة في هذا .

فإن بني قريظة قد ظاهروا الأحزاب ، وكونوا معهم جبهة ظالمة عاتية جبارة ضد المسلمين ، وخططوا معهم لإفناء المسلمين في المدينة عن بكرة أبيهم ، ناقضين العهد الذي كان بينهم وبين المسلمين .

وعاش المسلمون - بسبب ذلك - محنة قاسية رهيبة ، نجد من وصفها

في القرآن الكريم: ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا . هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ (١٤٦).

وما من مسلم سواء أكان من المهاجرين أم من الأنصار إلا وعاش تلك المحنة المروعة المزلزلة، وشهد خيانة بني قريظة، وتظاهرها على حرب الله ورسوله والمؤمنين، فالأمر سواء بالنسبة لسعد بن معاذ وغيره.

والكاتب يذهب أيضاً إلى أن العقل لا يجيز أن تنزل قريظة على حكم سعد؛ لأن (ولاءه للرسول ﷺ ولقضية الإسلام كان لا يرقى إليه شك) (١٤٧).

وهذا من أعجب العجب، فمن من المسلمين ليس كذلك؟! إن ولاء المسلمين - جميعهم - لدينهم ونبیهم، مُسَلِّمة لا شك فيها، منذ فجر الدعوة الإسلامية، ولا يشذ عن هذا إلا مشكوك في دينه، ومتهم في عقيدته مثل المنافقين، فسعد بن معاذ وغيره من المهاجرين والأنصار ولاؤهم لله وحده، وجميع الصحابة في هذا سواء.

ثم إن الرسول ﷺ قد أخبر بأن ما حكم به سعد هو حكم الله تعالى من فوق سبع سماوات، وعليه فإن سعداً لم يكن إلا سبباً أو أداة

(١٤٦) سورة الأحزاب: ١٠ - ١١.

(١٤٧) محمد واليهود، ص ١٤٤.

لإظهار حكم قدره الله على أولئك الخونة المحاربين لله ورسوله، جزاءً وفاقاً، ولو لم يكن لجاء غيره، ولأجرى الله على يديه ما حكم به سبحانه وقدره.

ولماذا يجزم الكاتب بأن العقل يأبى أن يختار بنو قريظة سعداً حَكَمًا؟

هل هناك ما يمنع من أن يكونوا قد تصوروا أن سعداً لن يُسقط من اعتباره ما بينهم وبين الأوس من حلف وموالاتة، وأن هذا سيكون له أثر إيجابي في أمر الحكم عليهم؟
والواقع أنه لا يوجد ما يمنع مما سبق.

وقد أفاد الإمام ابن حجر أنهم قبلوا النزول على حكم سعد بعد أن استشاروا أبا لبابة بن عبد المنذر، وسألوه: هل ينزلون على حكم محمد أم لا؟ فأشار لهم بيده إلى حلقه، يعني أنه الذبح، فلما أفادهم بأن حكم رسول الله ﷺ سيكون فيه قتلهم؛ رأوا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ (١٤٨).

سابعاً: جزاء بني قريظة ومبدأ القصاص العادل

ويواصل "بركات أحمد" محاولاته المستميتة لتكذيب الحديث بدعوى مخالفته للعقل؛ فيذهب إلى أن الحكم على بني قريظة بقتل الرجال وسبي النساء - على نحو ما جاء في حديث البخاري ومسلم -

(١٤٨) فتح الباري ٧/٤٧٧ - ٤٧٨ بتصرف.

يتعارض - في زعمه - مع مبدأ القصاص العادل، لأنه ليس من العدل أن يكون الحكم على نحو ما جاء في الرواية.
وكيف ذلك؟

يقول المخترع "بركات أحمد": (إن القيادة المسؤولة لقبيلة تتكون من (٦٠٠) إلى (٩٠٠) رجل، لاسيما حين يكون بعض أعضائها قد قتلوا في الميدان، وتكون فئة منهم وقعت في الأسر، لا يمكن أن تزيد في الأحوال العادية عن ستة عشر أو سبعة عشر - ، على نحو ما ذكرنا في العرض السابق، وكان الذي اتخذ قرار مؤازرة الأحزاب وبالتأكيد هم زعماء بني قريظة وكبارهم، وما كان يمكن أن تؤخذ القبيلة كلها بجريرة زعمائها، وكان الرسول ﷺ نفسه ملتزماً بمبدأ القصاص العادل الوارد في القرآن الكريم والذي يقضي بأن ﴿التَّفْسِ بِالتَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾، وكان هذا المبدأ كما أوضحنا من قبل محل اتفاق بين المسلمين واليهود، وقد ذُكر في الصحيفة عبارة "لا يكسب كاسبٌ إلا على نفسه" وهي عبارة صريحة^(١٤٩).

أرأيت هذا المنطق العجيب، بل الشاذ!؟

إنه يريد أن يقول: إن العدل كان يقتضي - أن يُكتفى بعقوبة زعماء بني قريظة، الذين اتخذوا قرار مؤازرة الأحزاب في غزوة الخندق، وهؤلاء الزعماء - في رأيه - لا يمكن أن يزيد عددهم عن ستة عشر - أو

(١٤٩) محمد واليهود، ص ١٥٧.

سبعة عشر فرداً، لذا ما كان يجب أن تتجاوز العقوبة في بني قريظة دائرة هؤلاء القادة؛ لأنهم وحدهم فقط الذين يتحملون المسؤولية، وأمّا مَنْ نفذوا، وشكّلوا رأس حربة ضد الإسلام والمسلمين في المدينة، وكانت كل قواهم النفسية والمادية معبأة لإفناء المسلمين وإبادتهم عن بكرة أبيهم، هؤلاء في نظر الكاتب ما كان يجب أن يمسسهم ضررٌ.

وبما أن الرواية ذكرت أن العقاب تجاوز دائرة الزعماء، وشمل الجميع قادة وجنوداً، فيجب ردها، لأنها تضمنت ما يخالف العقل. ولو جئنا - نحن المسلمين - وأثبتنا أن الرواية صحيحة - وهي كذلك -، وأن الحكم قد وقع على نحو ما ذكرت الرواية، فلسان حال بركات أحمد ومفهوم كلامه يقول لنا: إذن فنيكم لم يلتزم بمبدأ القصاص العادل - حاشاه ﷺ ..

أرأيت إلى المكر الخبيث الذي يكتنف ما سطره هذا العميل، والسم الذي يقطر من كلامه؟!!

مَنْ قال إن توسيع دائرة العقاب لتطول مَنْ سوى القادة شيء يخالف العقل، ويجافي العدل؟

وأيّ عقل، وأيّ عدل يقصدهما ويتحاكم إليهما الكاتب؟ أغلب الظن أنه عقل المستشرقين وعملائهم، ذلك العقل الذي انطفأت فيه أنوار البصيرة، وأظلم بما ملأه من شبهات، ووقع فريسة

التحزب غير العلمي، وغرق في مستنقعات الحقد والتعصب والهوى.
ذلك العقل الذي امتلاً عنصرية، فنظر إلى غير الأوربيين على أنهم
ذوو عقول منحطة، أما الأوربيون فذوو عقول راقية، فهناك - في زعم
نفرٍ من المستشرقين - العقل السامي (المنحط)، والعقل الآري
(الراقي) ونسبوا العربَ إلى الأول، والأوربيين إلى الثاني^(١٥٠).
هذا هو العقل الذي يتحاكم إليه الكاتب.

وأما العدل الذي يزعم أن عقاب بني قريظة يتعارض معه، فلا أظنه
إلا العدلَ الأوربيَّ الصهيونيَّ، الذي عهدناه دائماً يكيّل بمكيالين، من
منطلق ما حكاه الله تعالى عنهم في قوله سبحانه: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا

(١٥٠) هناك ما يعرف بنظرية "خصائص العقلية السامية" التي شاعت في القرن
التاسع عشر والقرن العشرين، ووجدوا لها رواجاً كبيراً، لظهور بعض الآراء
والمذاهب التي مجّدت العقلية الأوروبية، وسبّحت بحمدها، وقالت بتفوق العقل
الغربي الخلاق المبدع على العقل الشرقي الساذج البسيط! ورمز العقل الشرقي هو
العقل السامي، فهو لذلك عقل ساذج بسيط. ومن أشهر مروّجي هذه النظرية
الفيلسوف الفرنسي "رينان" 1823- 1892 "ernest renan"، و "كراف كوبينو
1816 - 1882 "graf arthur gobineau"، وهو من القائلين بتمايز
العنصريّات البشرية وتفوق بعضها على بعض، وبسيادة العقلية الآرية على سائر
العقليّات، و "هوستن ستيورات شامبرلن" housten stewart chamberlain
1855 - 1927 "صاحب كتاب "أسس القرن التاسع عشر".

ومن هذه الموارد أخذت "النازية" نظريتها في تفوق العرق الآري على سائر
أعراق البشر، وتفوق الجنس "الجرماني" خاصة من العرق الآري على سائر
الأجناس والأعراق البشرية. (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي
٢٥٧/١، دار الساقى، ط الرابعة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).

لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ ﴿١٥١﴾.

وهلا ذكر لنا الكاتب المتعالم سابقة تاريخية تحقق فيها مبدأ القصاص العادل الذي يحاكم الرواية إليه ؟

إن هذا ما سمعنا به في الأولين !

هل إذا اجتاح جيش جرار مدينةً، وعزم على إبادتها والنكال بأهلها، فأمكن الله أهل المدينة من عدوهم الذي كان مصمماً على إيقاع الخراب والشر بهم، ووقع العدو المعتدي في قبضتهم، فقاموا بقتل الأعداء المغيرين، قيادة وجنوداً، مخططين ومنفذين، أفترى أنهم بهذا يكونون قد خالفوا مبدأ القصاص العادل، وأنهم كان يجب أن يُمسكوا بقيادة الجيش المغير ويعاقبوها فقط، وأما من سوى القيادة فيُخلُّوا سبيلهم دون أذى ؟!

إن هذا والله - إذن - هو الخطل والهذيان !!

وهل إذا أغار الصهاينة اليوم - تحقيقاً لأطماعهم التوسعية - على بلد من بلاد المسلمين واستباحوا حرمتها، فأمكن الله المسلمين منهم، أيكون على المسلمين في هذه الحال أن يبحثوا عن القيادة ويعاقبوها فقط، ثم يُخلُّوا سبيل الباقيين ؟!!

ثم لماذا كان يجب أن يُكتفى بمعاينة زعماء بني قريظة الذين هم ستة عشر أو سبعة عشر فقط، وترك الباقيين - بحسب زعم الكاتب - ؟

(١٥١) سورة آل عمران: ٧٥.

هل كان باقي القبيلة مجبرين على حرب المسلمين؟
 إن هذا لم يثبت، بل إن الواقع أنهم جميعاً كانوا قلباً واحداً، ويداً
 واحدة على حرب الله ورسوله، التابع والمتبوع في ذلك سواء.
 ثم أليس الله قد أهلك فرعونَ وجنوده، مع أن فرعون كان هو
 القائد والمتأله، وهو الذي قاد حملة اضطهاد موسى وتصفيته هو ومن
 آمن معه بالله رب العالمين، ومع هذا أغرقه الله وأغرق جنوده معه.
 إن جنود "فرعون" - في ميزان العدل الرباني - لم يكونوا سوى
 مجرمين ظالمين مثل سيدهم، فحكّم عليهم رب العالمين بأنهم شركاء
 للطاغية "فرعون" في الإجرام والعصيان.

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾^(١٥٢).
 وأذاقهم الله من العقاب الرباني مثل الذي حل بالطاغية الذي
 كانوا يأترون بأمره، فيقتلون ويبيغون في الأرض، ولم يشفع لهم أنهم
 فقط ينفذون الأوامر.

قال تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ
 عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾^(١٥٣).

﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * فَتَوَلَّى
 بُرْكَانِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ * فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ

(١٥٢) سورة القصص: ٨.

(١٥٣) سورة القصص: ٤٠.

وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٥٤﴾.

فهل كان حكم الله تعالى على فرعون وجنوده معه بالغرق متنافياً مع مبدأ القصاص العادل، في رأي المستشرقين وعملائهم؟
حاشا لله ورسوله أن يظلم (١٥٥).

وهكذا نرى أن الحكم بقتل جميع المقاتلة من بني قريظة لم يخالف العقل، ولم يجافِ العدل قيد أنملة؛ بل كان الجزاء الوفاق لمن حارب الله ورسوله، وظاهر أعداء الله إسراً وإعلاناً، وكان ركناً فاعلاً في البغي والعدوان.

وها قد تبين أن ادعاء معارضة الرواية المتعلقة بالتحكيم للعقل، ادعاءً لا يعدو أن يكون وجهة نظر مريبة، يحاول صاحبها أن يلمس أي شيء ليرد به حديثاً صحيحاً.

(١٥٤) سورة الذاريات: ٣٨ - ٤٠.

(١٥٥) بل إنَّ شَعْبَ "فرعون" ومؤيديه الذين صَفَّقُوا لباطله وبعَّيه، ورقصوا على آثات المظلومين، وغنَّوا على آهات المجروحين؛ لم يكن لهم من عُذْرٍ على تأييدهم للطاغية وهو يقتل ويتكبر ويبغي الفساد في الأرض، فأصبحوا شركاء له في المصير مثلما باتوا شركاء في الجرم.
قال تعالى: ﴿فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ * فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ * فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾ (سورة الزخرف: ٥٤ - ٥٦)، وقال سبحانه: ﴿كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلَّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ (سورة الأنفال: ٥٤)، وقال عز وجل: ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (سورة غافر: ٤٥ - ٤٦).

وهل تُجمع كلُّ روايات الحديث بطرقها المختلفة، وأسانيدها المتنوعة القوية، على أمر يتعارض مع العقل، ويظل ملايين المسلمين يقرأونها قروناً عديدة، ولا يلتفتون إليها، إلى أن يأتي كاتب بحث "محمد واليهود" بمفرده وعبقريته، ودون مساعدة من أحد - زعموا - ليكشف هذا المحال عقلاً؟!!

تداول وبذاءة على علماء المسلمين

ونحن نتوقع من "بركات أحمد" أن يتجرأ ويقول: إن مخالفة هذا الأمر للعقل قد خفي على الرواة المسلمين طيلة تلك القرون؛ لأنهم على حظ قليل من الفهم، والتحليل العقلاني للروايات والأحداث. وما له لا يقول ذلك، وهو المغرور، وقد نسي أنه مستأجرٌ لحساب أعداء الإسلام، كي ينال منه، وتداول على علماء المسلمين ومؤرخيهم، وذلك في سياق اعتراضه على الرواية التي تذكر ما دار بين بني قريظة وكعب بن أسد اليهودي، أثناء حصار النبي ﷺ لهم، إذ عقب على هذه الرواية وما تضمنته من حوار قائلاً:

(وهذه الإجابة إن كشفت عن شيء فعن سطحية الطريقة التي يعالج بها علماء المسلمين مسائل اليهودية عادة، مما أثار شكوى "مارجليوث" الذي يقول: "إن جامعي الحديث ومفسري القرآن يُظهرون جهلاً ذريعاً فيما يتعلق بالدور الذي لعبه اليهود" (١٥٦).

(١٥٦) محمد واليهود، ص ١٣٨.

فانظر إلى هذه البذاءة والتطاول على علماء المسلمين من المستشرق الخبيث، وتلميذه البئس، حيث يتهمانهم بالسطحية والجهل! إن واجب العلم يقتضينا أن نشير - في وجه ذلك الفحش - إلى أن التاريخ يشهد بأن علماء المسلمين - على اختلاف تخصصاتهم - ما كانوا إلا نوابغ وقمماً في العلم، وأفذاذاً في الفهم، وإن ما أنتجته قرائحهم من علوم، وما اتسموا به من منهجية علمية في بحوثهم، لتدُل بوضوح على سمو تفكيرهم وعميق أفهامهم.

أليس علمٌ "مصطلح الحديث" الذي تفرّدوا به بين علماء الدنيا، والذي طبقوا قواعده في نقد الأخبار ورواتها مما يشهد بعبقريتهم؟ وكذا علم "أصول الفقه" الذي طبقوا قواعده في مجال استنباط الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية، أيشهد هذا العلم بكفاءتهم العقلية، أم بسطحية عقولهم؟! ليأت لنا اليهودي "مرجليوث" وعميله "بركات أحمد"، بأمة من الأمم في غابر الزمان أو حاضره، توصل مفكروها وعلمائها إلى مثل هذين العلمين، وهيئات هيئات.

ومع هذه النجاسة والألمعية التي يتمتع بها العلماء المسلمون، يتهمهم الأفاك "مرجليوث" بالجهل، وعميله المأجور بالسطحية، ويردّ ما أجمع المسلمون على صحته وقطعية ثبوتته ودلالته، اغتراراً منه بعقله، واتهاماً لعقولهم!!

دعوة مغرضة باطلة

إن تكذيب السنة الصحيحة، أو التشكيك في صحتها بزعم مناقضتها للعقل، ليس إلا حيلة خبيثة ماكرة وذريعة فاسدة، اخترعها أعداء الإسلام، وتابعهم فيها عملاؤهم مثل "محمود أبي رية"، و "بركات أحمد"، وأضراهما لينفذوا من خلال هذه المزاعم المغرضة إلى الطعن في السنة كلها، ومن ثم يهدمون شرائع الإسلام.

إنهم يستهدفون حديثاً يتصل بالسيرة، اتفق عليه الشيخان، وكتبُ السنة والسير، ويصمونهُ بالكذب، ثم بعده يعمدون لتكذيب حديث آخر يتصل بالأحكام والتشريعات، وبعده تُوجَّه المطاعن إلى حديث يختص بالعقائد... وهكذا، ثم في نهاية المطاف تُوجَّه حملات للطعن في آيات من القرآن الكريم، وكلُّ هذا بدعوى تعارضها مع العقل!

وهكذا نرى أن رفضه السنة الصحيحة بحجة أنها غير مقبولة عقلاً؛ ما هو إلا ذريعة لهدم أصول الدين وثوابته.

وقد ردَّ الدكتور "مصطفى السباعي" - يرحمه الله - على المستشرقين وعملائهم، وأثبت أن الدعوة إلى عرض السنة الصحيحة على العقل دعوة باطلة ومغرضة، ونحن نذكر هنا ما ردَّ به عليهم^(١٥٧).

ذَكَرَ الدكتور "السباعي" أن حكاية عرض الحديث على "العقل" حكاية قديمة، نادى بها بعض المعتزلة وطبقها فعلاً، فرفض كلَّ

(١٥٧) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص ٣٣ - ٤١، باختصار وتصرف.

حديث لا يرتضيه "عقله".

ونادى بها المستشرقون حديثاً، وتابعهم فيها تلامذتهم.

وهذه الدعوة تبدو مقبولة لدى كثير من "المثقفين"، ولكنها - عند التدقيق - لا تعني شيئاً، ولا تُنتج شيئاً في علوم الشريعة، بل لا تنتج إلا الفوضى في قبول الأحاديث ورفضها.

ما العقل الذي يريده هؤلاء، وما حدوده؟ وما مدى الاتفاق عليه؟

لئن كانوا يريدون من العقل ما يقبله من بدهيات الأمور، فهذا أمر واقع في تاريخ السنة، فقد وضع أئمة النقد من علماء الحديث علامات لمعرفة الحديث الموضوع، منها: (أن يكون متنه مخالفاً لبدائه العقول، وللمقطوع به من الدين أو التاريخ أو الطب أو غير ذلك).

وعلى هذا نفوا آفاً من الأحاديث وحكموا عليها بالوضع.

ولئن كانوا يريدون غير هذا مما يستغربه العقل، فإن استغراب العقل شيئاً هو أمر نسبي، يتبع الثقافة والبيئة وغير ذلك مما لا يضبطه ضابط، ولا يحدده مقياس، وكثيراً ما يكون الشيء - مستغرباً عند إنسان، طبيعياً عند إنسان آخر، وقد كان البدوي في الصحراء يستغرب ما يقولونه عن المذيع "الراديو" في المدن، ويعده كذبة من أكاذيب الحضريين، فلما سمع الراديو لأول مرة ظن أن "الشیطان" هو الذي يتكلم فيه، كما يظن الطفل أن الذي يتكلم إنساناً فيه.

والأحاديث التي صححها علماءنا - يرحمهم الله تعالى - ليس فيها ما

يرفضه العقل أو يحيله، فإذا جاءت عن طريق ثابت يفيد القطع فيجب اعتقادها، وإن جاءت عن طريق يفيد غلبة الظن، فليس من شأن المسلم أن يبادر إلى تكذيبها.

ولننظر إلى المسألة من ناحية أخرى:

لنفرض أن تحكيم العقل في الأحاديث هو الصواب، فنحن نسأل:

أيُّ عقل هذا الذي تريدون أن تُحكِّموه؟

أعقل الفلاسفة؟ إنهم مختلفون، وما من متأخر منهم إلا وهو ينقض قول

من سبقه.

أعقل الأدباء؟ إنه ليس من شأنهم، فإن عنايتهم - عفا الله عنهم - بالنوادير

والحكايات.

أعقل علماء الطب، أم الهندسة، أم الرياضيات؟ ما لهم ولهذا؟

أعقل المحدثين؟ إنه لم يعجبكم، بل إنكم تتهمونهم بالغباوة والسطحية

والبساطة؟

أعقل الفقهاء؟ إنهم مذاهب متعددة، وعقليتهم - في رأيكم - كعقلية

المحدثين.

أعقل الملحدين؟ إنهم يرون أن إيمانكم بوجود الله جهل منكم

وخرافة.

أعقل المؤمنين بوجود الله؟ تعالوا نرى طوائفهم:

إنَّ منهم: مَنْ يرى أن الله يحل في إنسان فيصبح إلهًا!!

ومنهم: مَنْ يرى أن رُوح الله تتقمص في جسد، فيكون إلهاً!!
ومنهم: مَنْ يرى أن الله ومخلوقاته في وحدة متكاملة!!
ومنهم: مَنْ يرى أن الله ذو ثلاثة أقانيم في ذات واحدة!!
ومنهم: مَنْ يرى البقر والفأر والقرد يجب أن يُتوجه إليها
بالعبادة!!

ستقولون: إننا نريد تحكيم عقل المؤمنين بإله واحد في دين
الإسلام.

فنحن نسألکم: عقل أي مذهب من مذاهبهم ترضون؟
أعقل أهل السنة والجماعة؟ هذا لا يُرضي الشيعة، ولا المعتزلة.
أم عقل الشيعة؟ هذا لا يُرضي أهل السنة، ولا الخوارج.
أم عقل المعتزلة؟ إنه لا يُرضي جمهور طوائف المسلمين!
فأيُّ عقل ترضون؟!

وقصارى القول: إن أئمة الحديث وفقهاء المسلمين ومؤرخيهم
ومفسريهم لم يُلغوا عقولهم عند تصحيح الأحاديث، وإنما أوقفوها
عند الحد الذي يجب أن تقف عنده بحكم الشرع، وبحكم العقلاء
غير "المغرورين" بعقولهم.

ثامناً: ادعاء أن بني أمية كانوا يشجعون وضع الأحاديث

ويُرَدُّ الكاتب شبّهات المستشرقين وتشكيكهم في السنة المطهرة،
فيلقي التهم جزافاً ويرسل - مثلهم - الكلام على عواهنه، ويروج - من

غير دليل - زعمَ وادّعاءً أنّ بني أمية شجعوا على وضع الأحاديث.
يقول بركات أحمد: (ولا يتصل ببحثنا هذا أيضاً الأحاديث التي
يُحتمل أن تكون قد وُضعت تحت تأثير بني أمية أو بني العباس)^(١٥٨).

وفي سياق إصراره على ردّ رواية البخاريّ ومسلم بشأن تعيين
"سعد بن معاذ" حَكَمًا في قضية بني قريظة، والتي فندنا طعنه فيها
سابقاً، يقول:

(ولنا أن نخلص مما تقدم إلى أنّ حادثة صغيرة ذات أهمية ربما كان
لسعد بن معاذ إصبع فيها بصدد التعامل مع بني قريظة، قد ضُخمت
تضحياً عظيماً على يد جامعي الحديث من مؤيدي بني أمية، وبمرور
الوقت، حين أصبح الخلاف بشأن التحكيم مسألة عديمة الأهمية،
نظراً لثورة بني العباس جرّ النسيان ذيوله أيضاً على الأسباب التي
حدثت إلى استغلال هذه الحادثة الصغيرة كسابقة ذات شأن)^(١٥٩).

وهذا الزعم - كما أشرت - هو من شبهات المستشرقين، وسبق أن
جاهر به المستشرق اليهوديّ "جولد زيهر" في كتابه "العقيدة والشريعة في
الإسلام"، وقد ردّ عليه الدكتور "مصطفى السباعي"، ودحض
أباطيله بهذا الخصوص^(١٦٠).

(١٥٨) محمد واليهود، ص ٤٢.

(١٥٩) السابق، ص ١٥٩.

(١٦٠) يراجع: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، الفصل السادس بتمامه.

والواقع أنّ ادّعاء أنّ بني أمية كانوا يشجعون على وضع الأحاديث، ادعاء لا وجود له إلا في خيال الكاتب وأمثاله؛ فما روى لنا التاريخ أنّ الأمويين قد شجعوا على وضع الأحاديث وأعانوا على الكذب على رسول الله ﷺ، ونحن نسأله أين تلك الأحاديث التي وضعها الأمويون؟

إنّ علماء المسلمين لم يرووا حديثاً إلا بإسناده، ولم يعدوه مقبولاً إلا إذا توافرت له شروط القبول، وإلا كان مردوداً، وها هي أسانيد الأحاديث الصحيحة محفوظة في كتب السنة، وليس فيها حديث واحد من أئمة الضخمة في سنده عبد الملك أو يزيد أو الوليد، أو أحد ولائهم وعمّاهم كالحجاج، وخالد بن عبد الله القسريّ وأمثالهم، فأين ضاع ذلك في زوايا التاريخ لو كان له وجود؟ وإذا كان الأمويون أو العباسيون لم يضعوا الأحاديث، وإنما دعوا إلى الوضع وشجعوه، فما الدليل على ذلك؟^(١٦١).

ثم إن علماء المسلمين بذلوا جهوداً فائقة - ليس لها في الدنيا مثيل - في سبيل تنقية السنة مما أدخله فيها الوضاعون - على اختلاف دوافعهم - وقاموا بأعمال جلييلة في مقاومة حركة الوضع في الحديث الشريف، وفق منهج علمي صارم، دون أن تأخذ أحدهم في الله لومة لائم، وحققوا في هذا المضمار نجاحاً منقطع النظير، وهذا كله يعرفه أيُّ منصف مطلع على تاريخ السنة وعلومها، ويشهد له ما خلفوه من

(١٦١) السابق، ص ٢٠٣ بتصرف.

تراث علمي مترامي الأطراف، في مجال السنة النبوية وعلومها، وهذا كله من فضل الله الذي هدى ووفق، وهياً الأسباب لحفظ دينه الحنيف.

وإننا نتحدى أن يدلنا المستشرقون وتلامذتهم على نبي من الأنبياء في أيّ زمان من أزمنة التاريخ، قام أتباعه بحفظ أحاديثه، وصيانة تعاليمه وتوجيهاته، وسهروا على العناية بها، ووقايتها من العبث والتحريف، بعشر معشار ما فعل المسلمون مع سنة نبيهم ﷺ.

مَنْ بَيْتِهِ مِنْ زَجَاجٍ لَا يَرْمِي الْأَخْرِينَ بِالْأَحْجَارِ

وحتى يدلنا المستشرقون وتلامذتهم على ما تحديناهم بشأنه - ولن يمكنهم ذلك أبداً - نقول لهم: كان أولى بكم أن تسكتوا عن إثارة الشبهات حول القرآن والسنة، وأن لا تنطحوا في الصخر، لأن مَنْ بَيْتِهِ مِنْ زَجَاجٍ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَرْمِيَ الْأَخْرِينَ بِالْأَحْجَارِ.

هل يعلم أدعياء العلم، والمنسوبون إليه من المستشرقين - يهوداً كانوا أم نصارى - ومن يدورون في فلکهم، قيمة ما بأيديهم من كتب يزعمونها مقدسة، من حيث ثبوتها أو صحتها سنداً وامتناً؟

إن أسفار العهد القديم والعهد الجديد - على السواء - موصومة بالزيف والانتحال، وهي عارية من الأسانيد التي تجعلها ظنية الثبوت، بالإضافة إلى ما يكتنف متونها من مضامين هزيلة متخلفة، ذات أباطيل مدهشة !!

إن أسفار العهدين القديم والجديد لا ترتقي إلى أن تصل في حجيتها ودرجة الاستيثاق من ثبوتها درجة الأحاديث الضعيفة، التي ضعفها علماء المسلمين.

خذ مثلاً: القسم الأول من العهد القديم، وهو الذي يسمى "التوراة"، والذي يشمل خمسة أسفار هي: (التكوين، الخروج، اللاويين (الأخبار)، العدد، التثنية)، ويطلق على هذه الأسفار "أسفار موسى" (١٦٢).

وهذه الأسفار (ينسبها اليهود إلى موسى، ويعتقدون أنها بوحي من الله، وأنها تتضمن التوراة.

ولكن ظهر للمحدثين من الباحثين من ملاحظة اللغات، والأساليب التي كُتبت بها هذه الأسفار، وما تشتمل عليه من موضوعات، وأحكام، وتواريخ، والبيئات الاجتماعية، والسياسية التي تنعكس فيها؛ ظهر لهم من ملاحظة هذا كله أنها قد أُلِّفت في عصور لاحقة لعصر موسى بأمد غير قصير "وعصر موسى يقع على الأرجح حوالي القرن الرابع عشر، أو الثالث عشر قبل الميلاد" ..

وأن معظم سفري التكوين والخروج قد أُلِّفَ حوالي القرن التاسع عشر قبل الميلاد.

(١٦٢) اليهودية، د. أحمد شلبي، ص ٢٣٠ بتصرف، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة، ط السابعة ١٩٨٤ م.

وأن سفر التثنية قد أُلِّفَ في أواخر القرن السابع قبل الميلاد.
وأن سفري العدد واللاويين قد أُلِّفَا في القرنين الخامس والرابع قبل
الميلاد، أي بعد النفي البابلي "وهو إجلاء بني إسرائيل إلى بابل سنة
٥٨٧ قبل الميلاد".

وأنها جميعاً مكتوبة بأقلام اليهود^(١٦٣).

ونقتبس منها بعض ما يؤكد كذب نسبتها إلى موسى، على النحو

التالي:

- جاء في سفر التثنية: "فمات موسى عبْدُ الرَّبِّ في أرضِ مِوَّاب، ولم
يَعْرِفْ إنسان قبره إلى اليوم"^(١٦٤).

وليس من المعقول أن يكتب موسى ذلك عن نفسه.

- وفي نفس السفر: "ولم يَقمْ بعدُ نبيٌّ في إسرائيل مثلَ موسى"^(١٦٥).

ومن الواضح أن مثل هذه العبارة لا تقال إلا بعد موت موسى بزمان
ليس بالقصير.

- وجاء في سفر التكوين: "وهؤلاء هم الملوك الذين مَلَكُوا في أرض
أدوم قبلما مَلَكَ مَلِكُ لبني إسرائيل"^(١٦٦).

(١٦٣) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د. علي عبد الواحد وأفي ص ١٧،
نهضة مصر - القاهرة.

(١٦٤) الإصحاح ٣٤ / ٥، ٦.

(١٦٥) الإصحاح ٣٤ / ١٠.

(١٦٦) الإصحاح ٣٦ / ٣١.

وهذه الفقرة تدل على أنها كُتبت في عهد ملوك بني إسرائيل أو بعده،
وعهد ملوك بني إسرائيل متأخر عن موسى بعشرات السنين، أو
بمئات السنين.

ومن هذا ندرك أن أسفار التوراة ليست هي أسفار موسى، وإنما
نُسبت إليه لكثرة ورود اسمه بها^(١٦٧).

وأما أناجيل العهد الجديد؛ فإنها فاقدةُ السند تمامًا، ومشكوك في نسبتها
إلى أصحابها، وليس لدى النصارى من قديم الزمن مرجح في حسم
هذه القضايا من علم إلا الظن والتخمين.

- فإنجيل متى مجهول التاريخ ومجهول اللغة، ومجهول المترجم، وأنَّ
اللغة الأصلية معترف بضياعتها، أو على الأقل بعدم إمكان العثور
عليها.

وقد قال "هورن": أُلِّف الإنجيل الأول سنة ٣٧، أو سنة ٣٨، أو سنة
٤١، أو سنة ٤٣، أو سنة ٤٨، أو سنة ٦١، أو سنة ٦٣، أو سنة ٦٤ من
الميلاد.

أو ليس من العجب ادعاء أن هذا كتاب مقدس؟!^(١٦٨).

ومرقص صاحب الإنجيل الثاني هناك اضطراب في شخصيته.

(١٦٧) اليهودية، د. أحمد شلبي، ص ٢٥٢.

(١٦٨) يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء، د. رؤوف شلبي، ص ١٥١، بتصرف يسير،
دار البشير - مصر.

ولوقا مجهول النسب، أنطاكيُّ أم إيطاليّ، ومجهول الصناعة، أطييب أم مصور، كما أنه - بالاتفاق - ليس حوارياً، ولا من السبعين المختارين الذين نزل عليهم الروح القدس - في اعتقاد النصارى - ولا يُعرَف زمن تدوين إنجيله.

وأما يوحنا صاحب الإنجيل الرابع، فقد وُصِمَ بما سبق، وفاقه بجدارة، حيث إنَّ شخصيته محل شكٍّ، أو اختلافٍ بين المؤرخين، وتاريخ كتابة إنجيله مطموس الحقيقة، وليس من سبيل إلى التعرف على سنة كتابته، ولا من سبيل إلى التعرف على كاتبه.

ولغة تدوينه - وهي اليونانية - تنفي إمكان نسبته إلى يسوع الذي لم يعرف إلا لغة اليهود والجليل، وهي اللغة العبرانية.

وقد اعترف مُحَرِّرو دائرة المعارف البريطانية بأن إنجيل يوحنا كتاب مزوّر - بلا شك - وأن كاتبه لا مَرِيّة في أنه ليس يوحنا الحواريّ، الذي يجبه المسيح^(١٦٩).

تلك بعضُ الحقائق عن أسفار العهدين القديم والجديد، التي يؤمن بقدسيّتها أكثر المستشرقين، والمغالين منهم في إثارة الشبهات حول الإسلام وقرآنه ونبيّه - خاصة ..

وقد أمسكنا عن الكثير مما يؤكّد عدم صلتها بالوحي الإلهيّ، نظراً

(١٦٩) يُرَاجَع تفصيل هذا في: يا أهل الكتاب (السابق)، ص ١٥٢-١٥٦، الأسفار المقدسة، ص ٨٨، ٨٩.

لضيق المقام، بالإضافة إلى أن هناك مصادرَ علميةً تكفّلت بتفصيل هذه الأمور وتوثيقها، في ضوء المنهج العلميّ القويم^(١٧٠).

فما رأي المستشرقين الطاعنين في الإسلام وعملائهم، بعد هذا؟
ألم نُقل: إنَّ مَنْ بَيْتُهُ مِنْ زَجَاجٍ، لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَرْمِيَ الْآخِرِينَ
بِالْأَحْجَارِ!!؟

نعوذ بالله - تعالى - من الخذلان.

*** **

(١٧٠) يُرَاجَع - على سبيل المثال - الكتاب العظيم: "إظهار الحق"، للعلامة رحمت الله بن خليل الرحمن الهنديّ (المتوفى ١٣٠٨هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق د. محمد أحمد ملكاوي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية - السعودية، ط الأولى ١٤١٠هـ ١٩٨٩م.

الفصل الرابع

شبهات حول السيرة النبوية

- أولاً: دراسة السيرة النبوية من منظور جاحد لنبوته محمد ﷺ
ثانياً: إثارة الشبهات والشكوك حول السيرة النبوية
ثالثاً: الطعن في عدالة كتاب السيرة النبوية ومؤرخيها
ابن إسحاق المفترى عليه
ابن إسحاق في ميزان العلم والعلماء
اتهام ابن إسحاق بالتحامل على اليهود
رابعاً: تضليل ومغالطات حول تاريخ تدوين السيرة النبوية
خامساً: التشكيك في وقوع حروب بين الرسول ﷺ واليهود
سادساً: ادعاء أن الهجرة النبوية كانت هروباً
سابعاً: التشكيك في أن الله أيد الرسول ﷺ في غزواته
بالمعجزات
ثامناً: إثارة الشكوك حول صحيفة المدينة
تاسعاً: الكاتب يزعم أن اليهود لم تتبين لهم نبوة محمد ﷺ
عاشراً: غزوة خيبر.. وأكاذيب ومغالطات

أولاً: دراسة السيرة النبوية من منظور جاحد لنبوّة محمد ﷺ

إن المتأمل في كتاب "محمد واليهود" يجد الكتاب موجّهًا من أوله إلى منتهاه لتكوين انطباع لدى القارئ عن السيرة النبوية بأنها لا تعدو كونها تاريخًا لإنسانٍ عاديٍّ من الناس، وليست سيرة نبيٍّ خصّهُ الله تعالى بالوحي الإلهيِّ، واصطفاه للنبوّة والرسالة، وأجرى على يديه المعجزاتِ وأيده بها، ونستطيع القول بأنه ما من رأيٍ أو تحليلٍ يتضمّنه الكتابُ إلا وهو قائم على هذه النظرة، ومن منطلق دراسة السيرة النبوية من منظورٍ إنسانيٍّ بحثٍ، مجردٍ من الاعتراف بالهوية الحقيقية لمحمد ﷺ، وهي أنه رسول من عند الله، موصولٌ بوحي ربّه ومولاه. وهذه هي نظرة المستشرقين جميعًا إلى صاحب السيرة عليه الصلاة والسلام؛ حيث مجردونه ﷺ من صفة النبوّة والرسالة، وبالتالي يتعاملون مع سيرته من هذا المنطلق.

ونظرًا لأنّ هوى "بركات أحمد" تبعٌ لما أوحى به إليه المستشرقون الجاحدون لنبوّة محمد ﷺ، وليس تبعًا لما يقتضيه المنهج العلميّ، ولما يمليه عليه ويلزمه به دينه - وهو المسلم فيما زعموا -؛ فقد كان حريصاً على تناول أحداث السيرة على أساس أنها لبشر عاديٍّ، أو - في أحسن التوقّعات - لعبقريٍّ فذٍّ، وليس بنبي معصوم، لا ينطق عن الهوى.

وقد سبق أن ذكرنا تجاهله التامّ لأمر الوحي بالنسبة لرسول الله محمد ﷺ، وورصدنا دلائل على هذا، بل وجعلناه أمر نبوّة محمد ﷺ من

الأمر التي تخضع للنقاش وإبداء الرأي فيها، حيث إنها - في نظره - ليست من قبيل الحقائق الثابتة المسلّمة، التي تخرج عن نطاق الجدل والنقاش، وقد ردّدنا على ما أثاره من خَطَل بهذا الشأن في الفصل الثاني^(١٧١).

إن واجب العلم يقتضي من أي دارس للسيرة النبوية أن يدرسها من خلال الصفة التي قدّم بها محمد ﷺ بها نفسه إلى العالم، وهي صفة النبوة والرسالة، وأن يسوق أحداثها، ويجعل مضامينها، وخاصة ما خرج منها عن مألوف العادات في دنيا الناس، على أنها من خصائص النبوة ومعجزاتها، كما أنّ أمانة البحث تقتضيه أن يذكر لقائه أن هذا هو ما يعتقده المسلمون في نبيهم وسيرته، ثم ليحتفظ لنفسه بعد ذلك بما أراد من الاعتقادات والتفسيرات.

وقد نتج عن دراسة السيرة النبوية من منظور أنها تاريخ رجلٍ لا حظّ له من النبوة والرسالة مشكلاتٌ، منها: عدم الاهتمام إلى التفسير الصحيح لكيفية انتشار الإسلام وغلبته في زمن قصير، وكذلك الحيرة والاضطراب في تفسير انتصارات النبي ﷺ في غزواته، مع وجود الفوارق الضخمة في الأسباب المادية لصالح أعدائه، وتفوق خصومه في العدة والأموال والعدد.

وكذلك أدت دراسة السيرة النبوية من هذا المنظور البشري إلى

(١٧١) يُرَاجَع ص ٦٩ وما بعدها.

إنكار معجزات الرسول ﷺ، وتجاهل التأييد الإلهي له ﷺ، وغير هذا مما لا يجدونه سائغاً في المنطق المادي، وهذا ما وقع فيه "بركات أحمد"، واعتبر أن ما تخلل السيرة النبوية من معجزات وقعت في غزوات النبي ﷺ من تلفيق واختراع كُتِّب السِّير، وسوف نرد عليه في هذه الفرية لاحقاً بتوفيق الله.

وحقاً ما يقرره الأستاذ "البهي الخولي" (أن تاريخه عليه السلام ليس كالتاريخ المدرسي أو الجامعي، أو ليس كتاريخ الأبطال والرجال ... فتاريخ هؤلاء يؤرِّخ ما تأثرت به الحياة بفعلهم وتوجيههم الذاتي المنبعث من عواملهم النفسية الشخصية، أما تاريخه عليه السلام فهو تاريخ عمل الله السافر وغير السافر، أجراه سبحانه بيد عبد رباني، ليس له من الأمر من شيء، إذا نطق لم ينطق عن الهوى، وإذا رمى فليست رميته، ولكن الله رمى) (١٧٢).

ثانياً: إثارة الشبهات والشكوك حول السيرة النبوية

ولقد حاول الكاتب بين الحين والآخر أن يهدم السيرة النبوية بطرق متعددة:

- فتارة يشكك في عدالة ونزاهة كُتَّابها ومؤرخيها، وخاصة ابن إسحاق.

- وأخرى يدعي بأن ما رواه أصحاب السير بشأن النزاع مع اليهود

(١٧٢) تذكرة الدعاة، البهي الخولي ص ٢٥٤، دار الندوة الجديدة - بيروت.

في صدر الإسلام ملفَّق لدواعٍ وأسباب معيَّنة.
- ومرة ثالثة يزعم بأن كثيراً من مادة القصص الشائع أُدخِل ضمن
السيرة، وصار من مكوناتها.
- ورابعة يُكذَّب رواياتٍ صحيحةً في قمة الصحة، وأقوى درجات
الثبوت، من غير دليل، أو بدعوى مخالفتها للعقل - كما فعل مع رواية
تحكيم سعد بن معاذ في بني قريظة، التي أتينا على ادعاءاته ومزاعمه
الباطلة فيها بما نسفها من القواعد - وغير ذلك من الشبهات والمطاعن
الخيثة، التي تكون سافرة في بعض الأحيان، ومستترة في بعضها
الآخر.

وجدير بالذكر أن مطاعنه وشبهاته التي أثارها حول السيرة النبوية
متهافئة، وليست بجديدة، بل ولم تكن من ابتكاره هو؛ إنما هي آراء
أساتذته المستشرقين يلوكها ويردها، سواء أنسبها إليهم، أم أوهم
الناس بأنها من عنده هو، ومن بنات أفكاره.

ولنقف في وجه تلك المطاعن وقفة، لنكشف عن بطلانها، ونظهر
تهافتها، وذلك على النحو التالي:

ثالثاً: الطعن في عدالة كتاب السيرة النبوية ومؤرخيها

لقد نذر الكاتبُ نفسه لإلصاق التهم الباطلة بكتاب السيرة
النبوية، والنيل من عدالتهم ونزاهتهم، والتشكيك فيما رووه من
أحداث، وخاصة تلك التي تتعلق باليهود، حتى إنه في بعض الأحيان

لا يتورع عن اتهام جميع المفسرين ورواة السيرة، وكتاب التاريخ،
وجامعي الحديث بالسطحية والجهل، واختلاق الروايات الكاذبة
تحملاً على اليهود^(١٧٣).

ابن إسحاق المفترى عليه

ولقد نال الإمام "محمد بن إسحاق" المتوفى في حدود سنة
(١٥١هـ)^(١٧٤) كثيرٌ من سهام الكاتب الطائشة، وافتراءاته الظالمة، بل
وأحياناً لم يسلم من تطاوله وفُحْشه.

وقد حاول الكاتب أن يرسم صورة شائهة لابن إسحاق، ويشكك
في عدالته جملة، ثم طفق يثير الشبهات حول أمانته وحياده بمناسبة
وغير مناسبة في ثنايا الكتاب، وسائر فصوله، وكان حريصاً ما وسعه
الجهد على هدم الثقة في هذا المؤرخ الفذ، لترتفع الثقة - بالتالي - في
السيرة التي جمعها ودونها، وبهذا يتصور أنه هدم مصدراً من أهم
مصادر سيرة النبي ﷺ لدى المسلمين.

ولكن هيهات أن يدرك هدفه الخبيث، ومقصده الهدام؛ فإن شعاع
الحقيقة لا يمكن أن يواريه زفير أهل الباطل مجتمعين، فمن بله^(١٧٥)
أن يطفئه.

(١٧٣) انظر: ص ١٣٨، ٢٠٥ من كتاب محمد واليهود، وقد سبق أن أوردنا هذا التطاول

والبداء على علماء المسلمين، ورددنا عليه في الفصل السابق، ص ١٣٤ - ١٣٥.

(١٧٤) البداية والنهاية ١٠/١١٢.

(١٧٥) أي: كيف ومن أين؟

ابن إسحاق في ميزان العلم والعلماء

ولقد اختلف الناس في ابن إسحاق بين مادح وقادح، ومع هذا فقد ظل ابن إسحاق في ذاكرة الأمة ملء الأسماع، وكان في ميزان أهل العلم الموثوق بهم "صاحب السيرة النبوية التي جمعها وجعلها علماً يُهتدى به، وفخراً يُستجلى به، والناس كلهم عيال عليه في ذلك، كما قال الشافعي وغيره من الأئمة" (١٧٦).

وقد شهد لابن إسحاق أكثر الأئمة والعلماء الأثبات، وردوا على مَنْ طعن فيه، وأثبتوا أنّ التحامل عليه - في كثير من جوانبه - لم يكن منزهاً عن الهوى، وليس من الحق في شيء.

وها هي نماذج من توثيق العلماء له:

قال علي بن المديني: نظرتُ، فإذا الإسناد يدور على ستة - يعني: الأسانيد الصحاح -.

قال: فلاهل المدينة: ابن شهاب الزهري.

ولأهل مكة: عمرو بن دينار.

ولأهل البصرة: قتادة، ويحيى بن أبي كثير.

ولأهل الكوفة: أبو إسحاق، والأعمش.

ثم صار علم هؤلاء الستة إلى أصحاب الأصناف، ممن صنف:

فلاهل المدينة: مالك، ومحمد بن إسحاق.

(١٧٦) البداية والنهاية ١٠/ ١١٢.

ولأهل مكة: ابن جريج، وابن عيينة.
ولأهل البصرة: ابن أبي عروبة، وحماد بن سلمة، وشعبة، وأبو
عوانة، ومعمر، وقد سمع معمر من الستة.
ومن الكوفة: سفيان الثوري.
ومن الشام: الأوزاعي.
ومن واسط: هشيم^(١٧٧).
وقال يحيى بن معين: كان ثقة حسن الحديث.
وقال الزهري: لا يزال بالمدينة علم ما بقي هذا، يعنى ابن إسحاق.
وروى حرمله عن الشافعي قال: من أراد أن يتبحر في المغازي فهو
عيال على محمد بن إسحاق.
وقال يونس بن بكير: سمعت شعبة يقول: محمد بن إسحاق أمير
المؤمنين في الحديث.
وقال علي بن عبد الله: نظرت في كتب ابن إسحاق، فما وجدت
عليه إلا في حديثين، ويمكن أن يكونا صحيحين.
وقال أبو زرعة الدمشقي: ابن إسحاق رجل قد أجمع الكبراء من
أهل العلم على الأخذ عنه؛ منهم: سفيان، وشعبة، وابن عيينة،

(١٧٧) علل الحديث ومعرفة الرجال، للحافظ علي بن المديني، تحقيق د. عبد المعطي أمين
قلعجي، ص ١٦ وما بعدها باختصار، دار الوعي - حلب، ط الأولى ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م،
سير أعلام النبلاء للذهبي ٥٢٦/٩.

والحمادان، وابن المبارك، وإبراهيم بن سعد، وروى عنه من القدماء: يزيد بن أبي حبيب، وقد اختبره أهل الحديث فرأوا صدقاً وخيراً مع مدح ابن شهاب له، وقد ذكرت دحيماً قول مالك، فرأى أن ذلك ليس للحديث، إنما هو لأنه اتهم بالقدَر.

وقال إسحاق بن محمد بن خلف البخاري الحافظ: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: محمد بن إسحاق ينبغي أن يكون له ألف حديث ينفرد بها لا يشاركه فيها أحد^(١٧٨).

وقد وُجِّهت بعض الاتهامات إلى ابن إسحاق؛ منها ما أورده الخطيب البغدادي قائلاً:

"وقد أمسك عن الاحتجاج بروايات ابن إسحاق غير واحد من العلماء لأسباب، منها: أنه كان يتشيع، ويُنسب إلى القدر، ويدلّس في حديثه، فأما الصدق فليس بمدفوع عنه"^(١٧٩).

وأجاب عن هذا ابن سيد الناس قائلاً:

"قلت: أمّا ما رُمي به من التدليس والقدر والتشيع؛ فلا يوجب ردّ روايته، ولا يوقع فيها كبيرَ وَهْنٍ، وأمّا التدليس فمنه القادح في العدالة وغيره، ولا يُجَمَل ما وقع هاهنا من مطلق التدليس على

(١٧٨) سير أعلام النبلاء ٧/ ٣٥ وما بعدها، باختصار.

(١٧٩) تاريخ بغداد أو مدينة السلام، للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ٢٤٤/١، دار الكتاب العربي - بيروت.

التدليس المقيّد بالقادح في العدالة، وكذلك القدر والتشيع، لا يقتضى -
الردّ إلا بضميمة أخرى، ولم نجد لها هاهنا" (١٨٠).

وروي عن محمد بن نمير قال: كان محمد بن إسحاق يُرمَى بالقدر،
وكان أبعَدَ الناس منه (١٨١).

وقال ابن جرير: "لو كان كلُّ مَنْ ادَّعِيَ عليه مذهبٌ مِنَ المذاهب
الرديئة، ثبت عليه ما دُعي به، وسقطت عدالته، وبطلت شهادته
بذلك؛ للزم ترك أكثر محدثي الأمصار، لأنه ما منهم إلا وقد نَسَبَه قومٌ
إلى ما يُرغب عنه" (١٨٢).

وأشهر مَنْ تكلم في ابن إسحاق رجلان، هما: مالك بن أنس،
وهشام بن عروة.

أما الإمام مالك فإنه قال عن ابن إسحاق: "دجال من
الدجاجلة" (١٨٣).

فهل سلّم الأئمة لمالك، ووافقوه في جرحه لابن إسحاق؟
كلا.. بل ردوه ورفضوه، وذكروا أنه لم يكن عن حجة أو برهان،

(١٨٠) عيون الأثر في المغازي والشمال والسير، لابن سيد الناس ص ١٣، دار المعرفة -
بيروت.

(١٨١) تاريخ بغداد ١/ ٢٢٥- ٢٢٦، سير أعلام النبلاء ٧/ ٤٣.

(١٨٢) قواعد في علوم الحديث، للعلامة ظفر أحمد العثماني التهانوني ص ٤٤٤، تحقيق عبد
الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية - حلب، سوريا، ط الثالثة ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ م.

(١٨٣) سير أعلام النبلاء ٧/ ٣٨.

وأنه لم يبرأ من التعصب، ويسلم الهوى.

قال الخطيب: قد ذكّر بعض العلماء أن مالكا عابه جماعة من أهل العلم في زمانه، بإطلاق لسانه في قوم معروفين بالصلاح والديانة، والثقة والأمانة^(١٨٤).

وقال الإمام الذهبي: قال البخاري: ولو صح عن مالك تناوله من ابن إسحاق، فلربما تكلم الإنسان، فيرمي صاحبه بشيء واحد، ولا يتهمه في الأمور كلها.

قال: وقال إبراهيم بن المنذر عن محمد بن فليح: نهاني مالك عن شيخين من قریش، وقد أكثر عنهما في "الموطأ"، وهما ممن يحتج بهما، ولم ينج كثير من الناس من كلام بعض الناس فيهم، نحو ما يُذكر عن إبراهيم من كلامه في الشعبي، وكلام الشعبي في عكرمة وفيمن كان قبلهم، وتناول بعضهم في العرض والنفس، ولم يلتفت أهل العلم في هذا النحو إلا ببيان وحجة، ولم تسقط عدالتهم إلا برهان ثابت وحجة، والكلام في هذا كثير.

قلت^(١٨٥): لسنا ندعي في أئمة الجرح والتعديل العصمة من الغلط النادر، ولا من الكلام بنفس حاد فيمن بينهم وبينه شحنة وإحنة، وقد علم أن كثيرا من كلام الأقران بعضهم في بعض مهدر لا عبرة به،

(١٨٤) تاريخ بغداد ١/ ٢٢٣.

(١٨٥) أي الإمام الذهبي.

ولاسيما إذا وثق الرجل جماعةً يلوح على قولهم الإنصاف، وهذان الرجلان كلُّ منهما قد نال من صاحبه، لكن أثر كلام مالك في محمدٍ بعض اللين، ولم يؤثر كلام محمد فيه ولا ذرة، وارتفع مالك، وصار كالنجم، والآخر فله ارتفاع بحسبه، ولاسيما في السير، وأمّا في أحاديث الأحكام، فينحط حديثه فيها عن رتبة الصحة إلى الحسن، إلا فيما شد فيه، فإنه يُعدّ منكراً^(١٨٦).

وبالإضافة إلى أن كلام مالك في ابن إسحاق لم يكن ببرهان، فإنه كان لغرض وتباغض، حيث إن ابن إسحاق قد تكلم في حق مالك بما يكرهه، فقال مالك فيه ما قال.

قال ابن حبان: وأما مالك فإنه [يعني كلامه في ابن إسحاق] كان ذلك منه مرة واحدة، ثم عاد له إلى ما يُحبّ، وذلك أنه لم يكن بالحجاز أحد أعلم بأنساب الناس وأيامهم من محمد بن إسحاق وكان يزعم أن مالكا من موالي ذي أصبح وكان مالك يزعم أنه من أنفسهم، فوقع بينهما لهذا مفاوضة.

فلما صنّف مالك الموطأ قال ابن إسحاق: ائتوني به فياني بيطاره، فنقل ذلك إلى مالك، فقال: هذا دجال من الدجاجلة يروي عن اليهود.

وكان بينهم ما يكون بين الناس، حتى عزم محمد بن إسحاق على

(١٨٦) سير أعلام النبلاء ٧/٤٠ - ٤١.

الخروج إلى العراق، فتصالحا حينئذ، فأعطاه مالكٌ عند الوداع خمسين دينارا نصف ثمرته تلك السنة.

ولم يكن يقدح فيه مالك من أجل الحديث إنما كان ينكر عليه تتبعه غزوات النبي ﷺ عن أولاد اليهود الذين أسلموا، وحفظوا قصة خيبر وقريظة والنضير وما أشبهها من الغزوات عن أسلافهم، وكان ابن إسحاق يتتبع هذا عنهم ليَعلم من غير أن يحتج بهم^(١٨٧).

وهكذا يتبين أن كلام مالك في ابن إسحاق - يرحمهما الله - كان لشيء في النفس، وهو من باب كلام الأقران والنظراء في بعضهم. وقد قرر العلماء أن "كلام الأقران في بعضهم لا يُعْبَأُ به، لاسيما إذا كان لعداوة أو لمذهب أو لحسد، ولم يُسَلَم منه في كل عصر"^(١٨٨). وقد أجمع العلماء على عدم قبول قول الأقران والنظراء في بعضهم^(١٨٩).

وقال الإمام اللكنوي في بيان حكم الجرح غير البريء: "الجرح إذا

(١٨٧) الثقات، محمد بن حبان بن أحمد، التميمي، أبو حاتم، البُستي (المتوفى ٣٥٤هـ) ٧ / ٣٨١ - ٣٨٣، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن - الهند، ط الأولى ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م. وانظر: سير أعلام النبلاء ٧ / ٥٠، عيون الأثر، ص ١٦، ١٧.

هذا؛ "وليس ابنُ إسحاق أبا عُدْرَةَ هذا القول في نسب مالك؛ فقد حُكِيَ شيء من ذلك عن الزهري وغيره، والرجلُ أعلم بنسبه، وتأبى عدالتُه وإمامتُه أن يخالف قولُه فعَلَه". عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير، ص ١٧.

(١٨٨) قواعد في علوم الحديث، ص ١٩٦.

(١٨٩) أصول الحديث، ص ٢٧٠، وفيه مراجعه.

صدر من تعصب أو عداوة أو منافرة أو نحو ذلك فهو جرح مردود، ولا يؤمن به إلا المطرود، ولهذا لم يُقبل قولُ الإمام مالك في (محمد بن إسحاق) صاحب المغازي: "إنه دجال من الدجاجة"؛ لما عُلم أنه صدر من منافرة باهرة، بل حققوا أنه حَسَن الحديث، واحتجت به أئمة الحديث " (١٩٠).

وأما هشام بن عروة؛ فقد قال في حق ابن إسحاق: إنه كذاب (١٩١). ولكنَّ كلام هشام هذا لم يكن منزَّها عن الضغينة، كما لم يسلم به العلماء.

وقد قال هشام ما قاله في ابن إسحاق، لأن ابن إسحاق كان يذكُر أنه حدّث عن زوجته فاطمة بنت المنذر، وكان هشامٌ ينكر ذلك، لأنه يظن أن سماع ابن إسحاق منها لا بد أن يكون قد صاحبه رؤية لها، وهو لم يكن يجب ذلك، وكان يقول: "كيف يدخل على امرأتي" (١٩٢).

وقد رد العلماء كلام هشام، وأجابوا بأنه ليس من الضرورة أن يكون ابن إسحاق قد رأى فاطمة، فقد يكون سمعها من وراء حجاب أو أن تكون كتبت إليه، وقد يكون رآها وهو صبي، فحفظ

(١٩٠) الرفع والتكميل في الجرح والتعديل، للإمام محمد بن عبد الحي اللكنوي، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ص ٢٥٩ - ٢٦١، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، ط الثانية ١٣٨٨هـ ١٩٨٦م.

(١٩١) سير أعلام النبلاء ٣٨/٧، تاريخ بغداد ١/٢٢٢.

(١٩٢) سير أعلام النبلاء ٤١/٧، تاريخ بغداد ١/٢٢٢.

عنها، مع احتمال أن يكون قد أخذ عنها حين كبرت وعجزت، وكذا ينبغي، فإنها أكبر من هشام بأزيد من عشر- سنين، فقد سمعت من جدتها أسماء، ولما روت لابن إسحاق كان لها قريب من ستين سنة^(١٩٣).

وقد علق ابن حبان على ما قاله هشام في حق ابن إسحاق قائلاً:

وهذا الذي قاله هشام بن عروة ليس مما يُجرح به الإنسان في الحديث؛ وذلك أن التابعين مثل الأسود وعلقمة من أهل العراق وأبي سلمة وعطاء ودونها من أهل الحجاز قد سمعوا من عائشة من غير أن ينظروا إليها، سمعوا صوتها، وقبل الناس أخبارهم من غير أن يصل أحدهم إليها حتى ينظر إليها عياناً، وكذلك ابن إسحاق كان يسمع من فاطمة والستر بينهما مسبل، أو بينهما حائل من حيث يسمع كلامها، فهذا سماع صحيح والقادح فيه بهذا غير منصف^(١٩٤).

وذكر الذهبي احتمالاً آخر، وهو أنه يُحتمل أن تكون فاطمة بنت المنذر زوج هشام إحدى خالات ابن إسحاق من الرضاعة، فدخل عليها، وما علم هشام بأنها خالة له أو عمّة^(١٩٥).

ومن هذا يتبين أن العلماء لم يسلّموا بكلام هشام بن عروة، ومالك

(١٩٣) سير أعلام النبلاء ٧/ ٤١، ٤٢ بتصرف، تاريخ بغداد ١/ ٣٣٩.

(١٩٤) الثقات ٧/ ٣٨١.

(١٩٥) سير أعلام النبلاء ٧/ ٥٠.

بن أنسٍ في تجريح ابن إسحاق، رضي الله عن الجميع.

ولكي نقطع دابرَ افتراءاتِ المستشرقين وصنائعهم من أمثال "بركات أحمد"؛ فإننا نورد في ختام هذا الردّ طائفة من أقوال وآراء عدد من أئمة الجرح والتعديل العظام في ابن إسحاق - يرحمه الله -، كما أوردها ابن حبان، على النحو التالي:

عن علي بن الحسين بن واقد قال دخلت على ابن المبارك وإذا هو وحده، فقلت يا أبا عبد الرحمن؛ كنت أشتهي أن ألقاك على هذه الحالة، قال: هات، قلت: ما تقول في محمد بن إسحاق؟ فقال: أما إننا وجدناه صدوقا - ثلاث مرات -.

وقال يحيى بن معين: كان محمد بن إسحاق ثبّتا في الحديث.

قال أبو حاتم: لم يكن أحدًا بالمدينة يقارب ابن إسحاق في علمه، ولا يوازيه في جمعه.

وكان شعبة وسفيان يقولان: محمد ابن إسحاق أمير المؤمنين في الحديث، ومن أحسن الناس سياقا للأخبار، وأحسنهم حفظا لمتونها، وإنما أتى ما أتى لأنه كان يدلس على الضعفاء، فوقع المناكير في روايته من قبل أولئك، فأما إذا بين السماع فيما يرويه فهو ثبتٌ يُتجّج بروايته.

وقال علي بن المديني: محمد بن إسحاق صدوق، والدليل على صدقه أنه ما روى عن أحد من الجلة إلا وروى عن رجل عنه، فهذا يدل على صدقه.

وقال محمد بن نصر الفراء: قلت لعليّ بن المدينيّ: ما تقول في محمد بن إسحاق؟ فقال: ثقة، قد أدرك نافعاً ورَوَى عنه، ورَوَى عن رجل عنه، وعن رجل عن رجل عنه، هل يدل هذا إلا على الصدق؟ قال أبو حاتم: كان محمد بن إسحاق يكتب عمن فوقه ومثله ودونه لرغبته في العلم وحرصه عليه، وربما يروي عن رجل عن رجل قد رآه، ويروي عن آخر عنه في موضع آخر، ويروي عن رجل عن رجل عنه، فلو كان ممن يستحلّ الكذب لم يَحْتَجْ إلى الإنزال بل كان يُجَدِّثُ عمن رآه ويقتصر - عليه، فهذا مما يدل على صدقه وشهرة عدالته في الروايات^(١٩٦).

ونختم الكلام عن ابن إسحاق في هذا المقام، بهذه الكلمة المنصفة لابن عديّ، إذ قال: "ولو لم يكن لابن إسحاق من الفضل إلا أنه صرف الملوك عن الاشتغال بكتبٍ لا يحصل منها شيء إلى الاشتغال بمغازي رسول الله ﷺ ومبعثه، ومبتدأ الخلق؛ لكانت هذه فضيلة سبق بها، ثم من بعده صنّفها قومٌ آخرون فلم يبلغوا مبلغ ابن إسحاق منها، وقد فَتَشْتُ أحاديثه كثيراً، فلم أجد من أحاديثه ما يتهيأ أن يُقَطَعَ عليه بالضعف، وربما أخطأ، أو يهيم في الشيء بعد الشيء، كما يخطئ غيره، ولم يتخلف في الرواية عنه الثقات والأئمة، وهو لا بأس به"^(١٩٧).

(١٩٦) الثقات ٧/ ٣٨٣ - ٣٨٤ باختصار.

(١٩٧) سير أعلام النبلاء ٧/ ٤٨.

وبعد؛ فهذه كلمة مجملة في رد الافتراءات عن ابن إسحاق - يرحمه الله - وبيان منزلته عند العلماء، وقد تبين منها أنهم لم ينزعوا عنه الثقة والعدالة، كما أنهم - جميعاً - لم ينازعوا في إمامته، وأنه إليه المرجع في المغازي والسَّير.

ونستطيع - من خلال العرض السابق - أن نتبين كم كان صاحب كتاب "محمد واليهود" مُفْرِطاً في المجازفة، وإلباس الحق بالباطل، حين قرر في كتابه: أن واضعي المعاجم التي تروي سير أصحاب الرسول ﷺ والمؤرخين المسلمين المتأخرين، وعلماء الغرب، والمؤرخين المسلمين المحدثين، كتبوا كتابات ضافية في نقد ابن إسحاق^(١٩٨).

وإذا كان الكاتب قد حكى بعض أقوالٍ مادحة في ابن إسحاق من كلام الأئمة في أسطر معدودات^(١٩٩)، فإنَّ هذا في الواقع ليس إنصافاً منه لابن إسحاق، وإنما هو من قبيل التمويه، وذرُّ الرماد في العيون، وإلا فإنه قد أوسع ابن إسحاق تشنيعاً وقدحاً، واتهاماً بالكذب والجهل، والتلفيق والتحامل فيما رواه، وخاصة ما يتعلق باليهود - كما سنرى إن شاء الله في الصفحات التالية -.

اتهام ابن إسحاق بالتحامل على اليهود

ولقد حاول الكاتب جاهداً أن يُجَرِّد ابن إسحاق من أمانة المؤرخ؛

(١٩٨) يُنظَر: محمد واليهود، ص ٢٣.

(١٩٩) السابق، ص ٣١.

فطفق يُلْفَ ويدور، ليخُلص في النهاية إلى توجيه اتهام لابن إسحاق بأنه "كان متحاملاً دائماً على يهود الحجاز" (٢٠٠).

فماذا قدّم من معطيات لهذه النتيجة، التي يريد أن يفرضها فرضاً؟ لقد أخذ يتكلم عن الفترة التي عاش فيها ابن إسحاق، في صدر الدولة العباسية، وذكر في حديثه أن "الجالية اليهودية" - على حد تعبيره - كان لها في تلك الأثناء مظهر الدولة، وكان لها دستور خاص، وأن رؤساء اليهود كانوا أمراء في تصرّفاتهم، تُحَفّ بمواكبهم الأبهة والعظمة، ثم انتقل إلى الحديث عن ما سماه ثورات بعض اليهود، وادعائهم للنبوّة، وإحداثهم القلاقل داخل الدولة العباسية الناشئة، معتمداً فيما كتبه على بحوث المستشرقين.

فما مناسبة الحديث عن المناصب الدينية لزعماء اليهود - مع تحفظنا على ما ادعاه بهذا الخصوص؛ حيث لم نجد ما يؤيده في مرجع نظمّن إليه - ثم الحديث عن ادعاء بعضهم النبوّة، ثم ما قام به بعضهم من ثورات؟

إنه يسوق هذه الأمور ويقول: إن ابن إسحاق عاصرها، ليخُلص من سَوّقها إلى تقرير أن ابن إسحاق كتب السيرة، وضمّنها ما يتعلق بالحديث عن اليهود وعلاقتهم بالرسول ﷺ في المدينة، تحت تأثير مشاعر الكراهية لليهود، بسبب ما وقع منهم من مناوآت، وادعاء

(٢٠٠) السابق، ص ٣٠.

النبوة من جانب بعضهم، أو أن يكون ابن إسحاق كتب ما كتبه تحت تأثير مشاعر الحسد في بعض الأحيان، لما كان يتمتع به رؤساؤهم من أُبّهة، وبالتالي فإن ابن إسحاق - كما يفترض بركات أحمد - لم يكن محايداً أو أميناً حين كان يؤرخ لعلاقة الرسول ﷺ باليهود؛ حيث إن مشاعر الكره أو الحسد لليهود أفقدته الحياد والأمانة في البحث - زعموا -.

إنّ هذا النهج الذي سلكه "بركات أحمد" يذكّرنا بطرق ممثلي الادعاء والمحققين الخبثاء، في منظومة قضاءٍ فاسد، لا همّ لهم سوى جمع أدلة الإدانة ضد المتهمين، ليصبحوا في النهاية مذنبين جديرين بأقصى العقوبة !!

إنّ تشكيكه فيما كتبه ابنُ إسحاق بشأن ما وقع من صدام وحروب بين اليهود والرسول ﷺ هو بمثابة فقاعات هوائية أو زبد فوق سطح الماء، ليس لها أيّ مقومٍ من مقومات الثبات؛ ذلك أن أحداث السيرة - وخاصة ما يتعلق باليهود - لم ينفرد بذكرها ابنُ إسحاق، وإنما ظاهره وواقفه في روايتها رواةٌ أثبات عدول، وحُفاظ ورِعُون، ومن قبلهم كتابُ الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ثم إن حديثه عن المناصب الدينية لليهود، وما كان فيه رؤساؤهم وعامّتهم من أُبّهة - مزعومة - في صدر الدولة العباسية - زمن وجود ابن إسحاق -، وأن هذا الوضع أدى إلى حسد ابن إسحاق لهم، وحقده عليهم، هذا الحديث المسهب من جانبه - فيما نرى - هو محل

نظر، ومبالغ فيه، وهو لم يورد له مصدراً موثقاً به، وليس له من مصدر سوى بعض كتابات المستشرقين اليهود، وهؤلاء لم نعرف من أين جاؤوا بما ذكروه، ولم نجد مصدراً من مصادر التاريخ المعروفة للقاصي والداني قد ذكّر ما أورده الكاتب بشأن ما يدّعي أنه "الجلالية اليهودية"، التي كان لها في عاصمة الدولة العباسية مظهر الدولة، وكان لها دستورها الخاص، وأن رئيس الجلالية اليهودية في بابل كان يطلق عليه اسم "رأس الجالوت"، وأن عميد الأكاديمية الدينية اليهودية كان يُطلق عليه اسم "الجاعون"، إلى آخر ما تكلم عنه بهذا الشأن^(٢٠١)، وادّعى أن ابن إسحاق حسد اليهود بسببه، فكان أن تحامل عليهم، وتجاوز في الكتابة عنهم.

وعلى فرض صحة ما زعمه، فلماذا يحسد ابنُ إسحاق اليهودَ أو زعماءهم، فيلقِّق قصصاً بشأنهم تغيظاً منهم وحقداً عليهم؟ أترأه كان يطمع في منصب ما يسمى "رأس الجالوت"، أو منصب ما يطلق عليه اسم "الجاعون"، ولكنه حُرِمَ مِنْ أيهما؟!؟! معاذ الله ..

إنَّ الحاسد يشعر بالنقص والدونية تجاه مَنْ يحسُده؛ إذ يرى تَفَوُّقَ محسودِه عليه، فيتمنى زوالَ نعمته.

وابن إسحاق باعتبارِه مسلماً وعالمًا كبيراً، لا يُتصور أبداً أن يشعر

(٢٠١) محمد واليهود، ص ٢٥ وما بعدها.

بالنقص والدونية حيال مَنْ غضب الله عليهم ولعنهم، جزاء كُفْرِهِمْ وإشراكهم به تعالى.

وإنَّ المسلم - أيَّ مسلم - فضلاً عن أن يكون عالماً وإماماً، لا يرى لغير المسلمين تميزاً أو تفوقاً عليه، بل يرى نفسه بالإيمان بالله تعالى ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً أعزَّ الناس، وأكرم الناس، وأنَّ أحداً ممن لا يشاركه هذا الإيمان، لا يمكن أن يتفضل عليه.

وأما زعمه بأن ابن إسحاق يمكن أن يكون قد تحامل على اليهود بسبب ما قام به بعضهم من ثورات، وادعاء النبوة، ونحو هذا من القلاقل؛ فهذا ظنٌّ لا يغني من الحق شيئاً.

وحتى مع تسليمنا بأن ابن إسحاق كان يحمل في قلبه كرهاً لليهود لكونهم محادين لله ورسوله - شأنه في ذلك شأن كلِّ مسلم -؛ فإن هذا الكره ما كان ليجعله يجيد عن الأمانة والعدل، حتى ولو كان مع الأعداء، حيث إنه تربي على آداب القرآن الكريم، والتي منها قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ (٢٠٢).

وكيف يُسَلِّم علماء المسلمين سلفاً وخلفاً بالإمامة لابن إسحاق في علم المغازي والسير لو كان مجروحاً في عدالته وورعه وتقواه؟!!

(٢٠٢) سورة المائدة: ٨، قال ابن كثير: أي لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم؛ بل استعملوا العدل في كل أحد، صديقاً كان أو عدواً. تفسير القرآن العظيم ٣١ / ٢.

إن هذا ما كان ليحدث بحال من الأحوال.

ألا يعلم الكاتبُ وأمثاله أنّ الرواة المسلمين - وابن إسحاق من أقطابهم - قد تحرّروا الصواب، وتقوى الله فيما رَوَوْه، فكانت التقوى والورع، ومراقبة الله عاصمةً لهم من الانسياق وراء الهوى، أو التحيز لظروف العصر ومقتضياته على حساب الحق، لاسيما إذا كان الأمر يتعلق بسيرة النبي ﷺ.

وبعد .. فهل يزيد ما ادّعاه "بركات أحمد" عن أن يكون افتراضات وظنوناً وتخمينات لا دليل عليها، ولا حجة ولا برهان؟؟

من أين جمع ابن إسحاق مادته في كتاب السيرة؟

ويشنع الكاتب على ابن إسحاق ويطنع في قيمة كتابه، فيزعم أنّ ابن إسحاق لم يستمد مادته العلمية من مصادر موثوقة، وإنما أدخل فيها مادة غير صحيحة، ليس لها مصدر يوثق به.

وذهب يدّعي أنّ ابن إسحاق أدخل في السيرة مادة ملفقة من القصص الشائع والأفكار السائدة في عصره، كما يجعل روايته عن أبناء اليهود الذين أسلموا مما يضعف ويقلل من درجة الثقة في سيرته. ولنتابع معه عرض دعاواه بهذا الخصوص، والتي لا سند لها إلا الافتراضات والتخمينات كعادته - ترسماً منه لخطى أساتذته المستشرقين ومنهجهم -، إذ يقول: (والحالات التي لم يكن ابن إسحاق يورد فيها إسناداً هي أولاً الحالات التي تتعلق بمادة "معروفة وثابتة

بصورة تغنيه عن تقديم إسناد "، وهي الحالات التي يستمد فيها معلوماته من القصص الشائع والمادة التقليدية التي كان كُتِّبَ السيرة والمغازي يطوِّعونها لمفاهيمهم الخاصة، والتي كانوا يضيفون إليها نتائج بحوثهم الخاصة.

لذلك فلنا أن نفترض أن عدم وجود إسناد بالنسبة لبعض الأحداث الكبرى المتعلقة ببني قريظة ومعظم الأحداث المهمة في خير يفيد أن ابن إسحاق استمد مادته بشأنها من "القصص الشائع" ويحق لنا أن نتذكر هنا اتهام الإمام مالك لابن إسحاق بأنه يروي غزوات الرسول ﷺ نقلاً عن أبناء اليهود الذين أسلموا، والذين حفظوا قصص بني النضير وبني قريظة وخير) (٢٠٣).

وقد كرر نفس المضمون في مواضع عدة من كتابه (٢٠٤).

إن هذا الكاتب قد أدخل رأسه في أوهام، أو أدخل أوهاماً في رأسه، ويريد أن يجعل منها حقائق!!
ونحن لا نرى أماناً حججاً علمية حتى نناقشها؛ وإنما فقط دعاوى عريضة، عارية عن الدليل والبرهان، ومزاعم أبعد ما تكون عن الواقع.

(٢٠٣) محمد واليهود، ص ٣٤.

(٢٠٤) يُنظر - على سبيل المثال - صفحات: ٣٦، ١٠٨، ١٣٣، ١٣٥.

أمثلة من القصص الشائع في عصر ابن إسحاق - في نظر الكاتب :-

ويوفّر علينا الكاتب كثيراً من الوقت والجهد، فلم يلبث أن فصّح نفسه، وذكر أمثلة للأفكار التي كانت سائدة في عصر ابن إسحاق - بحسب زعمه - .

ومن حظه العاثر أنّ هذا الذي زعم أنه أفكار وقصص شائعات كانت سائدة في عصر ابن إسحاق، ما هو إلا حقائق أخبر بها القرآن الكريم، سنشير إليها الآن.

في معرض تكذيبه لرواية صحيحة، وردت بشأن بني قريظة؛ يقول "بركات أحمد": (ومن المحتمل استناداً إلى هذه الإشارات الثلاثة التي تسبق الرواية الأصلية لأحداث بني قريظة، أن يكون ابن إسحاق قد تأثر بالأفكار التي كانت سائدة في عصره بشأن اليهود، أي أنهم - أو على الأقل أحبارهم - كانوا يعرفون قبل ميلاد الرسول ﷺ أن نبياً سيبعث بين العرب، وأن أحبارهم أخبروا مشركي قريش، بالرغم من ذلك أن دينهم أفضل من دين الرسول الذي يؤمن مثلهم بإله واحد) (٢٠٥).

ألم يعلم الكاتبُ الجهولُ أنّ القول بأن أحبار اليهود كانوا على علم بمبعث الرسول ﷺ، وأنهم كانوا يعرفون أنّ زمن النبي المرتقب قد

(٢٠٥) السابق، ص ١٣٣ .

أطلّ، ليس من الأفكار التي كانت وليدة عصر ابن إسحاق؛ وإنما هي من الحقائق التي ذكرها الله في القرآن المجيد؟!

أوليس قد قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٢٠٦).

وقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٢٠٧).

وقال جل شأنه: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٢٠٨).

وفي شأن إخبار اليهود بأن دينهم أفضل من دين محمد ﷺ، وأنهم - على حالهم من الكفر - أهدى ﷺ منه طريقاً، نزل قوله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾؟؟؟ (٢٠٩).

(٢٠٦) سورة البقرة: ٨٩.

(٢٠٧) سورة البقرة: ١٤٩.

(٢٠٨) سورة الأنعام: ٢٠.

(٢٠٩) سورة النساء: ٥١، وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٥١٣، وأسباب النزول، علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ص ١١٤ - ١٥٥، مطبعة الأنوار المحمدية - القاهرة ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م.

فهل يعلم "بركات أحمد" أن هذا إخبار الله تعالى في القرآن، قبل أن يأتي عصرُ ابن إسحاق، وأنه تعالى أوحى به لرسوله ﷺ أم لا يعلم؟ إن كان لا يعلم فما أجهله ..

وإن كان يعلم ويتجاهل فما أخبثه ..

الرواية عن أبناء اليهود الذين أسلموا:

وأما رواية ابن إسحاق عن بعض أبناء اليهود الذين أسلموا؛ فإن الكاتب يجعل من هذا مطعناً في حجية سيرة ابن إسحاق، ويعتز كثيراً بانتقاد الإمام مالك له في هذا الأمر.

ونحن نقول له: هوّن عليك؛ فإن النقل عن أهل الكتاب قد أجازته العلماء فيما لا يتعارض مع القرآن والسنة.

وابن إسحاق في روايته عن أهل الكتاب له حجة بأن النبي ﷺ قد رخص في التحديث عن بني إسرائيل، فيما لا يتصادم بكتاب أو سنة، ولا يتعارض مع أصل من أصول الإسلام.

عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» (٢١٠).

ثم هل يُنكر "بركات أحمد" على "ابن إسحاق" روايته عن أسلم من

(٢١٠) رواه البخاري في ك الأنبياء، ب ما ذكر عن بني إسرائيل، فتح الباري ٦/ ٥٧٢، رقم ٣٤٦١.

أبناء اليهود لأمرٍ شرعيّ؟

كلا ..

إنه يشكك في مصداقية ما يُخبرون به، فهو يطعن في عدالتهم بأسلوب غير مباشر؛ حيث يقول - معقّباً على إيراده اتهام "ابن إسحاق" بأنه يروي عن أولاد اليهود الذين أسلموا :-

"وهذا الاتهام - كما سنرى حين نعرض لمختلف الروايات التي أوردها ابن إسحاق - لم يكن بغير أساس، وإذا كان صحيحاً أنّ مَنْ يتحولون من دين إلى دين ليسوا بالضرورة محل شبهة، فإنّ من واجب المؤرّخ أن يتحرى ما يجيء على لسانهم تحرياً دقيقاً.

وحقيقة تحولهم إلى الدين الجديد تعني أنهم - إن كان إيمانهم بالدين الجديد صادقاً - كانوا لا يُقرّون موقفَ أبناءِ ملتهم الأول، ولا سياستهم ولا عملهم، أمّا إذا كانوا قد أُجبروا على اعتناق الدين الجديد إجباراً، فقد كان من حسن السياسة أن يتبرأوا مما صدر عنهم من أعمال.

ومهما يكن من أمر فإن منحاهم في تذكّر ونقل أحداث ماضيهم أو ماضي أسلافهم الذين كان لهم دور مباشر في النزاعات التي قامت بينهم وبين إخوانهم في الدين الجديد، يُعقّد بصورة غير مقصودة - وأحياناً عن قصد - مهمة التحقق من صحة الوقائع" (٢١١).

(٢١١) محمد واليهود، ص ٣٢.

وقال أيضاً: "وللمرء أن يتساءل: وما بأل الذين كانوا يزودونه [يعني ابن إسحاق] بالمعلومات، هل كانوا على علم بهذه الأحداث؟ ألم تكن حالتهم النفسية تجعلهم يحاولون التفوق في الولاء على مَنْ أسلموا من العرب بتنميق ما يذكرونه عن يهود المدينة؟" (٢١٢).

فانظر إلى هذا الطعن في الرواية عمن أسلم من أبناء اليهود؛ حيث إنه يقرر أنهم إن كانوا صادقين في إسلامهم، فالمحتمل أنهم ينكرون أفاعيل أسلافهم، ويتحاملون عليهم، وإن كانوا غير صادقين في إسلامهم، فالمرجح أنهم يُظهرون التبرُّوَّ مما صدر عن أسلافهم من أعمال وتصرفات، ثم يدَّعي أن وجودهم في الرواية يُعقد من مهمة المؤرخ في التحري والاستيثاق من صحة الرويات.

والواقع أن أخذ "ابن إسحاق" عمن أسلم من أهل الكتاب من بني قريظة وغيرهم لا يُعقد - بأي حال - من مهمة المؤرخ في التحقق من صحة الوقائع والأحداث - كما يزعم الكاتب - لأن منهم مَنْ أسلم وحسن إسلامه، وشرف بصحبة النبي ﷺ، فهو حينئذ لم يشهد إلا بالحق، ولا يروي إلا الصدق.

وإذا ذكرنا أن الذين روى عنهم ابن إسحاق من أبناء اليهود الذين أسلموا لم يتفردوا برواية ما رَوَوْه من أحداث، وإنما شاركهم وصدقهم في روايتها كثيرون سواهم ممن لم يكونوا من أهل الكتاب

(٢١٢) السابق، ص ٣٠.

الذين أسلموا؛ فلم يكن لتشككه أيُّ مسوِّغ على الإطلاق.

بل نستطيع أن نقول - بحق -: إن الرواية عن أولاد اليهود الذين أسلموا مثل "عبد الله بن سلام"، و"عطية القرظي"، وأمّ المؤمنين "صفية بنت حُييِّ بن أخطب" زوج النبي ﷺ، وغيرهم، ليس مما يُعاب على ابن إسحاق بسببه، ويُقلَّل من مصداقية سيرته، وإنما هذا من باب الرواية عن شهود العيان الأثبات، وعليه فيكون هذا مما يحسب له، وليس مما تُسوِّد به صحيفة اتهامه، ويُتخذ سبيلاً للتشكيك في مصداقيته.

رابعاً: تضليل ومغالطات حول تاريخ تدوين السيرة النبوية

لم يكن ابنُ إسحاق أولَ مَنْ دَوَّن السيرة النبوية، بل سبقته مدوّنات على درجة عالية من التوثيق، وعن هذه المصادر نقل ابنُ إسحاق، وأفاد منها ومن العلماء الأثبات كالزُّهريِّ وأمثاله.

ولقد حاول صاحب كتاب "محمد واليهود" مع أساتذته المستشرقين أن يطعنوا في السيرة؛ بالزعم بأنها لم تكن قد دُوّنت إلا في عصر- ابن إسحاق، أي بعد وقوع أحداثها بما يزيد على مائة عام، ومن ثم تكون فقدت كثيراً من مصداقيتها - بزعمهم -.

ففي معرض حديثه عما أسماه ثورات اليهود في صدر الدولة العباسية، وهو عصر ابن إسحاق، يذكر أن السيرة لم تكن قد كتبت، فيقول: (وفي وقتٍ ما خلال هذه الفترة ولكن قبل أن تكتب السيرة،

ظهر يهودي ثانٍ ادَّعى أنه المسيح في المركز اليهوديِّ بأصفهان الذي كان قوياً... (٢١٣).

وفي سياق تشكيكه في بعض الأخبار التي أوردها ابن إسحاق تتصل بعلاقة الرسول ﷺ باليهود، يقول:

(إن للمرء أن يقرر في هذا السياق ما خلص إليه اللورد "راجلان" بعد دراسة متمعنة من أن "أي حقيقة عن شخص، ما لم تسجل خلال مائة سنة من وفاته حقيقة ضائعة"، وهناك حقيقة أخرى هي أن "كل حدثٍ من الأحداث يبدأ في التبدد مجرد حدوثه" (٢١٤).

والحق أن مَنْ له أدنى اطلاع على حركة التأليف في السِّير والمغازي يلحظ أن هناك مؤلِّفين كانوا قبل عصر- ابن إسحاق، واشتُهِروا بالكتابة في السيرة ومغازي رسول الله ﷺ، ومنهم مَنْ عاصرَ أحداثها، وكان لهم مؤلِّفات في هذا المجال، ومن تلك المؤلفات أفاد ابن إسحاق.

وقد أجاد "فؤاد سيزكين" في الحديث عن هذا الأمر، وما كتبه يُعدُّ ردًّا شافياً على تشكيك ومزاعم "بركات أحمد" وأساتذته، ويعدُّ - في ذات الوقت - فضحا لجهله وجهل أساتذته.

يقول فؤاد سيزكين: لقد كان النزوع إلى جمع المعارف وحفظها من

(٢١٣) محمد واليهود، ص ٢٩.

(٢١٤) محمد واليهود، ص ٤٢، وانظر في ذات المضمون ص ١٥٢.

الضياع متعددَ الجوانب، بدأ في فترةٍ كان فيها عددٌ كثيرٌ من الصحابة لا يزالون على قيد الحياة.

من مصادر الواقدي كتاب بخط مؤلفه الصحابيِّ "سهل بن أبي حثمة" الأنصاريِّ، وكان الكتاب في حوزة حفيده أو حفيد حفيده محمد بن يحيى بن سهل.

واستخدم الواقديُّ كتاباً من عصر- الصحابة كان في حوزة حفيد مؤلفه، واسمُ هذا الحفيد أبو عمرو بن حريث العذريِّ، وفيه - فيما يبدو - حوادث مهمة متعلقة بحياة النبي في أسرته.

وكان كتاب الصحابي المشهور سعد بن عبادة (المتوفى ١٥هـ - ٦٣٦م) عن سنن الرسول في أحكامه، لا يزال معروفاً في القرن الثالث الهجري، وكان هذا الكتاب - على الأرجح - أساس كتاب ابنه سعيد، وغير مؤكَّد كونُ هذا الابن صحابياً، وكانت نسخة من هذا الكتاب بخط مؤلفه موجودة في أوائل القرن الثاني الهجري لدى حفيده سعيد بن عمرو، ومن بين التابعين سار "شرح حبييل بن سعيد" على سنة أسرته في التأليف في المغازي.

ويتضح من خبر للزُّهريِّ أن كتب المغازي كانت منتشرة في وقت مبكر، وأن عبد الملك بن مروان (٦٥هـ / ٦٨٥م - ٨٦هـ / ٧٠٥م) قد أمر بحرق كتاب في المغازي وجدّه بيد أحد أبنائه، فقد كان ابنه يميل

إلى مطالعته أكثر من مطالعة القرآن والسنة^(٢١٥).

إنَّ السيرة النبوية - كما ذكر "سيزكين" - تُعدّ من أقدم أشكال التدوين التاريخي عند المسلمين، وأنَّ عدداً من المؤلِّفين في القرن الأول الهجري قد اهتموا بالتأليف.

ومن هؤلاء المؤلِّفين القدامى سعيد بن سعد بن عبادة الخزرجي المولود في حياة الرسول ﷺ، وسعيد بن المسيب (١٣هـ - ٦٣٤م - ٩٤هـ - ٧١٣م)، وعبيد الله بن كعب المتوفي (٩٧هـ - ٧١٥م أو ٩٨هـ)، وعامر بن شرحبيل الشعبي (١٩هـ - ٦٤٠م - ١٠٣هـ - ٧٢١م)، وأبان بن عثمان المتوفي بين عام (٩٦هـ - ١٠٥هـ) على خلاف في ذلك، وعروة بن الزبير المتوفي سنة (٩٤هـ)، وعاصم بن عمر بن قتادة المتوفي سنة (١٢٠هـ - ٧٣٧م)، وابن شهاب الزهري المتوفي سنة (١٢٤هـ - ٧٥٨م)، وكتابه في المغازي مشهور، حتى إنه ليُعدَّ أكبر مؤلِّف جامع في العصر- الأموي^(٢١٦).

هؤلاء المؤلِّفون وغيرهم قد دونوا المغازي والسير، ونقلوها عن الصحابة الذين عايشوها وشهدوها، وكانوا مشاركين في حوادثها

(٢١٥) تاريخ التراث العربي، فؤاد سيزكين، المجلد الأول، الجزء الثاني ص ٢٠ - ٢٤ باختصار، وفيه مراجعه، ترجمة د. محمود فهمي حجازي، جامعة الإمام محمد بن سعود - السعودية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(٢١٦) السابق، نفس المجلد والجزء ص ٦٥ - ٨٧ باختصار وتصرف، وفيه مراجعه التي أخذها عنها.

ووقائعها، وعنهم ومن مؤلفاتهم استقى ابن إسحاق.
ومما سبق يتضح لنا أن تشكيك بركات أحمد وأساتذته المستشرقين
في مصداقية وحجية السيرة النبوية، بزعم أنها لم تُكتب إلا بعد مرور
أكثر من مائة عام على أحداثها، ليس له أساس من الصحة، وتدحضه
البحوث العلمية الموثقة.

وبالإضافة إلى حقيقة أن السيرة النبوية قد دُوِّنت قبل عصر- ابن
إسحاق، هناك حقيقة أخرى تضيفي قوة وحجية على عمل ابن
إسحاق ونُظرائه؛ ألا وهي أن العرب كانوا ذوي حافظات قوية، وذاكرة
واعية، يتميزون بذلك عن باقي الأمم، لأن الأمية الحرفية - بمعنى
عدم القراءة والكتابة - كانت فاشية فيهم، فكان المعول على الحفظ
والاستظهار.

ثم إن اهتمامهم بتعليم ونشر المغازي والسير، وتوريث هذا العلم
للناشئة بأيدي أساتذة أكفاء كان ملحوظاً.

قال عليُّ بنُ الحسين: "كنا نُعلِّمُ مغازيَ النبي ﷺ وسراياه، كما نُعلِّمُ
السورة من القرآن" (٢١٧).

وهكذا نرى أن ثبوت تدوين السيرة النبوية ووجود مؤلفات
موثوقة فيها قبل عصر- ابن إسحاق، وتميُّز العرب بذاكرة قوية،

(٢١٧) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي
(المتوفى ٤٦٣ هـ) ٢ / ١٩٥، تحقيق د. محمود الطحان، مكتبة المعارف - الرياض، البداية
والنهاية ٢٤١ / ٣.

بالإضافة إلى اهتمام المسلمين الأوائل بتعليم المغازي وتعلمها خلفاً عن سلف؛ كلُّ هذا قد أسهم في إيجاد مناخٍ علميٍّ، وجوٍّ ثقافيٍّ واعٍ، أعان على تدوين السيرة النبوية بأدق ما يكون التوثيق، وهياً الظروف لتكون أدعى لإنصاف الحقيقة، والحفاظ عليها من التبدد والضياع. وهذا ما نراه واقعا، ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾^(٢١٨).

رابعا: التشكيك في وقوع حروب بين الرسول ﷺ واليهود

بل لقد ذهب الشطط بكاتب "محمد واليهود" إلى ادعاء أن ما وَرَد بشأن غزوات النبي ﷺ مع اليهود، وحربه لهم، وما حل بهم من هزائم في تلك الغزوات، لم يكن صدقاً، وأن قصص تلك الحروب والغزوات لُفِّت بقصد إرهاب كلِّ مَنْ تُسَوَّل له نفسه من اليهود بمناوأة الدولة العباسية، وأنها كانت عبارة عن رسالة موجهة إلى الخارجين على الدولة من اليهود، بأنهم سيَلْقَوْنَ نفس مصير بني قريظة وبني النضير.

يقول "بركات أحمد": إن هناك من الأسباب ما يُغري بافتراض أن قصص بني قينقاع وبني النضير، وكذلك بني قريظة أولاً وقبل كل شيء، لم تكن جزءاً من مغازي الرسول ﷺ، بقدر ما أريد لها أن تكون إنذاراً موجَّهاً لليهود الإمبراطورية العباسية (بأنه إذا جاء ابن عيسى

(٢١٨) سورة الأنعام: ٣٣.

آخر فستتأصل شأفتكم كما استؤصلت شأفة بني قريظة) (٢١٩).

ويشير إلى أن ما رواه المؤرخين المسلمون بخصوص أحداث النزاع بين الرسول ﷺ واليهود، قد شابه التحريف، واكتنفه التجاوز، وابتعد عن الدقة، فيقول في موضع آخر:

(لقد نشأت عن تكرر ذكر اليهود في القرآن الكريم، وتفسير المفسرين الأوائل، وتزايد المعاملات ونمو الشريعة الإسلامية، وعمّا حدث من تجاوز في رواية أحداث النزاع بين الرسول ﷺ ويهود يثرب صورة للخلافات الدينية بين المسلمين واليهود يشوبها التشويه والتحريف) (٢٢٠).

ثم يقول: (إن الصدام الفعلي بين المسلمين واليهود لم يحدث والرسول ﷺ على قيد الحياة، وإنما في فترة لاحقة، وكتاب السيرة، ورواية المغازي ومفسر القرآن وجامعوا الحديث قرءوا "العهد القديم" وكتابات اليهود، واعتبروا الرسول ﷺ هو المقصود بكل ما وجدوه مناسباً فيها من إرهابات) (٢٢١).

أهكذا تقرر حقائق التاريخ، وبمثل هذا أيضاً تُنقض؟!
وبتزيير كاتب مدلس تطغى الخيالات على الواقع، وتحل

(٢١٩) محمد واليهود، ص ٣٠.

(٢٢٠) السابق، ص ٢٠٢.

(٢٢١) محمد واليهود، ص ٢٠٥.

الافتراضات محل الحقيقة؟!!

إن كان ذلك كذلك فعلى الدنيا العفاء.

وأى منهج علمي يسير عليه هذا الكاتب المستأجر لهدم تاريخنا،
والتشكيك في حقائقه وثوابته؟

ثم إنه يتهم كافة علماء الأمة - على اختلاف تخصصاتهم - بأنهم
اختلفوا ما يُسمى بوقوع أحداث تصادم بين الرسول ﷺ واليهود.
وعلى هذا فالرواة المسلمون كلهم - في ظنه السيء، ونظره المختل -
كذابون؛ لأنهم ادّعوا أن ثمة صداماً جرى بين المسلمين واليهود في
حياة الرسول ﷺ، والعلامة "بركات أحمد" ينفي أن يكون شيء من
هذا قد وقع!!

فهل تواطأت الأمة كلها على هذا الكذب المزعوم بشأن رواية
أحداث تصادم بين المسلمين واليهود في عصر النبي ﷺ، ثم جاء
وحيد القرن، وفريد العصر، وأعجوبة الزمان، صنيعة المستشرقين
وعميلهم "بركات أحمد"، ليكشف هذا التزوير، وينقذنا من الغفلة أو
التغافل عنه، ويعلن رفع الثقة بعلماء المسلمين، الذين رووا غزوات
النبي ﷺ مع اليهود، أو ما يسمى بأحداث صدام فعلي بين المسلمين
واليهود في حياة النبي ﷺ، كان على أثره أن أجلاهم من المدينة؟!!
إن هذا شيء عجيب، وما سمعنا به في الأولين، ولا في المتأخرين.
أهذه هي النظرة الجديدة التي طلع بها صاحب كتاب "محمد

واليهود نظرة جديدة"؟

حقاً إنها نظرة جديدة، ولكنها من أعشى، مطموس البصيرة، ينظر ولكنه لا يبصر، وصدق الله القائل: ﴿وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (٢٢٢).

ولو أن "بركات أحمد" قد رزق نظرة سليمة من الغشاوة التي تحجب أشعة الإنصاف من الوصول إلى القلب، لأدرك أن تشكيكه في غزوات النبي ﷺ مع اليهود، ونفيه حدوث صدام فعلي بين الرسول ﷺ واليهود، لا يقوم على أساس من الصحة، وأن اتهامه للمؤرخين المسلمين بتلفيق كل هذا؛ إنما هو اتهام مغرض، وساقط.

ويكفي لبيان فساد رأيه، وبطلان تشكيكه ونفيه لتلك الأحداث، أن نشير إلى أن القرآن الكريم ذاته قد سجّل وأكد وقوع صدام فعلي بين المسلمين واليهود، في عصر النبي ﷺ، ومن الأمثلة على هذا سورة الحشر، التي تضمنت حديثاً عن الصدام مع يهود بني النضير، وأن الله تعالى مكّن المسلمين من قهرهم وإجلالهم من المدينة، حيث يقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُجْرِبُونَ بِيوتِهِمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ * وَلَوْ لَا أَنْ

(٢٢٢) سورة الأعراف: ١٩٨.

كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَابِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ *
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ *
مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ
الْفَاسِقِينَ ﴿٢٢٣﴾ .

وفي سورة الأحزاب إشارة إلى غزوة بني قريظة، وما حل باليهود فيها جزاء مظاهرهم للأحزاب، فيقول تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا * وَأَوْرَثَكُم أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ (٢٢٤).

فماذا يقول الكاتب صاحب النظرة العشوائية، فيما سجّله كتاب ربّ الأرض والسماء، من وقوع صدام بين المسلمين واليهود في حياة خاتم الأنبياء؟؟

سادسا: ادعاء أن الهجرة النبوية كانت هروبا

ومن منطلق نظرة "بركات أحمد" إلى السيرة النبوية على أنها سيرة إنسانية لا صلة لها بالوحي الإلهي، ومن منطلق الحديث عن النبي ﷺ بصفته بشرا عاديا، متجاهلا خاصية الوحي في سيرته ﷺ - كما هي عقيدة المستشرقين - وتابعهم فيها تلميذهم الوفي لهم؛ ذكر أن الهجرة

(٢٢٣) سورة الحشر: ٢ - ٥ .

(٢٢٤) سورة الأحزاب: ١٦ - ٢٧ .

النبوية المباركة كانت فراراً من الكفار، من غير أن يشير إلى أية صلة لها بالوحي الإلهي، فقال: "لقد فرّ رسولُ الله ﷺ من اضطرهاد مكة إلى أمن يثرب" (٢٢٥).

وهذه النظرة المختلة لحادث الهجرة على أنه تصرف إنسانيٍّ محض، لا يعدو كونه هروبَ شخصٍ مطلوبٍ من أعدائه، لم تكن نظرةً مبتكرةً من "بركات أحمد"؛ بل سبقه بها المستشرقون، ثم تابَعهم عليها. وممن قال بها المستشرق "ألويس اشبرنجر" في كتابه عن حياة محمد، حيث أطلق على الهجرة "الهروب إلى المدينة" (٢٢٦).

وكذلك المستشرق الألماني المعروف "نولدكه" في كتاب له أيضاً عن "حياة محمد"، حيث قسّم كتابه إلى سبعة فصول، وجاء عنوان الفصلين الثاني والثالث هكذا:

الفصل الثاني: من الظهور النبوي حتى هروبه إلى المدينة.

الفصل الثالث: من الهروب حتى موقعة أحد (٢٢٧).

وهكذا يجلو للمستشرقين ومَن لَفَّ لِقَهُم وسَلَّكَ مَسَلَكَهُم مثل "بركات أحمد" أن يَصِمُوا الهجرة النبوية بأنها كانت هروباً وِفْراراً.

(٢٢٥) محمد واليهود، ص ١٠٤.

(٢٢٦) يُنظَر: الإسلام في تصورات الغرب، د. محمود زقزوق ص ١٦٤، مكتبة وهبة - القاهرة، ط الأولى ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م.

(٢٢٧) السابق، ص ١٦٦.

وهذا مجافٍ للحقيقة، ومنافٍ للواقع، فما كانت الهجرة فرارًا، ولو كانت كذلك فلماذا تأخر هذا الفرار - المزعوم - مع وجود الدواعي الملحة إليه؛ حيث إن النبي ﷺ قد بقي ثلاثة عشر - عاماً يقاسي فيها صنوف الأذى، وألوان الاضطهاد هو ومن آمن معه، منذ صدع بأمر ربّه، وجهر بدعوته؟!!

وقد نصح أصحابه الذين لم يتحملوا عنت الكفار وعدوانهم الغشوم ضدّ كلّ من آمن بالإسلام، بأن يهاجروا إلى الحبشة لأن فيها ملكاً عادلاً، لا يُظلم في جواره أحد، وهاجروا إليها هجرتين، كما هو ثابت في كتب السيرة، ومُنِع هو نفسه من دخول مكة بعد عودته من رحلة الطائف، فلم يستطع دخولها إلا في جوار المطعم بن عديّ، فلماذا لم يغتنم الفرصة هو الآخر، ويفرّ مع أصحابه، لو أنّ الأمر كان أمر هروب، وتصرف رجلٍ مُنبِتٍ عن الوحي الإلهي؟!!

والجواب أن النبي ﷺ قد بقي في مكة طوال تلك الفترة، ولم يخرج منها، لأن الله لم يكن قد أذن له بالهجرة بعد، فلما جاء الإذن من الله بالهجرة هاجر، وترك أحبّ البقاع إلى نفسه، ليس فراراً؛ وإنما امتثالاً لأمر ربّه، الذي أعلمه كذلك أنه سيهاجر، وأخبره بموطن هجرته، قبل أن يأتي أوائلها.

وهذا ما صحّت به الروايات.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ فَأُمِرَ بِالْهَجْرَةِ، وَأُنزِلَ عَلَيْهِ: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ

وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صَدَقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴿٢٢٨﴾ .
وعن أبي موسى عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَهَاجِرُ
مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ، فَذَهَبَ وَهَلِي إِلَى أَنَّهَا الْيَمَامَةُ أَوْ هَجَرُ،
فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يَثْرِبُ» (٢٢٩) .

ورؤيا الأنبياء حق ووحى من الله بإجماع أهل العلم.
وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - من حديث طويل - ... فَقَالَ النَّبِيُّ
ﷺ: «إِنِّي أَرَيْتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لَابَتَيْنِ»، وَهُمَا
الْحُرَّتَانِ، فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قَبْلَ الْمَدِينَةِ، وَرَجَعَ عَامَّةٌ مَنْ كَانَ هَاجِرًا
بِأَرْضِ الْحُبَشَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَتَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ قَبْلَ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَى رِسْلِكَ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤَذَّنَ لِي»، فَقَالَ أَبُو
بَكْرٍ: وَهَلْ تَرْجُو ذَلِكَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي؟ قَالَ: «نَعَمْ» (٢٣٠) .

فهذه النصوص الصحيحة وأمثالها تنطق صراحة بأن الرسول ﷺ
مَا هَاجَرَ فِرَارًا أَوْ هَرُوبًا؛ وَإِنَّمَا هَاجَرَ بِوَحْيٍ مِنَ اللَّهِ وَأَمْرٍ مِنْهُ سَبَّحَانَهُ .

(٢٢٨) رواه الحاكم في المستدرک ٣/١ وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، وأحمد في
المسند ١/٣٦٨، رقم ١٩٤٩، والآية من سورة الإسراء: ٨٠ .
(٢٢٩) رواه البخاري في ك مناقب الأنصار، ب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، فتح
الباري ٧/٢٦٧، ومعنى «وهلي»: ظني .
(٢٣٠) رواه البخاري في ك مناقب الأنصار، ب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، فتح
الباري ٧/٢٧١، ٢٧٢، والحرّة: الأرض ذات الحجارة السود .

سابعاً: التشكيك في أن الله أيد رسوله ﷺ في غزواته بالمعجزات

ثم إنَّ الكاتب يتجاهل تماماً عمَل القدرة الإلهية، ويشكك في تأييد الله تعالى للرسول ﷺ بالمعجزات والخوارق في غزواته. فقد تجاهل هذا الأمرَ عند حديثه عن غزوة الأحزاب^(٢٣١)، بل وشكَّك فيه صراحةً، فقال ما نصه:

"وقد عَقَّد كتابُ السيرة المسلمون بحديثهم المبالغ فيه عن جوانب الإعجاز في غزوات الرسول من مهمة المؤرخ في التعرّف على القوة الحقيقية لمن كانوا يظهرون الرسول ﷺ ومن كانوا يحاربونه"^(٢٣٢).

ألا فليعلم الكاتب أن وقوع المعجزات في غزوات الرسول ﷺ - بتأييد من الله تعالى - أمر حقيقيّ ثابت، وليس حديثاً مبالغاً فيه من إنشاء واختراع المؤرخين وكتّاب السيرة المسلمين.

ومن سوء حظّه أن صريح القرآن الكريم يهدم كلامه، ويبدّد تجاهله للحقيقة، ويدحض تشكيكه في أمر من خصائص النبوة والرسالة، ألا وهو المعجزات.

إنَّ القرآن الكريم هو الذي تحدث عن جوانب عظيمة من الإعجاز في غزوات الرسول ﷺ ضد أعدائه ومن كانوا يحاربونه.

(٢٣١) يُنظر: محمد واليهود، ص ١٣١.

(٢٣٢) السابق، ص ١٠٤.

ومن ذلك قوله تعالى في الحديث عن غزوة الأحزاب: ﴿يَأَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا
عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ (٢٣٣).

وفيما أيد الله به الرسول ﷺ والمسلمين في غزوة بدر من معجزات،
قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ
رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلاَفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ . بَلَى إِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا
وَيَأْتِيَكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمِدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلاَفٍ مِنَ
الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ . وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ
قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ . لِيَقْطَعَ
طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَسِبْتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾ (٢٣٤).

ويقول سبحانه: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النَّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنزِّلُ
عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رَجْزَ
الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ . إِذْ يُوحِي رَبُّكَ
إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ
كَفَرُوا الرَّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ . ذَلِكَ
بِأَنَّهَمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
العِقَابِ﴾ (٢٣٥).

(٢٣٣) سورة الأحزاب: ٩.

(٢٣٤) سورة آل عمران: ١٢٣-١٢٧.

(٢٣٥) سورة الأنفال: ١١-١٣.

ويقول سبحانه: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ . وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَیْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيَقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ - اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ (٢٣٦).

وفي إمداد الله الرسول والمؤمنين وتأبيده لهم بجنود من عنده في غزوة حنين، يقول الله عز وجل: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ . ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ (٢٣٧).

وهكذا يتعامى الكاتب عن تلك الآيات القرآنية الصريحة وأمثالها، ويزعم أن كتاب السيرة المسلمين هم الذين اخترعوا قصص المعجزات التي حدثت في غزوات الرسول ﷺ، وبالغوا في حديثهم عنها، لغرض في نفسه، وهو التشكيك والانتقاص من قدره ﷺ.

ثامنا: إثارة الشكوك حول صحيفة المدينة

ومما اتفق عليه المؤرخون وكتاب السيرة أن الرسول ﷺ بعدما هاجر إلى المدينة واستقر بها كتب كتاباً نظم فيه العلاقات داخل المدينة

(٢٣٦) سورة الأنفال: ٤٣ ، ٤٤ .

(٢٣٧) سورة التوبة: ٢٥ - ٢٦ .

المنورة، وتضمن بنوداً تتعلق بالمسلمين، وأخرى تتعلق بالكفار، وثالثة تتعلق باليهود، وهذا الكتاب (عُرِفَ في المصادر القديمة باسم "الكتاب" و "الصحيفة"، وأسماه الكُتّاب المحدثون "الدستور" أو "الوثيقة")^(٢٣٨).

وقد حاول صاحب كتاب "محمد واليهود" أن يثير الشبهات والشكوك حول تاريخ كتابة هذه الصحيفة.

وتتلخص تشكيكاته في أن الصحيفة لم تكتب عقب وصول الرسول ﷺ إلى المدينة، ولا في السنوات الأولى من إقامته ﷺ فيها^(٢٣٩).

ويحاول بإصرار أن يثبت أنها كُتبت بعد غزوة بني قريظة^(٢٤٠)، بل لقد زعم أنها كتبت قبيل فتح مكة^(٢٤١).

وللمرء أن يتساءل عن الهدف من تشكيك الكاتب في أن الصحيفة كُتبت عندما استقر النبي ﷺ في المدينة، ومحاولته إثبات أنها كتبت بعد غزوة بني قريظة، أو قبيل فتح مكة.

والذي يظهر أنه يهدف من وراء هذا إلى أن اليهود حينما أجلاهم

(٢٣٨) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، د. مهدي رزق الله أحمد ص ٣٠٦، مركز

الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - السعودية، ط الأولى ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م.

(٢٣٩) يُنظر: محمد واليهود ص ٧٣، ٧٤، ٨٤، ٩٠.

(٢٤٠) السابق، ص ٨٥، ٩١.

(٢٤١) محمد واليهود، ص ٩٥.

رسول الله ﷺ من المدينة لم يكن هذا بسبب نقضهم لعهودهم أو إخلالهم بميثاقهم مع الرسول ﷺ والمسلمين، حيث لم يكن ثمّ - في نظره - معاهدات، ليخلص من هذا إلى أنّ ما نسب إلى اليهود من نقض العهود مع الرسول ﷺ، وأنهم بسبب ذلك طُردوا من المدينة، غير صحيح، وهذا كله سعيًا منه لتجميل صورة اليهود في صدر الإسلام، وتبرئتهم من أحد أخلاقهم الذميمة، وهو خيانة العهود، والغدر، ونقض المواثيق، ولكن هيهات؛ فما كان عامّة اليهود لِيَدْرُوا خيانة العهود والتنكر للمواثيق، حتى تَدَرَ العقاربُ والأفاعي لَدَغُهَا، وَتَكُفَّ البُومُ عن نعيقها، أو الحمير عن نهيقها، وصدق الله القائل: ﴿أَوْكَلَمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٢٤٢).

(٢٤٢) سورة البقرة: ١٠٠.

بل إن التراث الفكريّ الدينيّ اليهوديّ لا يُعتبر اليهود ملزّمين بالوفاء بأيّ عهد أو يمين قطعوه على أنفسهم، أو أبرموه مع أيّ إنسان أجنبيّ، ولهذا فإنه متى أتيح للكثيرين منهم أن ينسلخوا من عهودهم ومواثيقهم مع غير اليهود فعلوا ذلك على الفور غير آسفين. جاء في كتاب (الكنز المرصود في قواعد التلمود، للدكتور «أغسطس روهلنج»)، ترجمة د. يوسف نصر - الله، ص ٩٩ : ١٠١ باختصار. دار القلم - دمشق، ط الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م) ما يلي:

لا يُعتبر اليمين التي يُقسّم بها اليهوديُّ في معاملاته مع باقي الشعوب يمينًا؛ لأنه كأنه أقسم لحيوان، والقسم لحيوان لا يعدُّ يمينًا، لأن اليمين إنما جعلت لحسم النزاع بين الناس ليس إلا، فإذا اضطرَّ اليهوديُّ أن يحلف لمسيحيّ فله أن يُعتبر ذلك الحلفَ كلاً شيء!! وفي كل مدة يوجد في مجمع اليهود يوم للغفران العام الذي يُمنح لهم، فيمحو كلُّ ذنب ارتكبه، ومن ضمنها الأيمان الزور، وليس على اليهوديّ أن يرد ما نهبه أو سرقه من =

والواقع أنه لا يوجد أحدٌ ممن يعوّل عليه من الباحثين ذهب إلى ما زعمه "بركات أحمد"، وهو نفسه لم يأت بأدلة علمية قاطعة على ما زعمه، ولم يقدم - كعادته - غير الظنون والافتراضات. وقد قامت دراسات علمية حديثة حول السيرة النبوية - عامة - وصحيفة المدينة - خاصة - في ضوء المصادر الأساسية، وأكدت - بما لا يدع مجالاً للشك - أنّ الصحيفة قد كتبت منذ الوجود المبكر للرسول ﷺ في المدينة، ولم يقل أحدٌ من الباحثين على الإطلاق أنها كانت قبل فتح مكة.

"يرجح أحد الباحثين أن الصحيفة في الأصل صحيفتان، ثم جمّع المؤرخون بينهما: إحداهما تناول موادّعة الرسول ﷺ لليهود، والثانية توضح التزامات المسلمين من مهاجرين وأنصار، وحقوقهم وواجباتهم، وأن صحيفة موادّعة اليهود كتبت قبل موقعة بدر

= الأجنبي لأجل الحصول على ذلك الغفران.

وعلى اليهودي أن يؤدّي عشرين يمينا كاذبة، ولا يعرض أحد إخوانه اليهود لضرر ما، ومن المقرر لديهم أن من يعرف شيئا مضرًا - بصالح اليهودي ونافعًا لأمي فعليّه ألا يُعلم به السلطة الحاكمة، وإذا فعل ذلك ارتكب ذنبًا عظيمًا.

أما يوم الغفران العموميّ فهو اليوم الذي يصليّ فيه اليهود صلاة يطلبون فيها الغفران عن خطاياهم التي فعلوها، والأيمان التي أدوها زورًا، والعهد التي تعهدوا بها ولم يقوموا بوفائها، وتقام هذه الصلاة في محفل عموميّ ليلة عيد، وينطق بها الكاهن الخادم بمساعدة حاخامين، ويحصل ذلك في يوم واحد من كل سنة، ويمكن لليهود أن يتحصلوا على الغفران في أي وقت كان من حاخام واحد، أو ثلاثة شهود. أ.هـ.

الكبرى، والأخرى بعد بدر.

أما ما ورد من نصوص تدل على أن كتابة صحيفة الموادة مع اليهود كانت بعد قتل ابن الأشرف^(٢٤٣)، فإن هذه الكتابة تعتبر إعادة وتوكيداً للكتابة الأولى، والآية: ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾^(٢٤٤)، تشير إلى أكثر من معاهدة بين الرسول ﷺ واليهود، كما فسرهما المفسرون^(٢٤٥).

الاعتراض على وصف الصحيفة بأنها "دستور المدينة":

ويرفض "بركات أحمد" أن توصف الصحيفة بأنها "دستور المدينة"، فيقول:

"والصحيفة التي وقعت بين المسلمين واليهود، والتي وصفت خطأ بأنها "دستور المدينة" وثيقة على جانب كبير من الأهمية... الخ"^(٢٤٦).

وما هذا إلا لأنه ينظر إلى الإسلام بعقلية علمانية تنكر أن يكون له صلة بالسياسة وسائر شئون الناس المعاشية والمعادية، وتريد أن تحصر

(٢٤٣) كان مقتل "كعب بن الأشرف" في السنة الثالثة من الهجرة. (الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري (المتوفى ١٤٢٧هـ)، ص ١٧٦، دار العصماء - دمشق، ط الأولى ١٤٢٧هـ).

(٢٤٤) سورة الأنفال: ٥٦.

(٢٤٥) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص ٣١٣، وفيه مصادره التي أخذ عنها.

(٢٤٦) محمد واليهود، ص ٨٤.

الدين في إطار العلاقة بين الفرد وربه، وتجعله مقتصرًا على الجانب الروحي فقط.

والحق أن تلك النظرة العلمانية، لم تعد تنظلي اليوم على الناس كما كانت من قبل، بعد أن استبان تهافتها، وثبت بطلانها، وانكشفت سوءاتها.

"والواقع أن كلمة (الدستور) هي أقرب إطلاق مناسب في اصطلاح العصر- الحديث على هذه الوثيقة، وهي إذا كانت بمثابة إعلان دستور فإنه شمل جميع ما يمكن أن يعالجه أي دستور حديث، يُعنى بوضع الخطوط الكلية الواضحة لنظام الدولة في الداخل والخارج، أي فيما يتعلق بعلاقة الدولة مع الآخرين.

وحسبنا هذا الدستور الذي وضعه رسول الله ﷺ بوحى من ربه، واستكتبه أصحابه، ثم جعله الأساس المتفق عليه فيما بين المسلمين وجيرانهم اليهود، حسبنا ذلك دليلاً على أن المجتمع الإسلامي قام منذ أول نشأته على أسس دستورية تامة، وأن الدولة الإسلامية قامت - منذ أول بزوغ فجرها - على أتم ما قد تحتاجه الدولة من المقومات الدستورية والإدارية" (٢٤٧).

ويقرر "هيكل" - بحق - أن هذه الوثيقة أو المعاهدة من صميم العمل السياسي، وأنها من "الوثائق السياسية الجديرة بالإعجاب على

(٢٤٧) فقه السيرة. د. محمد سعيد رمضان البوطي، ص ١٥٢، دار الفكر.

مر التاريخ " (٢٤٨).

ثم يقول بعد إيرادِه لبُنودِ الصحيفة: "هذه هي الوثيقة السياسية التي وضعها محمد منذ ألف وثلثمائة وخمسين سنة، والتي تقرر حرية العقيدة، وحرية الرأي، وحرمة المدينة، وحرمة الحياة، وحرمة المال، وتحريم الجريمة، وهي فتح جديد في الحياة السياسية والحياة المدنية في عالم يومئذ، هذا العالم الذي كانت تعبت به يد الاستبداد، وتعيث فيه يدُ الظلم فسادًا" (٢٤٩).

وهكذا نجد أن تشكيك الكاتب في تاريخ كتابة الصحيفة، وتهوينه من قدرها إنما هو من قبيل المزاعم التي لا تقوم على أساس من حقائق العلم، ولا قيمة لها في نظر العلماء.

تاسعا: الكاتب يزعم أن اليهود لم تتبين لهم نبوة محمد ﷺ

ويحاول الكاتب أن يُجمل صورة اليهود - ولو بالكذب -، فإذا به يذكر أن اليهود لم يروا دليلاً على أن محمداً ﷺ نبيٌّ من عند الله، ولم تتبين لهم حقيقة ادعائه ﷺ للنبوة، ويزعم أن من قال غير هذا - خاصة ابن إسحاق - فقد افترى على اليهود الكذب، وتجنّى على الحقيقة !!

(٢٤٨) حياة محمد، د. محمد حسين هيكل ص ٢٣٨، دار المعارف - مصر، ط السادسة عشرة.

(٢٤٩) السابق، ص ٢٤١.

ففي معرض تكذيبه لأحداث غزوة بني قريظة، يقول: " والمستفاد من خطاب كعبٍ طبقاً لصيغة ابن إسحاق أن اليهود كانوا يعرفون أن النبي ﷺ على حق، وأنه كان رسول الله حقاً وصدقاً" (٢٥٠).

ويعقب قائلاً: والبديهي هنا هو أن نبوة محمد "لم تبين لهم"، وأن ابن إسحاق وضع في فم كعب بن أسد "ما تبين له" هو (٢٥١).

ثم يقول: وكان ابن إسحاق وعلماؤه المسلمون الذين جاءوا من بعده يظنون أن اليهود الذين تنبأ أحبارهم بمبعث نبي كانوا في حقيقة الأمر ينتظرون مبعث محمد، وأنهم حين أعلن محمد نبوته جحدوا هذه النبوة عامدين، ولكن يهود الحجاز فيما يبدو لم يروا آية آية، ولم يشهدوا تحقق آية نبوة، وقد ذكر سلام بن مشكم - من بني النضير لمعاذ بن جبل أنه - أي الرسول ﷺ - (ما جاءنا بشيء نعرفه، ما هو بالذي كنا نذكره) (٢٥٢).

فهو يدعي أن القول بأن اليهود قد تبينت لهم نبوة محمد ﷺ، إنما هو من اختلاق ابن إسحاق، أو هو مجرد ظنٍّ مستتج، ويرفضه ويشكك في مصداقيته، بينما يسوق موقف اليهود ونظرتهم الجاحدة للحق، في جوٍّ من التوكيد والثقة، حينما يقول: (ولكن يهود الحجاز

(٢٥٠) محمد واليهود، ص ١٣٦.

(٢٥١) السابق، نفس الموضوع.

(٢٥٢) محمد واليهود، ص ٢٠٧.

فيما يبدو لم يروا آية آية، ولم يشهدوا تحقق آية نبوة)، ويستشهد لذلك بكلام الجحود الكذاب سلام بن مشكم، الذي هو مصدق لديه.

هل نصدقه ونكذب القرآن؟

ومن سوء حظ "بركات أحمد" البئس أن القرآن الكريم هو الذي صرح بأن اليهود قد تبينت لهم نبوة محمد ﷺ، ووقفوا على صدقه، ولكنهم جحدوا بها ظلماً وحسداً، وأنه ليس علماء المسلمين هم الذين استنتجوا هذا واخترعوه، فهل نصدق الكاتب ونكذب القرآن؟

لقد قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٢٥٣).

وفي كلام صريح أبلغ وأوضح من الشمس في ضحاها، يقول رب العزة سبحانه: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٢٥٤).

ومن العجيب أن الكاتب يكذب ابن إسحاق فيما رواه من أن كعب بن أسد اليهودي قال لبني قريظة: (نتابع هذا الرجل ونصدقه، فوالله لقد تبين لكم أنه نبي مرسل، وأنه للذي تجدونه في كتابكم)، ويقول: (إن ابن إسحاق أيضاً وضع في فم كعب بن أسد ما تبين له

(٢٥٣) سورة البقرة: ٨٩.

(٢٥٤) سورة البقرة: ١٤٦.

هو)، ويرد هذه الرواية.

وفي نفس الوقت الذي يرد هذه الرواية، يقبل ما رواه ابنُ إسحاق ذاته من أن سلام بن مشكم قال لمعاذ بن جبل عن الرسول ﷺ: (ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي كنا نذكره) !!

لماذا لم يقل - مثلاً -: إن ابن إسحاق وضع في فم سلام بن مشكم ما لم يقله، كما فعل بشأن رواية كعب بن أسد؟ مع ملاحظة أنه لم يُكذّب ما نُسب إلى كعب بن أسد بحجة، ولم يقبل ما نُسب إلى سلام بن مشكم بحجة، فليس معه قرينة على كذب ابن إسحاق في الكلام الأول، وصدقه في الكلام الثاني.

والواقع أنه لم يرفض ما نُسب إلى كعب، ويقبل ما نُسب إلى سلام بن مشكم إلا بالهوى والمزاج.

وإذا كان قد قبل ما نُسب إلى سلام بن مشكم بشأن إنكار نبوة محمد ﷺ، فليس له أن ينكر ما قاله عبد الله بن سلام أحد اليهود الذين أسلموا، بشأن اعترافه أن الرسول ﷺ هو النبي الذي كان ينتظره اليهود، وأنه نبيُّ آخر الزمان الذي كانوا يقرأون نعتَه في الكتب.

وننقل هنا قصة إسلام عبد الله بن سلام، فهي جديرة بالتأمل.

قال ابن إسحاق: وكان من حديث عبد الله بن سلام - كما حدّثنا بعضُ أهله عنه وعن إسلامه حين أسلم، وكان حبراً عالماً -، قال: لما

سمعت برسول الله ﷺ عرفت صفته واسمه وزمانه الذي كنا نتوكف له،^(٢٥٥) فكانت مُسِرًّا لذلك صامتاً عليه، حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة، فلما نزل بقاء في بني عمرو بن عوف، أقبل رجلٌ حتى أخبر بقدمه، وأنا في رأس نخلة لي أعمل فيها، وعمتي خالدة بنت الحارث تحتي جالسة، فلما سمعت الخبر بقدم رسول الله ﷺ كبرتُ، فقالت لي عمتي حين سمعت تكبيري: خبيك الله، والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادماً ما زدت، قال: فقلت لها: أي عمّة، هو والله أخو موسى بن عمران، وعلى دينه بعث بما بعث به، قال: فقالت: أي ابن أخي، أهو النبي الذي كنا نخبر أنه يُبعث مع نفس الساعة؟ قال: قلت لها: نعم. قال: فقالت: فذاك إذاً. قال: ثم خرجتُ إلى رسول الله ﷺ فأسلمتُ، ثم رجعت إلى أهل بيتي، فأمرتهم فأسلموا.

قال: وكتمت إسلامي من يهود، ثم جئت رسول الله ﷺ، فقلت له: يا رسول الله، إن يهود قوم بهت^(٢٥٦)، وإني أحب أن تدخلني بيوتك، وتغيبني عنهم، ثم تسألهم عني حتى يخبروك كيف أنا فيهم، قبل أن يعلموا بإسلامي، فإنهم إن علموا به بتوني وعابوني، قال: فأدخلني رسول الله ﷺ في بعض بيوته، ودخلوا عليه فكلموه

(٢٥٥) توَكَّفَ الخَيْرَ: توقَّعه وسأل عنه. المعجم الوسيط ٢/١٠٩٧، والمعنى نترقب ونتوقع.

(٢٥٦) بهتَ فلاناً بهتاً وبهتته وبهتانا: قذفه بالباطل، فهو بهوتٌ جمع بهتٌ وهو بهتات أيضاً. السابق ١/٧٥.

وساء لوه، ثم قال لهم: «أيُّ رجلٍ الحَـصِينُ بن سلام فيكم»؟ قالوا: سيدنا وابن سيدنا، وحبْرُنَا وعالمنا، قال: فلما فرغوا من قولهم خرجت عليهم، فقلت لهم: يا معشر- يهود، اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به، فوالله إنكم لتعلمون أنه لرسول الله، تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة باسمه وصفته، فإني أشهد أنه رسول الله ﷺ وأؤمن به وأصدقّه وأعرفه، فقالوا: كذبتَ ثم وقعوا بي، قال: فقلت لرسول الله ﷺ: ألم أخبرك يا رسول الله أنهم قوم بُهت، أهلُ غدر وكذب وفجور! قال: فأظهرتُ إسلامي وإسلامَ أهل بيتي، وأسلمتُ عمتي خالدة بنت الحارث فحسن إسلامها (٢٥٧).

فكيف بعد هذا يدعى جريء كذوب أن اليهود لم تتبين لهم نبوة محمد ﷺ، وأنهم لم يشهدوا أيّ آيةٍ على صدقه!؟

بنو قريظة .. بطولة وشهادة؛ أم خيانة وغدر!؟!

ونعود مرة أخرى لذكر ما حل بيهود بني قريظة من عقوبة؛ جزاء غدرهم وخيانتهم.

ويلاحظ أن الكاتب الماتور يفقد اتزانَه ويطيش عقله كلما عرّض للحديث عن مصرع بني قريظة، فأحياناً ينفي أن يكون شيء من هذا وقع

(٢٥٧) السيرة النبوية ١/ ٥١٦ - ٥١٧، وروى نحوه البخاري في ك أحاديث الأنبياء، ب خلق آدم وذريته، فتح الباري ٦/ ٤١٧، ٤١٨، رقم ٣٣٢٩، وفي مناقب الأنصار، ب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، البخاري على الفتح ٧/ ٢٩٣ - ٢٩٤، رقم ٣٩١١، وفي ك التفسير، ب من كان عدواً لجبريل، فتح الباري ٨/ ١٥، رقم ٤٤٨٠.

لهم، وأحياناً أخرى يذرف الدمع الهُتونَ مداراراً على أحبائه وفلذة كبده
يهود بني قريظة، ويجود عليهم بسخاء، فيمنحهم أرفع الأوسمة، وينعتهم
بأسمى النعوت، ويستهجن ما فعله بهم رسول الله ﷺ، ويصفه بمنكر
الأوصاف، وذلك على النحو التالي:

في أكثر من موضع نرى "بركات أحمد" يجعل ما حلّ ببني قريظة
مذبحة، فيقول: "والمشاهد أن كل الملامح المألوفة في قصص المذابح
الدينية قد اجتمعت في هذه القصة، ولو أن الذي يحكي تفاصيلها هم
فريق مرتكبي المذبحة" (٢٥٨).

ويقرر أنهم كانوا ضحايا فيقول: (لقد كان عدد الضحايا فيها أقل
كثيراً من عدد خصومهم "نجران ومسادة") (٢٥٩).

"ولم يبق من الضحايا إلا قلة ليحكوا تفاصيل ما ارتكب من
فظائع، وقصتنا مثل معظم قصص المذابح، لا تسجل ما وقع كما
وقع" (٢٦٠).

ويعتبر قتلى اليهود أبطالاً، فيقول: (وهناك أشخاص يبرزون
كأبطال "حبي ابن أخطب، والزبير بن باطا") (٢٦١).

(٢٥٨) محمد واليهود ص ١٤٧.

(٢٥٩) السابق، نفس الموضوع.

(٢٦٠) محمد واليهود ص ١٤٨.

(٢٦١) السابق، نفس الموضوع.

ويجعلهم شهداء، فيقول: (وإن صحّت هذه القصة فإن الشهداء الذين سقطوا تحت "باركشبة" (سنة ١٣٢ م) أمام عدو يفوقهم عدداً بكثير لم يكونوا شيئاً إذا قورنوا بشهداء بني قريظة)^(٢٦٢).

وهكذا نرى الكاتب المضلل يحاول أن يُثبت أن بني قريظة ماتوا ظلماً وعدواناً، وأنهم في مصاف الأبطال والشهداء، وأن المسلمين قد ارتكبوا بحقهم مذبحه، واقترفوا الفظائع .. إلى آخر ضلاله وتضليله.

فهل كان الأمر كذلك؟

لننظر في بعض ما جتته بنو قريظة، وما اقترفته من خيانة وغدر ضد الإسلام والمسلمين، وفي ضوء ذلك نتبين حقيقة كلام الكاتب المزور. روى ابن إسحاق بسنده أن نفراً من اليهود فيهم حيي بن أخطب خرجوا إلى قريش وغطفان، وحرّضوهم على قتال الرسول ﷺ، وأغروهم بذلك، وقالوا لهم: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله^(٢٦٣).

ثم خرج عدو الله حيي بن أخطب النصريني، حتى أتى كعب بن أسد القرظي، صاحب عقد بني قريظة وعهدهم، وكان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه، وعاقده على ذلك وعاهده، وأخبره أنه جاء بقريش وغطفان، وأنهم قد عاهدوه وعاقدوه على ألا يبرحوا حتى

(٢٦٢) محمد واليهود ص ١٤٩.

(٢٦٣) انظر: السيرة النبوية ٢/ ٢١٤ - ٢١٥.

يستأصلوا محمداً ومَن معه، ولكن كعباً رفض إجابة حبي لأنه لم ير من محمد إلا صدقاً ووفاءً، فلم يزل حبي يغريه على الدخول في حلف الأحزاب، وحرب رسول الله ﷺ، حتى سمح له، على أن أعطاه عهداً (من الله) وميثاقاً: لئن رجعت قريش وغطفان، ولم يصيبوا محمداً أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك، فنقض كعب بن أسد عهده، وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ.

فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ الخبرُ وإلى المسلمين، بعث رجاله إلى بني قريظة ليستوثقوا من صحة ما بلغه عنهم، فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم، ونالوا من رسول الله ﷺ وقالوا: مَنْ رسول الله؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد (٢٦٤).

"و حاول سعد بن معاذ أن يذكرهم بعقدهم فتصاموا عنه، فلما خوّفهم عقبى الغدر، وذكر لهم مصير بني النضير، قالوا له: أَكَلتَ ذَكَرَ أبيك ... !

وتبيّن أن حرص بني قريظة الأول على التزام العهد كان خوفاً من عواقب الغدر فقط، فلما ظنت أن المسلمين أحيط بهم من كل جانب، وأنها لن تؤاخذ على خيانة، أسفرت عن خيانتها، وانضمت إلى المشركين المهاجمين.

ووجّم المسلمون حين عادت رسلهم تحمل هذه الأنباء المقلقة،

(٢٦٤) السيرة النبوية ٢/ ٢٢٠ - ٢٢١ باختصار وتصرف.

وربّت مشاعر الكره في صدورهم لأولئك اليهود، حتى لأصبحوا أشوه أمام أعينهم من عبّاد الأصنام، ووعوا أتم الوعي أن بني إسرائيل أقدموا على قرارهم هذا وهم يعلمون معناه وعقابه، يعلمون أنه محاولة متعمدة للإجهاز على هذه الأمة ودينها، وتسليمها إلى من يقتل رجالها، ويسترقّ نساءها، ويبيع ذراريها في الأسواق" (٢٦٥).

وهكذا نرى أن اليهود قد وضعوا أيديهم في أيدي عبدة الأصنام، واستنزلوهم لمهاجمة المدينة المنورة، واستباحتها، ورسوموا مخطط القضاء على المسلمين، وإبادتهم عن بكرة أبيهم، مع أنهم كان بينهم وبين المسلمين عهد ومواثيق، ولم يجدوا في جوار المسلمين إلا البرّ والوفاء، وأحاط الأحزاب بدار الهجرة مصممين على وأد من فيها من المسلمين دون هوادة أو رحمة، ولكن الله خذلهم وردهم على أعقابهم خاسرين.

ومع هذا ينعت "بركات أحمد" اليهود بالبطولة، ويخص بالذكر رأس العصابة "حبي بن أخطب" الذي جاب الجزيرة غدواً ورواحاً محرّضاً على حرب الله ورسوله، وتكوين جبهة من اليهود والوثنيين للقضاء على المسلمين الموحدين، ويصف عقوبة القتل التي نالوها جزاء غدرهم وخيانتهم بأنها فظائع ومذبحة ارتكبت ضدهم، وأنهم كانوا ضحايا برءاء، وأنهم سقطوا على أثرها شهداء !!

(٢٦٥) فقه السيرة، محمد الغزالي ص ٣١١، دار الريان للتراث - القاهرة، ط الأولى ١٤٠٧هـ
١٩٨٧م.

فهل يقول بهذا عاقل منصف في أدنى الأرض أو أقصاها؟!
إنّ ما فعله اليهود - بتعبيرنا العصريّ - إنّما هو خيانة عظيمة بكل المقاييس، وما نالوه من عقاب بالقتل هو جزاء وفاق الخيانة التي لا تغتفر، وهيهات أن يكون الخائن بطلاً، والمجرم الغادر مأسوفاً عليه، وهيهات أن يكون مصرع الذين حاربوا الله ورسوله، واستحبوا الكفر على الإيمان شهادة.

غزوة خيبر .. وأكاذيب ومغالطات

واستمراراً لمحاولات "بركات احمد" تجميل صورة اليهود ما وسعه الجهد، نراه ينسج الأكاذيب، ويأتي بالمغالطات نقلا عن أساتذته المستشرقين والمبشرين، ويكذب حقائق التاريخ، فيزعم أن ما حدث في خيبر من مواجهة عسكرية بين المسلمين واليهود، لم يكن غزوة، فيقول:

(وليس من الصواب كما يقول "لامانس" وصف العملية التي قام بها الرسول ﷺ في خيبر بالغزو، وهو يضيف أن المؤرخين اللاحقين إذا كانوا صوّروها على أنها انتصار، فإنها فعلوا ذلك تبريراً لأعمال حدثت في خلافة عمر) (٢٦٦).

ويقرر أن اليهود لم يُهزَموا، فيقول: (ولم يهزم اليهود في خيبر، لكنهم وقّعوا سلماً تفاوضوا عليه مع المسلمين، وقبله الرسول ﷺ،

(٢٦٦) محمد واليهود ص ٢٠٢.

وما رواه كُتَّاب المغازي بعيد الاحتمال، وهو كما لاحظ "لامانس" غير صحيح (٢٦٧).

بل يشتط فيزعم أن يهود خيبر استردُّوا شرف اليهود الضائع، فيقول:

(وقد استرد يهود خيبر ما ضيعه بنو قينقاع وبنو النضير، وبنو قريظة بتحاييلهم وجبنهم من شرف) (٢٦٨).

فالكاتب معجَبٌ جدًّا بمغالطات القسيس المستشرق "لامانس"، وكلاهما يردُّ ما أجمع عليه المؤرخون وكُتَّاب السِّير من أن ما حدث في خيبر بين الرسول ﷺ والمسلمين من جانب واليهود من جانب آخر، كان غزوة عسكرية انتهت بهزيمة اليهود وإذلالهم.

لقد ذهب النبي ﷺ إلى خيبر على رأس جيش من المسلمين، لا همَّ له إلا الجهاد، ولم ينتدب الرسول ﷺ للخروج معه إلا مَنْ كان صادق النية، متجرد القصد لإعلاء كلمة الله، دون طمع في مغنم دنيوية.

وكان يهود خيبر قد (شرعوا يَصِلون حبالهم بغطفان والأعراب الضارين حولهم، ليؤلَّفوا ضدَّ الإسلام جبهة أخرى، تكيد من جديد لمحمد وصحبه، لكن المسلمين كانوا أيقاظاً لهذه المؤامرات، فما إن عادوا من عمرة الحديبية آخر السنة السادسة، حتى توجهوا في المحرم

(٢٦٧) محمد واليهود ص ١٧٩.

(٢٦٨) السابق، ص ١٧٨.

من السنة السابعة إلى خيبر لكسر شوكة بني إسرائيل بها) (٢٦٩).

ثم شن المسلمون هجومهم العنيف على حصون خيبر المنيعه، فأخذت تتهاوى حصناً بعد حصن (وكان أول حصونهم افتتح حصن ناعم، وعنده قتل محمود بن مسلمة، فألقيت عليه منه رجا فقتلته، ثم القموص، حصن ابن أبي الحقيق) (٢٧٠).

ولما افتتح رسول الله ﷺ من حصونهم ما افتتح، وحاز من الأموال ما حاز، انتهوا إلى حصنهم الوطيح والسلام، وكانا آخر حصون أهل خيبر افتتاحاً، فحاصرهم رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة (٢٧١).

حتى إذا أيقنوا بالهلكة سألوه أن يسيرهم، وأن يحقن دماءهم، ففعل، وكان رسول الله ﷺ قد حاز الأموال كلها: الشق، ونطاة، والكثيبة، وجميع حصونهم، إلا ما كان من ذينك الحصنين، فلما سمع بهم أهل فدك قد صنعوا ما صنعوا، بعثوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن يسيرهم وأن يحقن دماءهم، ويحلوا له الأموال، ففعل، فلما نزل أهل خيبر على ذلك، سألو رسول الله ﷺ أن يعاملهم في الأموال على النصف، وقالوا: نحن أعلم بها منكم وأعمر لها، فصالحهم رسول الله ﷺ على النصف، على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم، فصالحه

(٢٦٩) فقه السيرة، للغزالي ص ٣٥٣.

(٢٧٠) السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٣٣٠ - ٣٣١.

(٢٧١) السابق ٢/ ٣٣٢.

أهل فدك على مثل ذلك^(٢٧٢).

ولا ريب أن الهزيمة التي أصابت بني إسرائيل في خيبر قضت على كيانهم العسكري في الجزيرة قضاءً تاماً، فجاء يهود "فدك" يطلبون الأمان، وقاتل يهود وادي القرى بعد ما دُعوا إلى الإسلام، وأخبرهم رسول الله ﷺ أنهم إن أسلموا أحرزوا أموالهم، وحقنوا دماءهم، وحسابهم على الله، فلما أبوا نشبت بين الفريقين معركةٌ محدودة، انتهت مع الصباح بسقوط الوادي اليهودي عنوة، واستسلم يهود تيماء^(٢٧٣).

وهكذا تبين لنا أن ادعاء المستشرق "لامانس" وتلميذه "بركات أحمد" أن ما حدث في خيبر لم يكن غزوة ولم يكن انتصاراً للمسلمين، ادعاء باطل، وزعم كاذب، ليس له مبرر إلا محاولة تجميل صورة اليهود.

بل لقد كانت غزوة خيبر - كما يقول هيكل -: "من أكبر المواقع؛ أن كانت جموع اليهود في خيبر من أقوى الطوائف الإسرائيلية بأساً، وأوفرها مالاً وأكثرها سلاحاً، وأن كان المسلمون مؤمنين بأنه ما بقيت لليهود شوكة في شبه الجزيرة فستظل المنافسة بين دين موسى والدين الجديد حائلاً دون تمام الغلب لهم، لذلك ذهبوا مستقتلين لا يعرف التردد إلى نفوسهم سبيلاً، ووقفت قريش ووقفت شبه جزيرة

(٢٧٢) السيرة النبوية لابن هشام ٢/٣٣٧.

(٢٧٣) فقه السيرة، للغزالي ص ٣٦١.

العرب كلها متطلعة إلى هذه الغزوة، حتى لقد كان من قريش من يتراهنون على نتائجها ولمن يتم التغلب فيها، وكان كثيرون من قريش يتوقعون أن تدور الدائرة على المسلمين، لما عُرف من قوة حصون خيبر وقيامها فوق الصخور والجبال، ولطول ممارسة أهلها للحرب والقتال" (٢٧٤).

ثم أي شرف استرده يهود خيبر - كما زعم الكاتب - وقد مُنوا بالهزيمة على أيدي المسلمين، وصالحهم الرسول ﷺ على زراعة الأرض، مع الاحتفاظ للمسلمين بحق إخراجهم منها متى شاؤوا، حسب ما تقتضيه مصلحة الدعوة الإسلامية، فأذعنوا صاغرين، وعلى أثر ذلك أخضع اليهود المجاورون لسلطان المسلمين.

"ومكث يهود خيبر يزرعون الأرض على النصف من نتائجها، إلا أن بغضاءهم للمسلمين حملتهم على اقتراح بعض الجرائم، فقد اغتيل رجل من الأنصار، وفُدِّعَت (٢٧٥) يدا عبد الله بن عمر في خلافة أبيه، فخطب عمر الناس قائلاً: إن رسول الله ﷺ كان قد عامل يهود خيبر

(٢٧٤) حياة محمد، ص ٣٩٤.

(٢٧٥) الفَدْعُ - بفتحين -: اعوجاج الرُّسْغ من اليد أو الرَّجْل فينقلب الكف والقدم إلى الجانب الأيسر، وذلك الموضع الفَدْعَة مثل النَّزْعَة والصَّلْعَة، وَرَجُلٌ أَفْدَع وامرأة فَدْعَاء مثل أحمَر وحمراء، وقال ابن الأعرابي: الأفدع الذي يمشي - على ظهور قدميه. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي (المتوفى نحو ٧٧٠هـ) ٢ / ٤٦٤، المكتبة العلمية - بيروت.

على أن نُخرجهم إذا شئنا، وقد عَدَّوا على عبد الله بن عمر ففدَعوا يديه، كما قد بلغكم، مع عَدُوِّهم على الأنصاريِّ قبله، لا نشك أنهم أصحابه، ليس لنا هناك عدوٌّ غيرهم .. فمن كان له مال بخيبر فليلحق به، فإني مخرج اليهود، فأخرجهم" (٢٧٦).

وهذا انكسرت شوكة يهود، وطُهرت شبه الجزيرة العربية من غدرهم ورجسهم، وامتد سلطان الإسلام على تلك البقعة، وعمها بنوره، بعد أن كان اليهود يصولون ويجولون عليها حيناً من الدهر، فسبحان مَنْ يورث الأرض مَنْ يشاء مِنْ عباده.

وهكذا تتبدد أكاذيب المستشرقين وعملائهم، وينكشف تزويرهم لحقائق التاريخ.

ونعوذ بالله - تعالى - من الخذلان.

«سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ

إِلَيْكَ».

وصلُّ اللهم وسلِّم على نبيِّنا محمدٍ وعلى آله وصحبه.

*** **

(٢٧٦) فقه السيرة، للغزالي ص ٢٦٠.

وقصة تعدِّي أهل خيبر على «عبد الله بن عمر»، ثم إجلاء «عمر» لهم أخرجها البخاري في صحيحه، ك الشُّروطِ ب إذا اشترط في المزارعة إذا شئت أخرجتك، رقم ٢٧٣٠، من رواية مالك عن نافع عن ابن عمر.

المراجع

* القرآن الكريم .. سبحان من أنزله.

- ١- الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، د. إسماعيل علي محمد، دار الكلمة - مصر، ط السادسة ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.
- ٢- الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د. علي عبد الواحد وافي، نهضة مصر - القاهرة.
- ٣- الإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد، ترجمة د. عمر فروخ، مكتبة المنار - الكويت ط. السابعة ١٩٧٤م.
- ٤- الإسلام في تصورات الغرب، د. محمود حمدي زقزوق، مكتبة وهبة - القاهرة، ط الأولى ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- ٥- الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل عبد الموجود، علي معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، ط الأولى ١٤١٥هـ.
- ٦- أصول الحديث، علومه ومصطلحه، د. محمد عجاج الخطيب، دار الفكر - بيروت ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- ٧- أوروبا والإسلام، د. عبد الحلیم محمود، دار المعارف - القاهرة، ط الرابعة.
- ٨- الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، للحافظ ابن كثير، تأليف أحمد محمد شاكر، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، ط الثالثة ١٤٠٨هـ.
- ٩- البداية والنهاية، للحافظ ابن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملجم وآخرين،

- دار الريان - القاهرة، ط الأولى ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م.
- ١٠- تاريخ بغداد أو مدينة السلام، للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الكتاب العربي - بيروت.
- ١١- تاريخ التراث العربي، فؤاد سيزكين، ترجمة د. محمود فهمي حجازي، الناشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - السعودية ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م.
- ١٢- تاريخ دمشق، علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى ٥٧١ هـ)، تحقيق عمرو غرامة العمروي، دار الفكر ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م.
- ١٣- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، للحافظ السيوطي، تحقيق د. أحمد عمر هاشم، دار الكتاب العربي - بيروت ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩ م.
- ١٤- تذكرة الدعاة، البهي الخولي، دار الندوة الجديدة - بيروت.
- ١٥- الثقات، محمد بن حبان بن أحمد، التميمي، أبو حاتم، البُستي (المتوفى ٣٥٤ هـ)، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن - الهند، ط الأولى ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣ م.
- ١٦- تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير، دار الغد العربي - القاهرة، ط الأولى ١٤١١ هـ ١٩٩١ م.
- ١٧- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، جمال الدين المزي (المتوفى ٧٤٢ هـ)، تحقيق د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط الأولى ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م.

- ١٨- حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، لابن الدبيع الشيباني الشافعي، تحقيق عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، دار إحياء التراث الإسلامي - قطر.
- ١٩- حياة محمد، د. محمد حسين هيكل، دار المعارف - مصر، ط السادسة عشرة.
- ٢٠- دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، محمد الغزالي، دار الكتب الإسلامية - القاهرة، ط الخامسة ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م.
- ٢١- الرفع والتكميل في الجرح والتعديل، للإمام محمد عبد الحي اللكنوي، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، ط الثانية ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨ م.
- ٢٢- روح المعاني، للعلامة الألويسي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٢٣- زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية، تحقيق شعيب الأرنؤوط، عبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط السادسة والعشرون ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م.
- ٢٤- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، د. مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي - بيروت، ط الثانية ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م.
- ٢٥- سنن أبي داود، للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م.
- ٢٦- سنن ابن ماجه، الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - دار الفكر.

- ٢٧- سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن سورة، تحقيق صدقي محمد جميل العطار، دار الفكر - بيروت ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- ٢٨- سنن الدارمي: الإمام الحافظ عبد الله بن عبد الرحمن الدرمي السمرقندي، تحقيق فؤاد أحمد زمري، خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ٢٩- سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي، دار الحديث - القاهرة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ٣٠- سير أعلام النبلاء، للإمام الذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط الثامنة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- ٣١- السيرة النبوية، لابن هشام، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، دار الوفاق - بيروت.
- ٣٢- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، د. مهدي رزق الله أحمد، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - السعودية، ط الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- ٣٣- السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمية، زياد أبو غنيم، دار عمار - الأردن، ط الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ٣٤- صحيح مسلم بشرح النووي، دار الريان - القاهرة.
- ٣٥- صور استشراقية، د. عبد الجليل شلبي، دار الشروق - القاهرة، ط الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ٣٦- علل الحديث ومعرفة الرجال، للحافظ علي بن المديني، تحقيق د. عبد

- المعطي أمين قلعجي، دار الوعي - حلب، ط الأولى ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م.
- ٣٧- عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير، لابن سيد الناس، دار المعرفة - بيروت.
- ٣٨- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الريان - القاهرة، ط الأولى ١٤٠٧ هـ ١٩٨٦ م.
- ٣٩- فقه السيرة، محمد الغزالي، دار الريان - القاهرة، ط الأولى ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م.
- ٤٠- الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، د. محمد البهي، مكتبة وهبة - القاهرة، ط العاشرة.
- ٤١- قاموس الكتاب المقدس، تأليف نخبة من ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين، دار الثقافة - القاهرة، ط التاسعة ١٩٩٤ م.
- ٤٢- قواعد في علوم الحديث، للعلامة المحدث ظفر أحمد العثماني التهانوني، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية - حلب، ط الثالثة ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ م.
- ٤٣- الكتاب المقدس (أي: العهد القديم والعهد الجديد)، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.
- ٤٤- كتاب يجب وقفه، صلاح منتصر، صحيفة الأهرام (المصرية)، العدد ٤٠٧٠٠، الأربعاء ١٧ محرم ١٤١٩ هـ ١٣ مايو ١٩٩٨ م.
- ٤٥- الكشاف، للزمخشري، دار عالم المعرفة.
- ٤٦- الكنز المرصود في قواعد التلمود، د أغسطس روهلنج، ترجمة د.

- يوسف نصر الله، دار القلم - دمشق، ط الأولى ١٤٠٨ هـ ١٩٨٧ م
- ٤٧- مجمع الأمثال، أحمد بن محمد بن أحمد الميداني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار القلم - بيروت.
- ٤٨- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط الثالثة ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م.
- ٤٩- محمد واليهود نظرة جديدة، بركات أحمد، ترجمة محمود علي مراد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة مكتبة الأسرة ١٩٩٨ م.
- ٥٠- مختار الصحاح، الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مكتبة لبنان - بيروت ١٩٨٨ م.
- ٥١- المستدرک على الصحيحين، للحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري، وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي، دار المعرفة - بيروت.
- ٥٢- مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط الثانية ١٤١٤ هـ ١٩٩٣ م.
- ٥٣- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي (المتوفى نحو ٧٧٠ هـ)، المكتبة العلمية - بيروت.
- ٥٤- المصنّف، للحافظ أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت، ط الثانية ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م.
- ٥٥- معجم الصواب اللغوي، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب - القاهرة، ط الأولى ١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨ م.

- ٥٦- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية - القاهرة، ط الثالثة.
- ٥٧- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، دار الساقى، ط
الرابعة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م
- ٥٨- منبر الإسلام، مجلة تصدرها وزارة الأوقاف المصرية، عدد شعبان
١٤١٨هـ - ديسمبر ١٩٩٧م.
- ٥٩- الموسوعة العربية الميسرة، بإشراف محمد شفيق غربال، دار إحياء
التراث العربي - بيروت.
- ٦٠- موسوعة المستشرقين، د. عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين -
بيروت، ط الثالثة ١٩٩٣.
- ٦١- الموطأ، للإمام مالك بن أنس، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء
التراث العربي - بيروت ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.
- ٦٢- يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء، درؤوف شلبي، دار البشير -
مصر.
- ٦٣- اليهودية، د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة، ط
السابعة ١٩٨٤م.

*** **

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٥	مقدمة
١٥	الفصل الأول: أضواء على مصادر الكتاب ومنهجه
١٦	أولاً: مصادر الكتاب مشبوهة
١٨	١- كتاب " حياة محمد " للمستشرق مكسيم رودنسون
٢٢	٢- كتاب «دراسات إسلامية» لـ «جولد زيهر»
٢٣	٣- آراء المستشرق «مرجليوث»
٢٤	٤- كتابات المستشرق المنصر «لامانس»
٢٥	٥- كتاب " حياة محمد " للمستشرق " وليام موير "
٢٥	كتابات وآراء المستشرق " برنارد لويس "
٣٠	ثانياً: منهج الكتاب يجافي قواعد البحث العلمي النزيه
٣١	١- اعتقاد أمور وتكوين آراء مقدّما، ثم التماس التأييد لها
٣٢	٢- الاعتماد على الافتراضات والتخمينات لإثبات الشبهات التي يثيرها
٣٦	٣- ردُّ الأخبار والروايات الصحيحة دون حجة أو برهان
٣٩	٤- بتر النصوص واجتزاء الروايات لخدمة أغراض دفينه، تشوّه الحقيقة
٤٢	٥- المجازفة والتعميم، مع عدم تحري الدقة في إصدار الأحكام
٤٥	منهج مصطنع - خاصة - للدراسات الإسلامية

٤٩	الفصل الثاني: شبهات حول الإسلام والرسول ﷺ
٥٠	أولاً: الطعن في ربانية الدين الإسلامي
٥٣	فرية باطلة
٦١	ثانياً: العبادات الإسلامية ومجاملة اليهود
٦٦	ثالثاً: الإيحاء بأن رسالة الإسلام محلية، خاصة بالعرب
٦٩	رابعاً: نبوة محمد ﷺ بين التشكيك والتجاهل
٧٦	خامساً: النيل من عصمة النبي ﷺ
٨٢	سادساً: التسوية بين النبي ﷺ وعبدة الصليب
٨٣	من هم القديسون عند النصارى؟
٨٦	المعجزة والكرامة والاستدراج
٨٩	الفصل الثالث: شبهات حول القرآن والسنة
٩٠	أولاً: مصدر القرآن الكريم
٩٩	ثانياً: أخبار القرآن والسنة بين الحقيقة والأسطورة
١٠٢	ثالثاً: التشكيك في عدالة الصحابة رضي الله عنهم
١١٠	رابعاً: التطاول على الصحابة بالسب والشتم
١١٣	خامساً: الطعن في سلامة أحاديث الصحيحين من الكذب
١١٧	سادساً: رد الأحاديث الصحيحة بدعوى مخالفتها للعقل
١٢٧	سابعاً: جزاء بني قريظة ومبدأ القصاص العادل
١٣٤	تطاول وبذاءة على علماء المسلمين
١٣٦	دعوة مغرضة باطلة

١٣٩	ثامنا: ادعاء أن بني أمية كانوا يشجعون وضع الأحاديث
١٤٢	مَنْ بَيْتُهُ مِنْ زَجَاجٍ لَا يَرْمِي الْآخِرِينَ بِالْأَحْجَارِ
١٤٩	الفصل الرابع : شبهات حول السيرة النبوية
١٥٠	أولاً: دراسة السيرة النبوية من منظور جاحد لنبوة محمد ﷺ
١٥٢	ثانياً: إثارة الشبهات والشكوك حول السيرة النبوية
١٥٣	ثالثاً: الطعن في عدالة كتاب السيرة النبوية ومؤرخيها
١٥٤	ابن إسحاق المفترى عليه
١٥٥	ابن إسحاق في ميزان العلم والعلماء
١٦٦	اتهام ابن إسحاق بالتحامل على اليهود
١٧١	من أين جمع ابن إسحاق مادته في كتاب السيرة؟
١٧٣	أمثلة من القصص الشائع في عصر- ابن إسحاق - في نظر الكاتب -
١٧٥	الرواية عن أبناء اليهود الذين أسلموا
١٧٨	رابعاً: تضليل ومغالطات حول تاريخ تدوين السيرة النبوية
١٨٣	خامساً: التشكيك في وقوع حروب بين الرسول واليهود
١٨٧	سادساً: ادعاء أن الهجرة النبوية كانت هروباً
١٩١	سابعاً: التشكيك في أن الله أيد الرسول ﷺ في غزواته بالمعجزات
١٩٣	ثامناً: إثارة الشكوك حول صحيفة المدينة

١٩٧	الاعتراض على وصف الصحيفة بأنها "دستور المدينة"
١٩٩	تاسعا: الكاتب يزعم أن اليهود لم تتبين لهم نبوة محمد ﷺ
٢٠١	هل نصدقه ونكذب القرآن؟
٢٠٤	بنو قريظة .. بطولة وشهادة؛ أم خيانة وغدر؟!؟
٢٠٩	عاشرا: غزوة خيبر .. وأكاذيب ومغالطات
٢١٥	المراجع
٢٢٣	فهرس الموضوعات

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٠٠٠ / ١٧١٣٢

*** **

إن من أضر وأخبث وسائل أعداء الإسلام في محاربته استخدام بعض أبناء المسلمين، واستئجارهم لهدم الدين الحنيف، والتشكيك في مقوماته وثوابته، انطلاقاً من مخطط لئيم وضعوه؛ هو: (الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها).

وكتاب "محمد واليهود نظرة جديدة" عبارة عن صور من حملات ومطاعن ضد الإسلام، تولى كبرها المستشرقون، وسخر أحد أبناء المسلمين - وهو واحد من صنائعهم - لإذاعتها ونشرها في ثوب البحث العلمي.

وقد استهديت الله - تعالى - فهداني إلى كتاب ترد علمي على الكتاب المذكور؛ يفند أباطيله، ويدفع مطاعنه، ويزيل شبهاته ..

{وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب} (سورة

هود: ٨٨)

المؤلف